

العدد العشرون / اكتوبر ١٩٩١ م / ربيع أول ١٤١٢ هـ / الثمن جنية مصرى



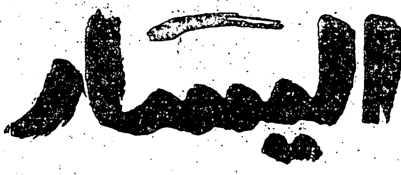
اختلال التوازن بين رجال الأعمال والعمال

محنة التعليم و"النمور الخمسة"

"كركرة" الدكتورة فوزية غير البرجوازية

علماء المسلمين قوة معارضة جديدة للحكم "السعودى"

الحزب الشيوعى السوفييتى شهادة وفاة ... أم ميلاد جديد؟



ديمقراطية / عقلانية / اشتراكية

في هذا العدد



اليسار ودور

عندما بدأنا فى تحضير هذا العدد، لم نستطع أن نحدد محورا أساسيا واحدا. كان هناك أكثر من محور يفرض نفسه علينا وعلى القراء. وفى النهاية لم نجد أمامنا مفرا من أن يقوم بناء هذا العدد على ثلاثة محاور..

المحور الأول.. دولى ينصب على الحدث السوفييتى الذى شغل- ومازال- العالم كله. ونحن نعتبر هذا المحور بما حواه من دراسات ورسائل من موسكو ومقالات استمرارا لمانشر فى اليسار فى تسعة عشر عددا، تكون معا وجهة نظر «اليسار» فى التغيير والانقلاب السوفييتى.

المحور الثانى... عربى وينصب على قضية فلسطين ومؤتمر السلام. وكانت الصعوبة الأساسية فى هذا المحور أننا نعده قبل اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى وننشره بعد انتهاء هذا الاجتماع. واجتهدنا أن تأتى موضوعاته بما يخدم متابعة هذا الحدث الهام.

المحور الثالث.. مصرى يرصد زوايا مختلفة للتطور الاجتماعى والاقتصادى الذى نعيشه فى ظل تنفيذ سياسات صندوق النقد الدولى والخصخصة واطلاق حرية الاستغلال الرأسمالى.

وإلى جانب هذه المحاور هناك عديد من الموضوعات السياسية والفنية والخارجية.. ولكن هناك موضوعا نلفت النظر إليه.. وهو مداخلة الصديق الكويتى «عامر التميمى» الذى كتب ينتقدويهاجم اليسار المصرى والعربى بقسوة وعنف لموقفه من أزمة وحرب الخليج. وقد نشرنا مقاله كاملا عدا سطر واحد أورد فيه اتهامالايجوز، ويخرج من نطاق الخلاف السياسى لواحد من القادة السياسيين اليساريين. ورغم أن «لليسار» العديد من الردود والملاحظات والمعلومات التى تعارض ماطرحه الكاتب «اليسارى» فقد رأينا أن ننشر المقال هذا العدد، ونؤجل مناقشته للعدد القادم.

اليسار



تعديل وزاري يواكب انتخابات الحزب الحاكم

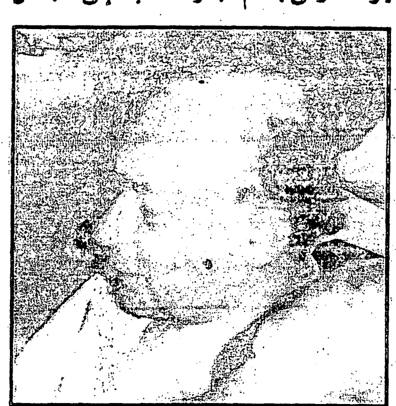
تتوقع الدوائر السياسية ترشيح «الدكتور محمود شريف» وزير الحكم المحلي، والأمين العام المساعد للحزب الوطني (ضم إلى الأمانة في يوليو الماضي) لتولي موقع الأمين العام للحزب الحاكم، عقب عملية إعادة بناء الهيكل التنظيمي للحزب بالانتخابات (لأول مرة منذ قيام الحزب عام ١٩٧٨) والتي ستبدأ خلال هذا الشهر وتستمر حتى مايو القادم (١٩٩٢). كما تتوقع ضم بعض الوجوه التي تتميز بالنظافة وتستطيع خلق علاقات مع القوى السياسية الأخرى والتأثير فيها وجذبها إلى مواقف قريبة من سياسات الحكم.. وإفساح المجال لممثلي القطاعات الصناعية في الرأسمالية المصرية (جمعيات رجال الأعمال وأصحاب مصانع العاشر من رمضان)، والرأسمالية الزراعية في الأراضي الجديدة، وممثلي الرأسمالية المصرية في الخارج، وكذلك قيادات الاتحاد الاشتراكي والتنظيم الطليعي السابق. ومن الأسماء التي ستلمع أيضا وستلعب دورا في الحزب د. حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم.

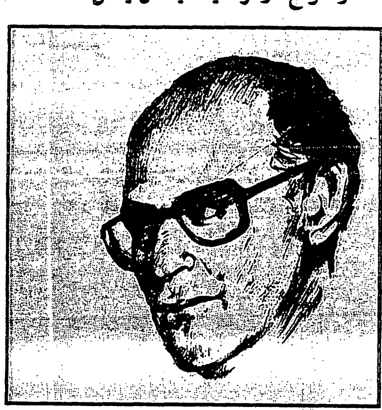
يصف بعض المراقبين عملية إعادة البناء هذه بأنها «بيريسترويكا» الحزب الحاكم، والتي تقررت عقب سقوط ١٧٤ من مرشحي الحزب في انتخابات مجلس الشعب الأخيرة من بين جملة مرشحيه وعددهم ٤٤٤ مرشحا، والأزمة التي هزت بعض الجهات في الحزب عقب تزوير إنتخابات «النزهة» ومسارعة د. يوسف والي بضم «بدر خطاب» إلى المجلس بمجرد فوزه، وإسقاط المجلس لعضويته بعد ذلك.. وقضية نواب الكيف.. وقضايا وأخبار الفساد في صفوف قيادات الحزب المحلية والمركزية.

وكان الرئيس قد عقد اجتماعا في الاسكندرية يوم ٤ سبتمبر الماضي، حضره أعضاء ومكتب أمانة الحزب، وهم...«د. يوسف والي الأمين العام للحزب ونائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة- صفوت الشريف الأمين المساعد ووزير الاعلام- د. أحمد سلامه وزير شئون مجلس الشعب والشورى والأمين المساعد- د. محمود شريف وزير الحكم المحلي والأمين المساعد- كمال الشاذلي أمين التنظيم ورئيس الهيئة البرلمانية للحزب».. ووضع في هذا الإجتماع قواعد الأنتخابات بعد استبعاد فكرة تعيين بعض الشخصيات العامة.

تتحدث دوائر الحزب الوطني عن وجود صراعات داخل أمانة الحزب، وأمانة الشباب، وأمين التنظيم، ومع المستقلين الذين انضموا للحزب عقب فوزهم في انتخابات مجلس الشعب.. وعن صراع بين جناح «د. يوسف والي» وجناح «ناصري» يدعمه «د. عاطف صدقي» ويمثله بقايا التنظيم الطليعي في الحزب الوطني. وتشير إلى دعوة الرئيس مبارك للناصريين للانضمام للحزب الوطني باعتبارها إستجابة لهذه المجموعة والتي يمثلها الأن في أمانة الحزب د. محمود شريف.

وتتوقع دوائر سياسية أن يعلن خلال هذا


د. يوسف والي


د. محمود الشريف

رئيس التحرير:
حسين عبد الرازق
المشرف الفني:
محمود الهندي
المستشارون:
إبراهيم بدراوي
د. رفعت السعيد
صلاح عيسى
د. عبد العظيم أنيس
عبد الغفار أبو العينين
محمود أمين العالم
شارك في التأسيس:
د. فؤاد مرسي

اليسار: منبر ديمقراطي يصدر عن حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي في اليوم الأول من كل شهر.

AL YASSAR 3 MIDAN EL MALEKA ZOBAIDA IMBABA GIZA A.R.E

الاشتراكات: لمدة سنة واحدة
مصر:
١٢ جنيها للأفراد ٣٠ جنيها للهيئات
الوطن العربي: ٥٠ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها.
العالم: ١٠٠ دولار أمريكي أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بشيك مصرفي أو حواله بريدية إلى إدارة المجلة.
الإدارة والتحرير: ٣ ميدان الملكة زبيدة شقة ٣ - مدينة الطلبة - رقم بريدي ١٢٤١١ - إمبابة جيزة.
ت: ٣٤٤٧٩٤٠ فاكس ٣٤٤٢٠١٣

الجو السياسي



الشهـر تعـديل وزارى يواكب بدء عـمليـة الانتخابات فى الحزب الوطنى.

الحزب الشيوعى يرفض كامب ديفيد العربية

أذاعت السكرتارية المركـزية للحـزب الشيـوعى المصرى بيانا تحت عنوان «لا.. لكامب ديفـيد عربيـة»، دعت فيـه «القوى والأحزاب السيـاسيـة فى مصـر، وجماهير الشـعب المصرى لرفع صوته لمطالبة الحكام العرب برفض المشاركة فى مؤتمر «السلام»، مالم تتـحقق مشـاركة منظمـة التحرير الفلسطينية فى المؤتمر على قدم المساواة مع كافة الدول الأخرى، وأن يعقد المؤتمر فى إطار الأمم المتحدة وبمشاركتها، وباعتباره مؤتمرا فعالا له صلاحيات كاملة، وأن تكون نقطة البداية هى تنفيذ قرارى الأمم المتحدة ٢٤٢ و٣٣٨ الخـاصين بانسـحـاب إسـرائيل من الأراضى المحتلة، وضمان الحقوق المشروعة للشـعب الفلسطينى، بما فى ذلك حـقـه فى تقريرمصيره وإقامة دولته المستقلة على أرضه بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعى الوحيد...

وقال البيان. «وقد أعلنت الأطراف العربية المدعوة للمشاركة فى هذا المؤتمر.. وهى مصر وسوريا والأردن ومجلس التعاون الخليجى، قبولها للدعوة وللأسس التى يعقد عليها هذا المؤتمر. كما أعلنت حكومة إسرائيل قبولها المشروط بلاءاتها المعروفة.. ولم توجه الدعوة حتى الآن لمنظمة التحرير الفلسطينية، بما يشير إلى احتمال غياب التمثيل الفلسطينى الحقيقى، وبالتالى ضياع الحقوق الفلسطينية كاملة فى ظل هذا المؤتمر. وهذه نتيجة طبيعية للموقف العربى، الذى احترف تقديم التنازلات بلا مقابل، إلا كسب رضا الولايات المتحدة الأمريكية.

* فقد قبل حكام العرب -عمليا- قبل حرب الخليج على استحياء- وبعدها فى سفور وتبجح- استبعاد منظمة التحرير الفلسطينية من المشاركة فى المؤتمر على قدم المساواة مع الأطراف الأخرى.

* ثم قبلوا باللعبـة الأمريكيـة التى تستبدل المؤتمر الدولى للسلام، بمؤتمر اقليمى لايعقد فى إطار الأمم المتحدة والشرعية الدولية، وإنما إطار الهيمنة والنفوذ الأمريكى.

وقد ظلت سوريا تعترض حتى أيام قليلة على هذا المؤتمر الأمريكى ووضعت شروطا تمثل الحد الأدنى المقبول... ولكن الرد السورى



الأخير تنازل عن كل هذه الشروط، مكتفيا بممثل للأمم المتحدة. بعد اتصالات واسعة وجهود قام بها الرئيس حسني مبارك لإقناع الرئيس حافظ الأسد بالرد .إيجابيا على رسالة واقتراحات الرئيس الأمريكي بوش.

ثم قبلت مصر وسوريا بالطلب الأمريكي بمشاركة دول مجلس التعاون الخليجي، حلفاء أمريكا أو أتباعها المباشرين، رغم أن مصر وسوريا اعترضتا في البداية لعدم منطقية الطلب الأمريكي، والذي كان في الواقع شرطا إسرائيليا لضمان تطبيع العلاقات الإسرائيلية مع السعودية ودول الخليج واستفادتها من ثرواتهم البترولية. ولكن سرعان ماخضعتا للطلب الأمريكي..»

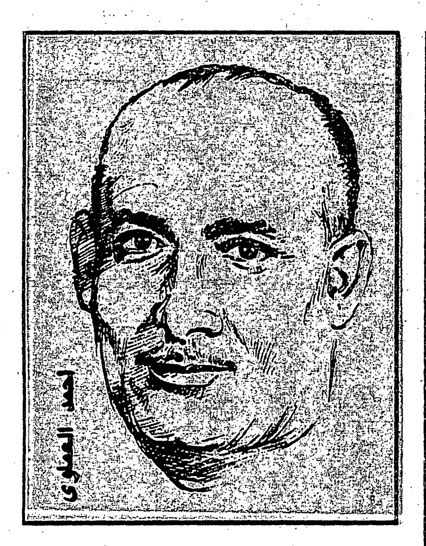
ومضى بيان الحزب الشيوعي المصري قائلا.. «وربط شامير قراره بقبول المشاركة في المؤتمر بعد القبول السوري، بشروط ستة تؤكد لاءاته الشهيرة..

- لالوجود منظمة التحرير الفلسطينية.
- لا لوجود ممثلين من القدس الشرقية.
- لا لوجود ممثلين من خارج الأراضي المحتلة.
- لالمناقشة وضع القدس المحتلة منذ عام ١٩٦٧.
- لا لعودة الجولان لسوريا.
- لالقيام دولة فلسطينية.

وقبلت الولايات المتحدة ووزير خارجيتها الشروط الاسرائيلية. واعتبرت الرد الاسرائيلي إيجابيا. وقبلت أيضا الحكومات العربية الموقف الاسرائيلي- الأمريكي الجديد، وطالبت منظمة التحرير الفلسطينية بالتنازل والمرونة والواقعية!

إن هذه الحقائق تقطع بأن المطلوب من الفلسطينيين هو الاستسلام التام، قبل انعقاد المؤتمر. فالمؤتمر يعقد في غياب ممثليهم الحقيقيين، وفي غياب أي طرف دولي مساندلهم، بعد إنضمام الاتحاد السوفييتي. للموقف الأمريكي، وفي ظل تخل عربي شامل عن أبسط الحقوق الفلسطينية.. إن انعقاد المؤتمر في ظل هذه المعطيات، وفي غياب التمثيل الفلسطيني الصحيح، لايعدو أن يكون خطوة للوراء، ستؤدي إلى «كامب ديفيد عربية كبرى» تكرس الهيمنة الأمريكية الاسرائيلية على المنطقة، وتلحق سوريا والأردن ودول الخليج بضلع «كامب ديفيد» وتحيق بإنتفاضة الشعب الفلسطيني أبشع الأضرار..»

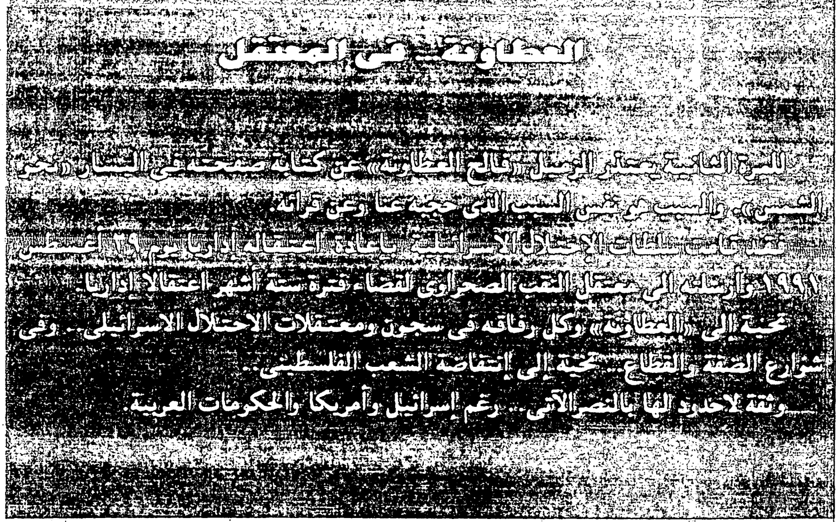
وختم الحزب بيانه قائلا... «فلنوحد جهودنا من أجل دفع الحكومة المصرية والحكومات العربية لرفض المشاركة في أي مؤتمر لايحضره ممثلو الشعب الفلسطيني الحقيقيون».


أحمد العماوي

العماوي ومرشح الجبهة الاسلامية السودانية يتنافسان في منظمة العمل العربية

بعد قرار وزراء الخارجية العرب بعودة منظمة العمل العربية إلى مقرها بالقاهرة، زادت فرصة أحمد العماوي رئيس اتحاد نقابات عمال مصر لتولي موقع نائب مدير عام المنظمة (ممثلا للعمال).. كان العماوي يجري اتصالات بهذا الهدف، خاصة خلال مؤتمر منظمة العمل الدولية الذي عقد في جنيف في يوليو الماضي.

في نفس الفترة كان منافس آخر للعماوي يبذل نشاطا مكثفا على هامش أعمال المؤتمر الدولي، وهو تاج السر عبدون سكرتير العلاقات الخارجية لاتحاد عمال السودان الموالي لنظام البشير العسكري، وعضو اللجنة العليا المكلفة من المكتب السياسي للجبهة الاسلامية السودانية (التي يقودها حسن الترابي) بعمل قانون للنقابات وتنفيذ التوصيات الصادرة عن مؤتمر الحوار النقابي الذي عقد في أغسطس ١٩٩٠. اللجنة مهمتها الإعداد لقيام بنيان نقابي بالسودان وفقا لرؤية الجبهة الاسلامية (نقابة عنصرية دينية) وهي أسلحة الحركة النقابية.



العطاونة في المعتقل

للمرة الثانية يعتذر الزميل «فالح العطاونة» عن كتابة صفحته في اليسار «نحو الشمس». والسبب هو نفس السبب الذي حجبه عنا وعن قرائه.

فقد قامت سلطات الإحتلال الاسرائيلية بإعادة اعتقاله إداريا يوم ٢٩ أغسطس ١٩٩١ وأرسلته إلى معتقل النقب الصحراوي لقضاء فترة ستة أشهر اعتقالا إداريا.

تحية إلى «العطاونة» وكل رفاقه في سجون ومعتقلات الاحتلال الاسرائيلي.. وفي شوارع الضفة والقطاع.. تحية إلى إنتفاضة الشعب الفلسطيني..

وثقة لاحدود لها بالنصر الآتي.. رغم إسرائيل وأمريكا والحكومات العربية.

موقفنا

مؤتمر السلام
الامتحان الصعب للأحزاب المصرية

حسين عبد الرازق

من حق كل وطنى مصرى وعربى- بل من واجبه- أن يسأل فى جزع، ماذا يريد حكام العرب، خاصة حكام الخليج ومصر بالفلسطينيين وبالأمة العربية؟..

ماذا «يدبّر» هؤلاء الحكام تحت اسم «مؤتمر السلام» ، وماذا يبيّتون- مع بوش- للشعوب العربية- شعوبهم- ولشعب فلسطين وأرضه وانتفاضته.

لم يترك السادة فى واشنطون مجالا لأى شك أو «لخبطة» أو اجتهاد فيما يريدونه من هذا «المؤتمر» ومايخططون لتنفيذه من خلاله.

ولعل فيما أذاعته وكالة أنباء الشرق الأوسط (المصرية الحكومية) من تفاصيل مذكرة التفاهم أو «رسالة التطمينات» المقدمة للفلسطينيين، مايكفى ويزيد لفهم الموقف الأمريكى، ورفضه.

فالمذكرة لم تتضمن أية إشارة إلى مشاركة مراقب من الأمم المتحدة، ولا إلى أى دور للمجموعة الاقتصادية الأوروبية.

وتكتفى بالإشارة إلى أن هدف مسيرة السلام هو التوصل إلى تسوية شاملة للصراع فى الشرق الأوسط على أساس القرارين ٢٤٢ و٣٣٨، **دون أى ذكر للانسحاب الاسرائيلى**. وهذا التجاهل المقصود يفسره **«جوزيف سيسكو»** مساعد وزير الخارجية السابق، الذى قال إن الموقف الأمريكى **يرفض التفسير العربى للقرار الذى يطالب بانسحاب إسرائيلى من كافة الأراضى العربية المحتلة**، ويرفض التفسير الاسرائيلى الذى لايقبل مقايضة الأرض بالسلام...**أى أن المطروح أولا تفسير القرار ٢٤٢ وليس تنفيذه ، وهو أول المطالب الاسرائيلية.وأن التفسير الامريكى لايتضمن العودة لحدود ١٩٦٧.**

وتحدد المذكرة الدول المشاركة فى القرار متضمنا بالإضافة إلى أطراف النزاع، **الأمين العام لمجلس التعاون الخليجى (كمراقب)** استجابة لطلب إسرائيل، لأسباب تتعلق بالدعم الاقتصادى ،ولعلاقات التبعية النموذجية التى تربط هذه الدول بأمريكا وإسرائيل، وموقفها المعادى العلنى والفعلى لمنظمة التحرير الفلسطينية وللشعب الفلسطينى.

وتقرر المذكرة تفضيل الدولتين (أمريكا والاتحاد السوفييتى) تشكيل وفد «أردنى- فلسطينى» مشترك للمفاوضات المباشرة فى مجموعات العمل على مراحل. وتضيف أن الجزء الفلسطينى من الوفد المشترك **«يجب أن يكون من فلسطينيين من المناطق..» و«لايوجد أى طرف بما فى ذلك إسرائيل سيجبر على الجلوس مع أى شخص لايريد الجلوس معه».** باختصار فإن الولايات المتحدة تتبنى الموقف الاسرائيلى، الذى يلغى حق الفلسطينيين فى اختيار وفدهم فى المباحثات.. فلابد من موافقة إسرائيل على الوفد الفلسطينى الذى لايضم أى فلسطينى من خارج الأراضى المحتلة، وأن لايكون للمنظمة أى علاقة بالوفد! والهدف النهائى الحقيقى للمباحثات هو إقامة حكم ذاتى فى أراضى فلسطينية محتلة لمدة خمس سنوات. ولايغير من هذه الحقيقة الحديث عن مفاوضات حول «المكانة النهائية» تبدأ بعد ٣ سنوات من ممارسة الحكم الذاتى. ولم يتجاوز **«ياسر عرفات»** الحقيقة عندما قال، إن الامريكيين يقولون لنا..«تعالوا يافلسطينيين اقبلوا وإن بالقوة بحكم ذاتى، وهذا أكثرما يمكن أن تحصلوا عليه.- والحالة هذه -علينا أن نقبّل يد السيد الامريكى ونشكره على هذه «النعمة» التى هى عبودية جديدة للفلسطينيين. أى أن المطلوب منى أن أشرع وأعطى «شرعية» صريحة للإحتلال الصهيونى. وعندما أوافق على الحكم الذاتى، معنى ذلك أننى أعطيت هذه «الشرعية» التى يريدونها، وبالتالى يتم تغييب القدس..»

وعندما حاول الفلسطينيون «حنان عشراوى» فى اللقاء مع بيكر طلب تعديلات على هذه المذكرة، ومن بينها ضمان حق تقرير المصير للفلسطينيين، **رفضت الولايات المتحدة الأمريكية، لأن الموافقة على حق تقرير المصير قد تعنى قيام دولة فلسطينية وهو مالاتقبله إسرائيل، وبالتالى ترفضه الولايات المتحدة الامريكية!**

وتمضى الولايات المتحدة فى تحديها للفلسطينيين ومنظمة التحرير الفلسطينية وضغوطها عليهم. فيعلن «جيمس بيكر» عقب تسليمه مذكرة التفاهم للفلسطينيين... «أن الفرصة الحالية للسلام هى أفضل فرصة تفرض نفسها منذ زمن طويل جدا ، وأن ضياعها سيجعل من الفلسطينيين أكبر الخاسرين ،لأنهم سيكونون من أكبر الرابحين اذا شاركوا فى عملية السلام...**إن رفض الفلسطينيين مقترحات السلام الأمريكية قد يؤدى إلى إجراء مفاوضات عربية إسرائيلية من دون مشاركة الفلسطينيين».** وعاد بيكر عقب محادثاته مع الملك حسين فى العاصمة الأردنية ليحذر من أن «الدول العربية المعنية بعملية السلام قد تقرر المضى فى مفاوضات سلمية مع إسرائيل اذا رفض الفلسطينيون المشاركة على أساس المقترحات الأمريكية.

إن الموقف الأمريكى واضح وقاطع، فهى مع الشروط والقيود الاسرائيلية كاملة ، فى الشكل والمضمون. وكل المطلوب من الفلسطينيين هو الخضوع والاستسلام. فكيف كان رد الفعل الفلسطينى والعربى؟!

رغم ادراك الفلسطينيين للحصار الذى يواجهونه وأن ظهرهم للحائط تماما ، لم يستطيعوا إلا أن يعلنوا عدم قبولهم للموقف الامريكى

أما الموقف العربي، فلو أخذنا بمنطوق قرار مجلس الجامعة العربية الذي عقد في القاهرة وأصدر بيانه الختامي يوم ١٢ سبتمبر الماضي، لبدا الموقف العربي متماسكا وجديرا بالاحترام. فالبيان يدعو «الاردن وسورية ومصر ولبنان وفلسطين الى التنسيق لايجاد موقف موحد للتوصل الى سلام شامل وعادل يستند إلى الشرعية الدولية» ويؤكد أن السلام العادل والشامل «لايمكن أن يتحقق إلا على أساس الانسحاب الاسرائيلي الكامل من كل الاراضي الفلسطينية والعربية المحتلة ،والجولان السوري المحتل». ويدعو البيان إلى «تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقوقه الوطنية غير القابلة للتصرف، بما فيها حقه في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته فوق ترابه الوطني في فلسطين وعاصمتها القدس. وأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني».

ولكن الحقائق والمواقف العربية الفعلية شئ آخر تماما.

فباستثناء التشدد السوري الأخير، عقب جولة بيكر. فإن الموقف العربي موقف سلبي تابع للسياسة الأمريكية بالكامل.

لقد اتخذت سوريا عقب اطلاع دمشق على مذكرة التفاهم الأمريكية لاسرائيل موقفا جديدا. فأعلن رسميون سوريون أنه رغم رغبة سوريا الشديدة في انعقاد المؤتمر وتحرك عملية السلام «لاتوافق على أن يدور الحديث في هذا الاتجاه (عقد المؤتمر دون الفلسطينيين) الذي سيؤدي إلى طرح حلول منفردة. فهي تتمسك بالحل الشامل، وتشدد على أن **المحادثات يجب أن تركز على سبل لتحقيق هذا الحل الشامل الذي لايمكن الوصول إليه من دون الفلسطينيين».**

وأضافت المصادر الرسمية.. «إن سورية لن تكون مرتاحة الى استبعاد حق تقرير المصير للفلسطينيين من أهداف مؤتمر السلام، كما أنها ليست مرتاحة الى تقديم واشنطون رسائل تطمينات إلى الأطراف تضمن لإسرائيل التزاما أمريكيا لتفسير معين للقرارين ٢٤٢ و٣٣٨، ولرسالة الرئيس الامريكي السابق «جيرالدفورد» الى الحكومة الاسرائيل في شأن الوجود الاسرائيلية في مرتفعات الجولان». وذلك في إشارة الى مذكرة التفاهم الامريكية التي سلمها بيكر لشامير، والتي تضمنت استمرار الالتزام الامريكي برسالة «جيرالدفورد» التي تنص على أن الولايات المتحدة «لم تتوصل الى صيغة لحل المشكلة المتعلقة بالحدود بين سورية وإسرائيل، وأنها عندما تفعل ذلك ستأخذ في الاعتبار، مبدأ استمرار الوجود الاسرائيلي في الجولان».

وصاعدا هذا الموقف السوري، والذي لايوجد مايؤكد استمراره الى النهاية، تبدو الصورة قاتمة.

فالقرار الجامعة بأن المنظمة هي الممثل الشرعي والوحيد، جاء بعد مناقشات حامية وحادة، واضطر رئيس المجلس الى تأجيل التصويت عليه الى نهاية الجلسة، أمام معارضة دول الخليج ودول عربية أخرى!

كما قدم المجلس تنازلا لأمريكا وإسرائيل في مجال «تطبيع» العلاقات العربية مع أسرائيل عندما وافق المجلس من حيث المبدأ- وبلامقابل- على حرية كل **دولة في إتخاذ القرار الملائم لها بالنسبة لمقاطعة الشركات التي تتعامل مع إسرائيل، «من باب حق السيادة»!!** وإحالة الموضوع الى مكتب «المقاطعة» لدراسته.

وتعثر عقد إجتماع للدول الخمس المجاورة لإسرائيل والمشاركة في المؤتمر، أمام اعتراض مصر. ورغم دعوة المجلس لعقد هذا الأجتماع، واحتمال أن يكون قد تحقق على هامش الدورة الحالية للجمعية العامة في نيويورك فإن التنسيق الحقيقي لايبدو أنه قابل للتحقيق الفعلي حتى الآن.

ويكاد يكون الموقف المصري- بعد مواقف دول الخليج التابعة للموقف الأمريكي الاسرائيلي تماما- هو أسوأ وأخطر المواقف.

فحكومة الرئيس مبارك، طرحت في اجتماعات مجلس الجامعة استبدال **كلمة «الصراع» العربي الاسرائيلي في قرارات وأدبيات الجامعة العربية،** بكلمة «النزاع» وأيد هذا الاقتراح الذي رفضه المجلس ٤ دول من بينها «الكويت».

عمرو موسى



وتمارس الحكومة المصرية ضغوطا هائلة على الفلسطينيين للقبول «بكل» الشروط الامريكية، والمشاركة في مؤتمر السلام مهما كانت التنازلات والشروط الامريكية.

وفي الوقت الذي يؤكد مجلس الجامعة دور المنظمة، ويعلن المبعوث السوفييتي «يفجيني بريماكوف» ..«أن اختيار الممثلين الفلسطينيين الى مؤتمر السلام يعود إلى الشعب الفلسطيني نفسه. **ونحن نعتبر أن منظمة التحرير الفلسطينية هي ممثلة الشعب الفلسطيني»** والاتحاد السوفييتي هو أحد الدولتين الداعيتين للمؤتمر.. يعلن «عمروموسى» **وزير خارجية مصر بشكل قاطع في حديث لمجلة** «نيوزويك» الأمريكية ..«يجب أن أقول أنه أمام المنظمة خيارات قليلة. ولدى أسباب للاعتقاد أنهم يدركون تماما هذه الحقيقة... ولكن المشكلة الفلسطينية تبقى مركز أي تحرك في هذا المجال. وسيمثل **الوفد الفلسطيني الفلسطينيون وليس منظمة التحرير الفلسطينية. وتعلم منظمة التحرير ذلك تماما».**

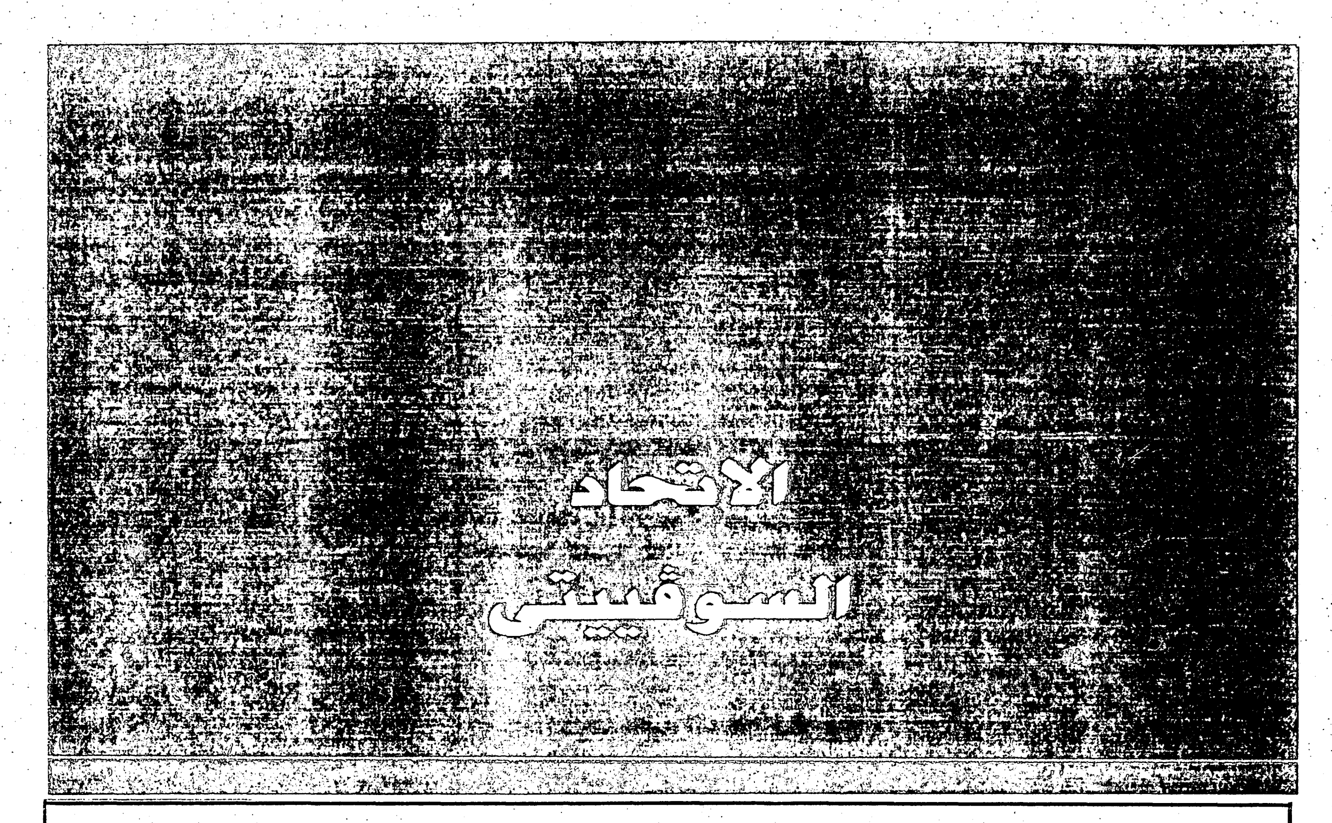
باختصار فإن دور حكومة مصر، هي تعميم وتعريب اتفاقيات كامب ديفيد التي حطمت الموقف العربي منذ عام ١٩٧٨، وقادتنا إلى كل الكوارث التي نعيشها اليوم.

وبيقى سؤال لابد من طرحه **أين القوى الوطنية المصرية التي تصدت لكامب ديفيد وساندت الشعب الفلسطيني والمنظمة؟.**

أين الأحزاب المصرية المشاركة في «لجنة دعم الانتفاضة» بل أين اللجنة ذاتها؟ أين اليسار المصري.. وأين التيارات الاسلامية.. وأين القوى الليبرالية الوطنية المصرية؟

ألم يحن الوقت لتتحرك، قبل ساعة الصفر، تحركا شعبيا منظما يلزم الحكومة المصرية بموقف صحيح مساند ومؤيد للحق الفلسطيني.. قد ينجح في دفع قوى عربية أخرى الى الموقف الصحيح ويدعم الانتفاضة والمنظمة؟!

إن الجميع يواجهون اختبارا لمصداقية كل ماطرحوه من شعارات ومواقف. ولابد أن يجتازوا هذا الإختبار بسرعة ونجاح... والا فليتحملوا مسئولية هزيمة عربية جديدة وقاصمة.



رسالة موسكو

لغز الانقلاب

اتفاق على حل وسط فسخه جورباتشوف في منتصف الطريق

أحمد الخميسى

هناك سؤالا يتزعمان ويقودان جميع الاسئلة المحتشدة المتحفزة التى صعدت مع انقلاب أغسطس إلى القمة، ثم انحدرت بفشل الانقلاب فتوارى بعضها فى ظلمات السجون مع القادة الثمانية، ووجد بعضها إجابات لاتحتمل الشك، وانتحر بعضها مع انتحار «بوريس بوجو» «وزير الداخلية» «والجنرال اخرومييف» مستشار جورباتشوف ثم «نيكولاى كروتشينا» مسئول شئون اللجنة المركزية. أسئلة مازال بعضها يسعى بين الظل والنور وهى تبدل جلدها وتروغ من صيغها ونفسها. وهناك ما قاله «جورباتشوف» -وبالأحرى مالم يقله- فى مؤتمر يوم الخميس ٢٢ أغسطس حين خاطب الصحفيين بعبارة: «لن أقول لكم أبدا كل ما اعرفه»!

سؤالان يشدان الأبصار إليهما، وأينما امتد البصر يعود فيتوقف عندهما.

الأول: هل كان الانقلاب سيناريو محكما بدا كالحقيقة أم حقيقة تهدرت ولاحت مثل سيناريو مهلهل؟.

ثانيا: ماهى طبيعة الانقلاب السياسية؟ وطبيعة الانقلابيين.. وما الذى أرادوه؟ وهل كان بوسعهم لونجحوا ان يعيدوا الاتحاد السوفيتى إلى ما كان عليه قبل البيرسترويكا؟

* * * * * *

استقبلت أوساط كثيرة ماجرى فى ١٩ أغسطس على انه عودة **«الصقور»** إلى السلطة، وعودة السلطة إلى النظام السابق، وأن ذلك محاولة لاستنهاض الدولة السوفييتية بتاريخها العزيز من الركوع فى الهاوية. لماذا استقبل الكثيرون الانقلاب على هذا النحو؟ وبهذه السرعة؟.

السبب أن الناس كانوا ينتظرون، ويترقبون، بل ويتمنون فى أعماقهم أن يرد أحد على مايجرى. أيضا لأن قادة الانقلاب كلهم من المحافظين المتشددين. ويكفى أن يكون وسطهم **«المارشال يازوف»**. ولأن البيان السياسى للانقلاب: **«نداء إلى الشعب»** تضمن عبارات يذكر رنينها بلغة القوة والكرامة السابقة. أخيرا لأن انقلابا على جورباتشوف لابد ان يكون انقلابا على

سياسته وبرامجه فى الداخل والخارج. وإلا فما سبب الانقلاب وما هى دواعيه؟..

ويحدث كثيرا أن يستقبل الإنسان أول طارق على الباب باعتباره الشخص المنتظر والمرجو، لأن الأمانى تشحن الانسان برؤية مايريده!

قدم القادة الثمانية وثيقتين إثنتين فى التاسع عشر من أغسطس. الأولى هى: «نداء إلى الشعب» وتضمنت مايشبه البرنامج السياسى للحكم الجديد. والثانية وهى القرار الأول للجنة الطوارئ، وتضمنت مايشبه **البرنامج الاقتصادى للقيادة.**

ولا أود أن أبدا من النهايات، لأقول أن برنامج الانقلابيين والانقلاب، هو برنامج البيرسترويكا نفسها وجورباتشوف شخصيا مع بعض التحفظات، **وأن ماجرى لم يكن انقلابا على البيرسترويكا وإنما مخرجا لها.** وإن كان ذلك هو التفسير الوحيد للغز الانقلاب. وسأبدأ من المقدمات، ليستنتج من يشاء ما يشاء..

ما الذى يطرحه «نداء إلى الشعب»؟.

لاتزيد هذه الوثيقة عن توصيف الواقع الراهن فى الاتحاد السوفيتى: **«انتعاش السوق السوداء»، «حرب القوانين بين المركز والاطراف»، «مستوى المعيشة المتدهور»** وكل ماتتضمنه يوميا عشرات المقالات الصحفية السوفيتية. هناك

الاتحاد السوفييتى

ثلاث عبارات فقط يمكن التوقف عندها: «إنه لايمكن الاعتماد على المساعدات الخارجية كحل»، و: «ترتفع أصوات كثيرة تطالب بتجزئة الاتحاد السوفيتى»، و: «اننا سنقطع دابر أية

شباب الروك وأصحاب المشاريع الخاصة وأموال رجال الأعمال يدافعون عن مبنى البرلمان الروسى

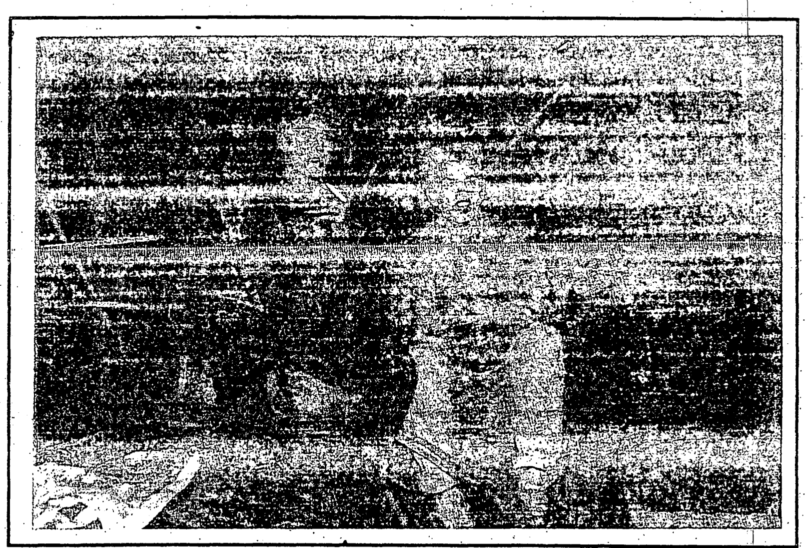
محاولة لمخاطبة بلادنا بلغة إملاء الشروط».

وبينما أطاح الانقلاب بجورباتشوف، فإن وثيقة الانقلاب السياسية لم تحمل جورباتشوف ولو بكلمة واحدة المسئولية عما جرى.. قيل فقط: «أن سياسة الاصلاحات التى بدأها جورباتشوف وصلت إلى طريق مسدود.. بفعل أسباب عديدة»، وليس بسبب قيادة جورباتشوف او نهجه أو سياسته العقلية الجديدة، لايهاجم النداء جورباتشوف ولايدينه ولاينتقض على برامجه بحرف واحد. مع انه قد نحى، وعزل، بعيدا فى **«فوروس»** بالقرم.

ولايلجأ نداء القادة الجدد- ولو من باب السهو أو العادة القديمة- ولو مرة واحدة إلى معارضة سلطة وحكم جورباتشوف من أرض النظرية الاشتراكية، وإذا أعاد أحد قراءة النداء فلن يجد وسط سطوره كلمة واحدة عن **الماركسية، أو الشيوعية.** ولايتضمن النداء حتى الاشارة إلى **التقاليد اللينينة،** كما أنه تجاهل تماما أى دور أو وجود للحزب الشيوعى ولو كديكور للانقلاب، وفى بيان سياسى كهذا، لم يجد واضعوه مكانا أو مكانة للشيوعيين أو دورا.. فتوجهوا بندائهم لجميع مواطنى الاتحاد السوفيتى.

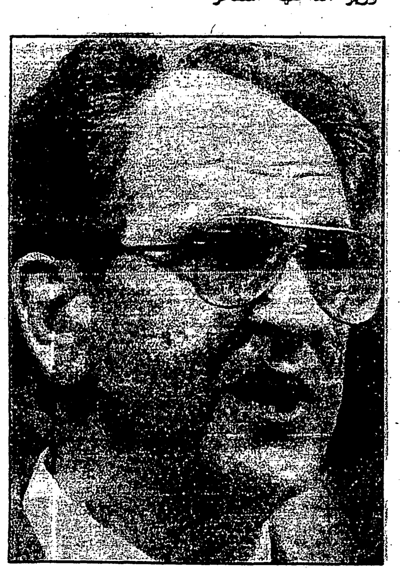
وبذلك حرص القادة الجدد على ألا يناقض خطابهم السياسى فكر البيرسترويكا، وحركتها، واتجاهاتها الآنية والبعيدة. كما

ثلاثة من شبان «الروك» المدافعين عن يلتسن أثناء الليل حول مبنى البرلمان الروسى..



بوريس برجو

وزير الداخلية المنتحر



حرصوا على عدم مهاجمة جورباتشوف ولم يكن ذلك تخـوطا لشيء أو ظرف، ولم تكن تلك خطة للحركة على المدى القريب..

ولم يكن القادة الجدد يريدون الاستيلاء على السلطة، فقد كانوا أعمدة السلطة نفسها والقائمين عليها.. وليس من بينهم شخص واحد إلا وكان جورباتشوف هو الذي رشحه وهو الذي رفعه ودفعه لأعلى: **المارشال يازوف، وكريوتشكوف، والأخرين..** ربما أرادوا الاحتفاظ بالسلطة وليس الاستيلاء عليها؟..

العبارات الثلاث التي تفوح بعطر الصقور القدامى والدولة الشامخة لاتعني شيئاً. فهي مقتطفات من النقد الذي تعرضت له البيرسترويكا كل يوم على صفحات الجرائد، وفي البرلمان.. ولكنها مع ذلك تعكس التحفظات الأساسية للانقلابيين، وهي تحفظات لاعلاقة لها بذلك الطارق المنتظر والمرجوا.

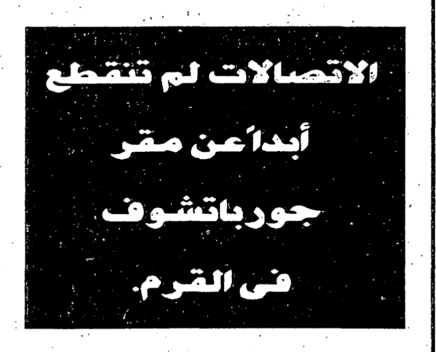
الوثيقة الثانية التي اشتملت على برنامج اقتصادي تجنبت أن تسترشد بحرف واحد من قاموس الاقتصاد الاشتراكي ولم تتحدث عن طابع الملكية العامة، أو علاقات الإنتاج الاشتراكية. كما انها هي الاخرى لم تتعرض بشيء لعلاقات السوق والاتجاه للاندماج في شبكة العلاقات الرأسمالية العالمية واكتفت بتكليف وزارة «بافلوف» بعدة مهام معجزة لايمكن تنفيذها، وأضافت إلى ذلك مصادرة كافة اشكال الحريات والصحف، دون أن تفتح ولو ثغرة واحدة لصيغة ديمقراطية شعبية تمكن من إدارة أوسع حوار حول أزمة المجتمع السوفيتي.

لقد تم الانقلاب لفرض حالة الطوارئ ليس إلا.. ولم يكن ذلك في مواجهة **البيرسترويكا أو ضدها، وإنما كمخرج للأزمة، وللبيرسترويكا نفسها.** ولم يكن جورباتشوف ضد مخرج من هذا النوع، وهي فكرة مطروحة منذ زمن بعيد في الصحافة والبرلمان والأوساط الحاكمة. فقد انفلتت الأمور وأصبحت أية خطوة من أي نوع بحاجة أولا وقبل كل شيء إلى سلطة تنفيذية قادرة على وضعها موضع التنفيذ.

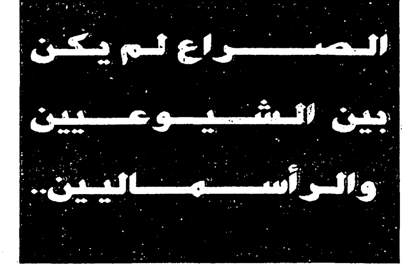
فما الذي قام به الانقلابيون ضد جورباتشوف؟ بينما لم تتجاوز حركتهم فعليا إعلان حالة الطوارئ. كما حرصوا ألا يناقضوا خطاب العقلية الجديدة سياسيا واقتصاديا.. هل كان هذا الحل مناسبا لجورباتشوف؟.. هل وافقهم جورباتشوف على اعلان الطوارئ ليتصيدهم بعد ذلك؟.

الاتحاد السوفييتي

الانقلاب لم يكن ضد البيرسترويكا.. وإنما كان مخرجاً لها



ليس صحيحاً أن المقاومة الشعبية هي التي أفشلت الانقلاب



هناك بلا شك صلة من نوع مابين جورباتشوف والانقلاب، خيط مشترك، قطعه جورباتشوف في لحظة مناسبة.

* * * * * *

في ١٩ أغسطس وقع الانقلاب، ومساء نفس اليوم اعلن «ياناييف» في مؤتمره الصحفي الوحيد: **«سيفهمنا الرئيس جورباتشوف، وسيكون معنا عندما يشفى»**، وقبل المؤتمر أعلن أمام قادة الجمهوريات ذات الحكم الذاتي: **جورباتشوف على علم بالاحداث، وسيلحق بنا فيما بعد»..**

في ٢٤ أغسطس ظهر «فالنتين بافلوف» رئيس الوزراء السابق على شاشة التليفزيون بعد اعتقاله. ظهر أمام عدسة الكاميرا واقفا في ممر طويل شبه معتم، لاح عند نهايته باب مغلق وظل حارس. وتكلم **بافلوف** بصوت خافت، مذهول، كأنه قادم من عالم اخر، وتمتم بعقل صاف تماما: **حالة الطوارئ نفسها ليست فكرة جديدة. لقد نوقشت امكانية فرضها من قبل في الصيف الماضي** «وأضاف كمن يرى عملا من اعمال السحر»، **أعتقد ان هذه المجموعة دخلت في لعبة، دون أن تدرك أبعاد هذه اللعبة حتى النهاية».**

ما هي هذه اللعبة؟ مرة أخرى هل كان الانقلاب سيناريو محكما بدا كالحقيقة؟ ام حقيقة تعذرت ولاحت مثل السيناريو المهلهل؟..

لم يكن الانقلاب سيناريو، لأنه من المستحيل ان يقبل «المارشال يازوف»، وكريوتشكوف وباكلانوف وبوجو والآخرون بلعبة ينطلق من أسلحتها الرصاص الحقيقي، وتكون المكافأة الوحيدة فيها لقاء الإجادة هي الموت والسجون.

لكن الانقلاب أيضا ليس حقيقة، لأن الانقلابيين لو عقدوا العزم على الامساك بالسلطة لما استطاع شيء أن يقف في طريقهم، وكانت معهم المخابرات والداخلية والجيش وهي الهيئات الحاكمة فعليا في الاتحاد السوفيتي.

الانقلاب اتفاق فسخه جورباتشوف في منتصف الطريق، اتفاق على حل وسط بين المحافظين وجورباتشوف، **وتركز أساسا على المعاهدة الاتحادية، ومصير الدولة.**

فلم يكن قادة الانقلاب ضد السياسة الاقتصادية الحالية، ولانهج العقلية الجديدة، ولكنهم أرادوا لكل ذلك ان يتم في اطار صيانة الدولة، كدولة ذات نفوذ وحدود، وليس في إطار الحفاظ على الاشتراكية.

ولم ينكسر الانقلاب عند صخرة المقاومة الشعبية كما يقال، ولكنه انكسر عندما احس قادته أن جورباتشوف فسخ الاتفاق، وانهم وقعوا في المصيدة، ولذلك قدم المارشال يازوف استقالته يوم الثلاثاء.. بعد يوم واحد من الانقلاب، كما انه لم يظهر لاهو ولا كريوتشكوف في المؤتمر الصحفي الوحيد الذي عقده يانايف يوم ١٩

* * * * * *

لماذا لم يكن الانقلاب انقلابا؟

يكتب «فلاديمير مكسيموف» في الأزفستيا ٢/٩/ متسائلا: «كيف يمكن تفسير أن قادة الانقلاب الذين وصلوا إلى إجراء متطرف كاعتقال رئيس الدولة، لم يقتربوا من ألد أعدائهم مثل بوريس يلتسين وياكفليف وشيفرنادذه؟ ترى هل نسى فلاديمير كريوتشكوف رجل المخابرات الأول أبسط قواعد العمل وهو الرجل الذي شارك في القضاء على حكومة المجر عام ١٩٥٦؟ ويمكن طرح مثل هذه الاسئلة إلى ما لانهاية».

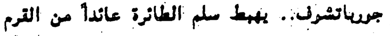
وأضيف ان الانقلابيين لم يمنعوا وزير خارجية جمهورية روسيا أندريه كوزويف من مغادرة الاتحاد السوفيتي بعد يوم واحد من الانقلاب وتركوه يسافر إلى فرنسا لينظم من هناك حملة دعائية ضذ المتآمرين؟!.

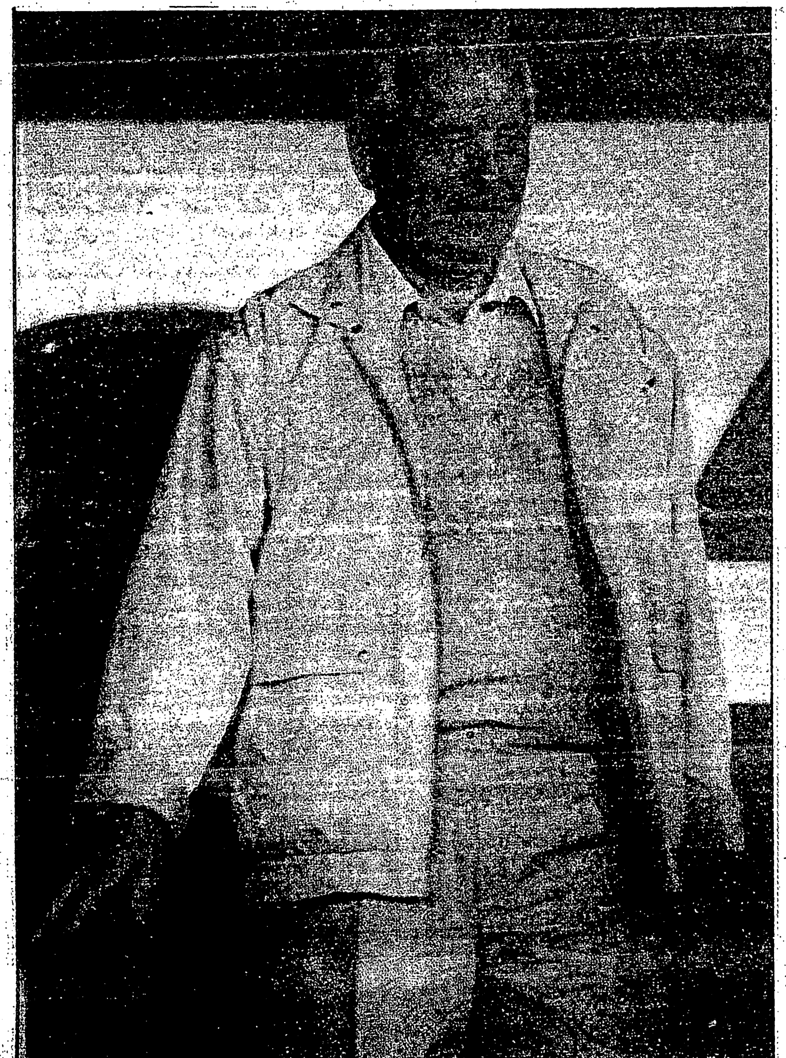
ولكن هناك حقائق أكثر غرابه تنفي أن يكون الانقلاب قد حدث، إلا باتفاق بين جورباتشوف وبين مجموعة الانقلاب.

ووفقا لرواية جورباتشوف عما جرى له،فإن المتآمرين قاموا بقطع الاتصالات عنه عصر يوم الاحد ١٨ أغسطس. وأنه كان محاصرا في فوروس، ومعتقلا. ومن المستغرب ان يتم اعتقال رئيس الدولة في لحظات كهذه وأن يترك له المتآمرون حرسا شخصيا مكونا من اثنين وثلاثين حارسا مدربا يحيطون به؟..

أيضا نشرت **«الصحف المستقلة»** مقالة يشير فيها كاتبها إلى ان فوروس لم تكن محاطة بأية قوات عسكرية من أي نوع، وذلك استنادا إلى مصادر مؤكده مطلعة. ونشرت **«أنباء موسكو»** رسالة من **فالنتين زانين** المدير العام لمجمع الاتصالات الانتاجي **بلينينجراد**، وهو أحد واضعي نظم الاتصالات في قصر جورباتشوف بفوروس. قال فيها:

قرأت في الصحف ما قاله الرئيس عن قطع الاتصالات عن بيته بفوروس، وأجزم لكم باعتباري خبيرا مختصا **إن عزل الرئيس بهذه الطريقة التي ذكرها جورباتشوف أمر مستحيل. ولايمكن قطع الاتصالات عن جورباتشوف الا بتدمير محطة الاتصالات الرئيسية، أو نقلها كما هي لمكان اخر، وهو الأمر الذي لم يحدث وفقا حتى لرواية الرئيس الذي لم يدع ذلك.** وهذا لسبب بسيط أن وزن هذه المحطة يصل لمئات الاطنان. واعتقد أن الرئيس هو الذي رفض بمحض اختياره تلقي المكالمات. ايضا أرجو أن تضعوا في اعتباركم ان بيت الرئيس


جورباتشوف.. يهبط سلم الطائرة عائداً من القرم



فى فوروس ليس مجرد بيت ريفى بسيط، فهو احد نقاط ومراكز إدارة الدولة المنتشرة فى البلاد. ويضم عدة محطات إتصال لاترتبط ببعضها البعض. ويمكن فصل الكهرباء وحينئذ سيعمل مولد كهربائى داخلى» فإذا أمكن إتلاف المولد الكهربائى» فإن هناك بطاريات ضخمة لتشغيل الإتصالات، فإذا أتلفت البطاريات، يمكن مد شبكة الاتصالات بالطاقة عبر جهاز يدوى.. فإذا استحال كل ذلك لسبب أو آخر فإن هناك طريقة أخرى لايسعنى الحديث عنها، لكنها لاتتطلب من الرئيس إلا ان يكون معه قلم وورقة بيضاء ليتصل بأية نقطة فى الاتحاد السوفيتى كله».

تفاصيل من هذا النوع كثيرة جدا..

فى جلسة البرلمان الروسى التى حضرها **جورباتشوف** بعد عودته للحكم يوم ٨/٢٣، قال له احد النواب: «نحن على قناعة تامه بأنك كنت على علم بالانقلاب... قبل وقوعه، وقد أكد **أناتولى لوكيانوف** ذلك فى مؤتمر صحفى بقوله «إن جورباتشوف وافق على قوام لجنة الدولة للطوارىء». **ماراًيك فيما يقال من أنك كنت ستربح فى الحالتين، فاذا نجح الانقلاب كنت ستظل رئيسا، وإذا فشل كنت بطلا حاول المتآمرون ازاحته؟.**

المغالطة الوحيدة فى حديث ذلك النائب انه ادعى أن المقاومة الروسية حول البرلمان هى التى افشلت الانقلاب، وليس جورباتشوف نفسه الذى دبر الانقلاب، والذى أحبطه!.

الاتحاد السوفييتى

فى ٢٣ أغسطس تكتب صحيفة **موسكوفسكى كمسموليتى**: «إن مسرحية الانقلاب توحى بوجود يد لجورباتشوف فيها ولو بصورة غير مباشرة، فمسرحية كهذه ستضفى عليه صورة الشهيد وترفع أسهمه، ومن ناحية اخرى فإنها ستمكنه من التخلص من خصومه».

ويكتب الكسندر بروخانوف فى **«كمسمولسكايا براقدا»** فى ٩/٣: «ان ماجرى هو عرض من عروض السيرك ونتيجة لهذا الانقلاب المسرحى يتم تدمير الدولة السوفييتية بكاملها، ويجرى تحت ستار الانقلاب المزعوم انقلاب اخر حقيقى. ولو أراد الانقلابيون ان يقوموا بالاستيلاء على السلطة فعلا كما يدعى البعض، لقاموا بعملهم كما ينبغى حتى النهاية».

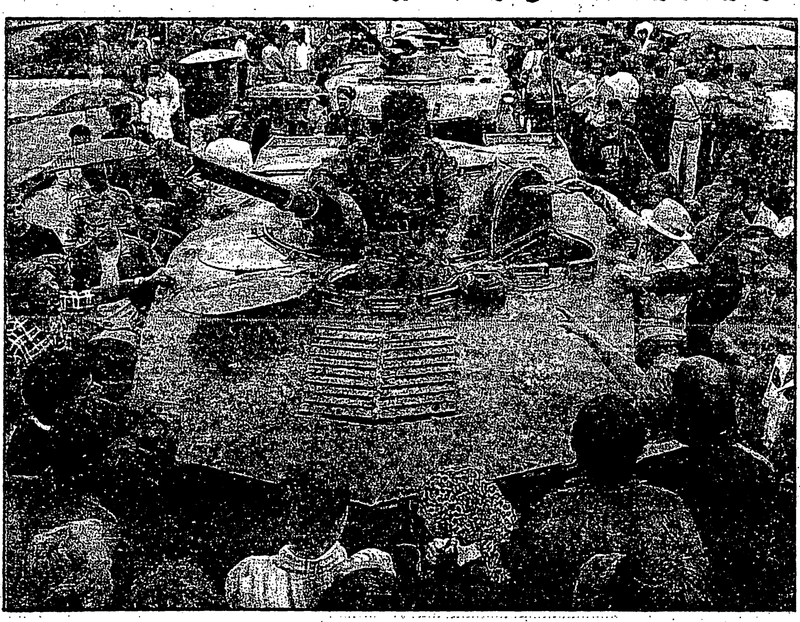
وتكتب **الكمسمولسكايا** قبل ذلك ٢٣ أغسطس: «تطرح اليوم مختلف الاحتمالات بصدد العلاقة بين الانقلابيين وجورباتشوف. ومن الواضح ان زمرة يانايف قد خططت لاجتذاب الرئيس إلى صفها، لأنه لم يكن بوسع تلك الزمرة ان تحافظ على علاقاتها بدول العالم من غير جورباتشوف».

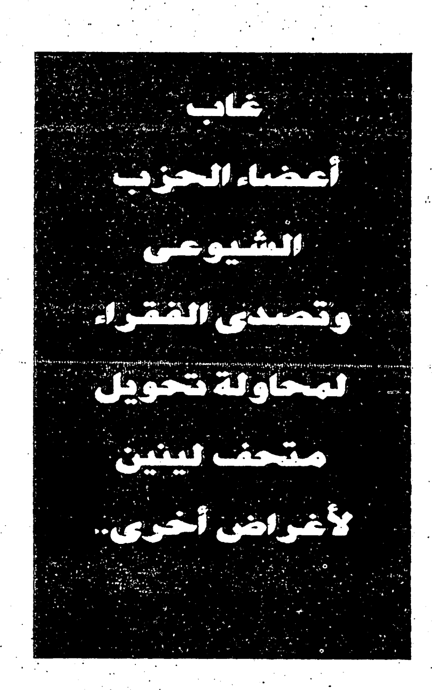
وقع الانقلاب يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء كان يلتسين يتلقى مكالمات خارجية من جورج بوش، وجون ميجور، وميتران الذى استمرت المكالمة معه ربع الساعة! أى انقلاب هذا؟.

والمفارقة الغريبة ان يصل القادة الثمانية إلى إعلان انقلاب تؤكد كل تفاصيله وأحداثه أنه لم يقع!.

أما عن حقيقة المقاومة التى يقال أنها تصدت للمتآمرين، تكتب **الايزفستيا** فى ٩/٢: **«لايمكن ألا نلاحظ ان البلاد- ماعدا جزء بسيط من عمال المناجم- لم تستجب لدعوة يلتسين للاضراب العام. بل إن العاصمة نفسها استجابت بشكل مترهل لدعوة يلتسين، ولم يدافع عن الحرية إلا الأقلية السياسية النشيطة، ووفقا لأكثر التقديرات تفاؤلا فإن عدد الذين احتشدوا حول البرلمان الروسى لايزيد عن مائة ألف، مع العلم بأن سكان موسكو يزيدون على ثمانية**

المواطنون يحيطون بالدبابات التى خرجت بلا ذخيرة





ملايين».

ولكنى حضرت تلك الليلة التى احتشد فيها الكثيرون للدفاع عن البرلمان الروسى، ولم يكن العدد يزيد عن ثلاثين ألف شخص، مات منهم ثلاثة أشخاص صدفة اثناء تراجع الدبابات التى وقفت هناك من دون ذخيرة أصلا، ويقول "الكسندر بروخانوف فى مقالته السابقة: «من هم الذين دافعوا عن البرلمان الروسى؟. شباب موسيقى الروك، المنتفعون الجدد من البيرسترويكا وأصحاب المشاريع الخاصة، الذين كانوا يشربون وراء المتاريس علب البيرة الالمانية ويدخنون السجائر الامريكية، ثم مجموعة الساسة المحترفين الذين كانوا يتداولون الميكرفون واحدا بعد الآخر ويديرون المسرحية كلها».

أيضا أشاع يلتسين ان قوات من الجيش انضمت اليه، لكن صحيفة كمسمولسكايا برافدا تنشر فى ٨/٢٢ حديثا مع الجنرال أندريه الذى قال: «من الكذب الشديد

الاتحاد السوفييتى

الادعاء بأن أيه قوات من أى نوع قد انضمت إلى يلتسين، أو ساندته».

وتكتب الكمسمولسكايا برافدا فى ٩/٥: «كان رجال الأعمال وأصحاب المشاريع الخاصة يحملون النقود للمحتشدين حول البرلمان الروسى، وكانوا يحملون حقائب كاملة محملة بمئات الملايين من الروبلات. ولم يكن ذلك عملا خيريا، فقداستثمرت تلك النقود فى الدفاع عن الحرية، وكل ما أحاط بالبرلمان الروسى تم شراؤه بتلك النقود: الاسلحة والطعام وشاحنات الرمال».

أما الإيزفستيا فتنشر فى ٨/٢٣ ان البنك الاستثمارى الروسى «أنكومبانك» وظف اثنى عشر مليون روبل للدفاع عن البرلمان الروسى وذلك بتوزيعها على المتطوعين لشراء الطعام والميكروفونات والسيارات واليافطات.. ويساوى ذلك المبلغ من الروبلات بسعر السوق السوداء ثلاثة ملايين دولار، فإذا وزع هذا المبلغ على ثلاثين الف مواطن بالعدل لكان نصيب الواحد مائة دولار مقابل ليله «فنطزيه».

فيما بعد خصص نفس البنك مليون روبل- بعد الانتصار- مكافأة لموظفى الداخلية ولجنة أمن الدولة والعسكريين الذين صمدوا فى تلك الليلة وقاموا بحماية أكبر البنوك والمؤسسات الخاصة.

وبعد ذلك فى ٩/١٢ صرح رئيس اتحاد المشاريع الخاصة فى التليفزيون، بأنه لولا دعم الاتحاد ماصمد أحد دفاعا عن الحرية».

لم يفشل الانقلاب إذن بسبب المقاومة المزعومة. وقد أراد جورباتشوف ان ينبه يلتسين لعدم المبالغة فى موضوع المقاومة فكرر عليهم فى البرلمان السوفيتى:

«كانت ثلاث طائرات تكفى وتزيد لتحطيم كل شىء».

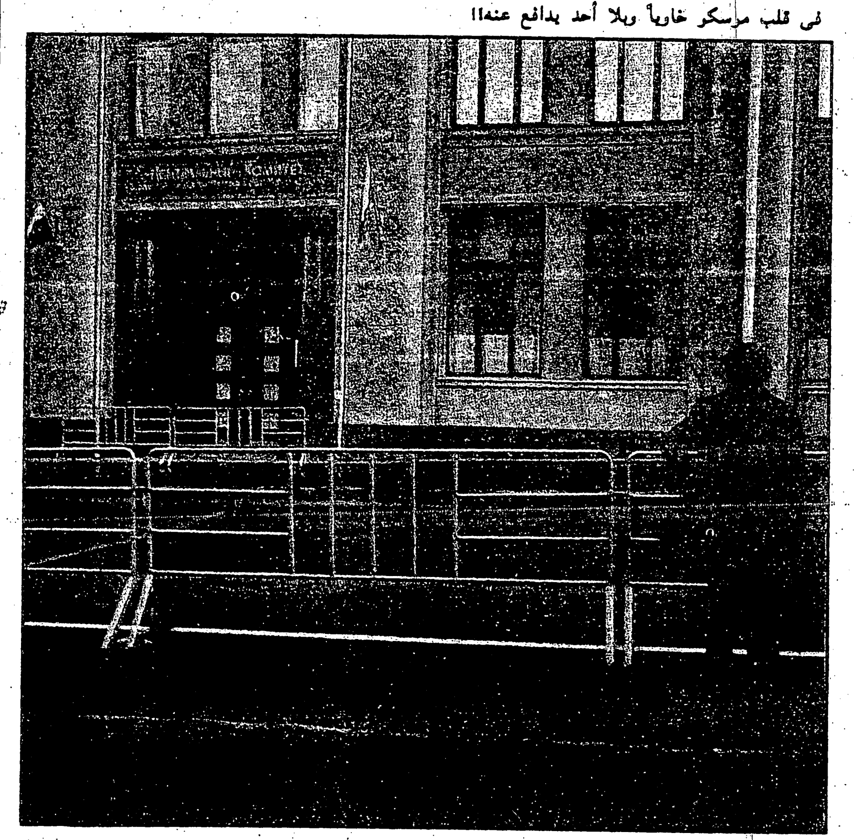
شىء اخير.. قيل إن الانقلاب فشل لان المارشال يازوف رفض استخدام القوة وكرر على زملائه: «لن أكون بينوشيتى روسيا». قيل ان ضمير المارشال قد صحا، فلماذا لم يستيقظ ضميره من قبل حينما سحقت دباباته البشر فى باكو، ثم تبليسى، ثم فيلنوس؟..

وإذا جاز لنا أن نتخيل سيناريو ماجرى، لقلنا انه كان هناك خلاف بين جورباتشوف والقادة المحافظين حول قضية اساسية هى المعاهدة الاتحادية، وكان معروفا ان هذه المعاهدة ستؤدى لهدم الدولة الاتحادية، وأن القادة الثمانية اقترحوا- وهو اقتراح وارد من قبل- فرض حالة الطوارىء..

وكان جورباتشوف يعلم- مع اقتراب موعد توقيع المعاهد- أن المحافظين سيحاولون إثارة هذه القضية بصورة أو اخرى. وأنها ستكون موضوعا للمناقشة. وكان قادة الانقلاب- يوم الاحد قبل الاحداث بيوم واحد- لدى جورباتشوف فى فوروس بالقرم، يحاورونه.. وكانوا على اتصال به بعد الانقلاب بيوم واحد ايضا. فالاتصالات لم تنقطع بينهم.

والأرجح أن الرئيس أوحى إليهم بأنه لايستطيع وحده مواجهة

مبنى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى فى قلب موسكو خاوياً وبلا أحد يدافع عنه!!



«الديمقراطيين»، ولايستطيع وحده مواجهة الحركات الانفصالية، وأنه لابد من وجود قبضة قوية وسلطة فعلية»..

هذه كانت بوابه الاتفاق.. أن يعلن القادة برضى **جورباتشوف**، مع التلميح بإمكانية عودته وهو مافعله ياناييف، على أن يقوم القادة بالتخلص من الاصلاحيين الاخرين.. ثم يعود جورباتشوف بعد ذلك.

ولكن جورباتشوف بعد أن دفعهم إلى مصيدة الانقلاب.. اغلق الباب عليهم. ربما تكون الأحداث قد وقعت بصورة مختلفة عن هذا التصور.. ولكننا غير ذلك نجد انفسنا أمام ثلاثة احتمالات لا أكثر:

١) ان يكون ماوقع سيناريو.. ومن المستحيل ان يقبل القادة بدفع حياتهم ثمنا لسيناريو..

٢) ان يكون ماوقع حقيقة.. وفي هذه الحالة كان لابد للقادة أن يسيطروا على الموقف دون أية عوائق من أي نوع..

٣) ان يكون ماجرى سيناريو بالاتفاق مع جورباتشوف، اتفاق فسخه الرئيس في منتصف الطريق. وهو الأرجح.. فاكتسبت الاحداث شكلها الغريب الذي بدت به...

ولعل السبب في انتحار **بوريس بوجو** وزير الداخلية أنه أحس انه خدع كما لم يخدع في حياته كلها. وهناك أسرار كثيرة منها ما لن يقله جورباتشوف أبدا، ومنها ما سيتكشف في التحقيق مع القادة، ولكن هناك سرا واحدا مذاعا ومعروفا **إن الصراع لم يكن، ولم يدر أبدا بين الشيوعيين والرأسماليين..** ولكن بين المحافظين الذين يريدون للدولة ان تستمر كما كانت، والاصلاحيين الذين يرون إستحالة ذلك، وأن إتهام الحزب بالمشاركة في الانقلاب إتهام موجه لشخص لاوجود له.. **كما أن الهجوم العنيف الذي انصب على الحزب ليس موجها للحزب، ولكن للفكرة.. وليس موجها ضد الشيوعيين ولكن ضد الشيوعية. ولم يستطع الحزب أن يدافع حتى عن مقراته بمظاهرة واحدة رغم أن بطاقات العضوية التي وجدوها في أرشيفه تصل إلى اربعين مليون بطاقة. ولم يستطع الشيوعيون ان يدافعوا حتى عن متحف لينين عندما قرر الإصلاحيون تحويله لاغراض أخرى، بينما وقف الفقراء في سلسلة بشريه أحاطت بالمبنى دفاعا عنه.**

.. بعد الانقلاب

لماذا تعلق الناس بقشة "المستبد العادل"؟

كان جوهر وهدف الحركة التي عرفت بانقلاب ١٩ أغسطس هو إعلان حالة الطوارئ، الفكرة التي ترددت طويلا من قبل. وطرحت هذه الفكرة علنا في البرلمان أكثر من مرة ووافق عليها **المارشال يازوف وكريوتشكوف وبافلوف** والآخرون. ولم يستبعد الكثيرون هذا الاقتراح باعتباره المخرج الوحيد من أزمة شلل السلطة خاصة في مجال الحركات القومية الانفصالية. وكان الواقع السوفيتي يطرح يوما بعد يوم انهيار السلطة المركزية. ولم يكن إعلان الطوارئ مجرد اجراء تحسبا لاحتمالات المقاومة والتصدي للسلطة، فلم يكن بوسع اية قوة التصدي لأحد اقوى جيوش العالم وإحدى اعتى أجهزة مخابراته. ولم تكن الطوارئ رد فعل على حدث ما.. لكنها كانت هدف الحركة الذي قامت لأجله.

الأكثر من ذلك أن ميولا شعبية لايستهان بها كانت تستسهل- في غياب الوعي- إعلان الطوارئ على أساس أنه لابد من وقف الفوضى، والاقتتال بين مختلف القوميات، والخروج من دائرة الثرثرة البرلمانية إلى عمل محدد، وكان الروس يطلقون على البرلمان: **«المكلمة»**. ومن المفهوم أنه عندما ينعدم الوعي السياسي وخاصة في ظرف معقد، يتعلق الناس بقشة **«السلطة القومية»، و«المستبد العادل»** لاسيما إذا قارنوا بين الاستقرار الذي وفرته قبضة الحكم فيما مضى والفوضى والصراع الذي منحته **البيرسترويكا** إشارة العلنية. ولم تكن الميول الشعبية وحدها هي التي تستسهل مخرجا كهذا، ولكن أجنحة السلطة المحافظة أيضا في الجيش والمؤسسات العسكرية والبيروقراطية ومخزن مؤيدي الحكم الذي تصورناه طويلا حزبا بل واشتراكيا شيوعيا.

وأوهم جورباتشوف المحافظين أنه لايرى هو أيضا مخرجا إلا باعلان حالة الطوارئ، في وضع لاينكر الكثيرون انه محمل بكل عناصر الوضع الطارئ بالفعل. وكان هذا الحل هو المنقذ الوحيد من خطر تفكك وانهيار الدولة الاتحادية، بالنسبة للمحافظين.

ولكن **جورباتشوف** الاصلاحي الكبير، وزعيم التجديد، كان أبعد نظرا من المحافظين وأدرك انه لم يعد ممكنا استمرار هذه الدولة على الأسس التي حافظت عليها من قبل.

وقد دفع جورباتشوف إلى إدراك تلك الحقيقة، الوضع الذي وجد فيه نفسه، فقد أرغمه الغرب على إدراك انه **لن يحصل**

مقابل التخلى عن لغة الشرق الفظة، إلا لغة الغرب العذبة، أما المساعدات والدعم الاقتصادى فإنها رهن بالتغييرات الحقيقية، وبالديمقراطية البرلمانية، وحرية الصحافة. ولم يكن بمقدور جورباتشوف رفض المساعدات والوعود بالدعم لان ذلك يعنى القبول بانعدام أية إمكانية للإصلاحات، ويهدم برنامج جورباتشوف كاملاً. وكان الغرب قد ألح طويلاً على ضرورة انفصال دول البلطيق، مع تغاضى الغرب نفسه عن مساعى الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى لنفس الهدف ونفس الاستقلال.

واستوعب جورباتشوف تماما أن التزامة ازاء الغرب بالتعددية الاقتصادية، والتعددية الحزبية يعنى فناء الدولة الاتحادية، وشل قدرته على توجيه الضربات للحركات القومية. وعمليا كان الموقف هو: إما نجاح الاصلاحات بدعم اقتصادى من الغرب، وأما الدولة الاتحادية التى كانت عوامل التآكل تنخرها من داخلها.

وكانت الحرب الافغانية قد كلفت الاقتصاد السوفييتى ستين مليار دولار، كما التهمت ربع المليون قتيل

الاتحاد السوفييتى

من الشباب السوفييتى، ومليون ونصف المليون قتيل من الافغان... وكل ذلك لإقامة الاشتراكية، أو بعبارة أدق لحماية حدود الدولة "العظمى السوفييتية. وكان الجيش السوفييتى أيضا قد دخل فى عدة صدامات مسلحة مع القوميات سقط فيها عدد كبير من الضحايا، كما تعرت فيها الدولة من أوراق التوت الفكرية التى استخدمتها الدولة كيفيا كانت تريد، وبكل التفسيرات، فى الداخل والخارج، بعد ان حنطت الدولة الماركسية ومن قبلها جثمان لينين.

وعند منعطف الاتحادية أو الاصلاحات تخلى جورباتشوف عن رفاقه، واختار مواصلة الإصلاحات، بعد أن أصبح واضحا - إلا للمحافظين - المفارقة الغريبة التى تقوم عليها الدولة السوفيتية. فالانفاق السوفييتى العسكرى يتجاوز انفاق الولايات المتحدة، على التسليح بمرة ونصف تقريبا، بينما يتخلف عنها فى مجال الخدمات الطبية بمرتين ونصف المرة، وبينما استطاعت الدولة ان تحتل المرتبة الأولى فى بيع الأسلحة فى السوق العالمية للسلاح، وبلغت حصتها من مجموع المبيعات ثمانية وعشرين بالمئة، احتلت هذه الدولة نفسها المرتبة الثانية والخمسين فى العالم فى مستوى معيشة السكان، والمرتبة الثانية والثلاثين من حيث متوسط الاعمار، والمرتبة الخمسين فى نسبة وفيات الاطفال. وتخلت الدولة السوفيتية منذ زمن طويل عن أن تكون دولة عظمى بفضل مبادئها العظيمة، وتجربتها الرائده، وواصلت بناء عظمتها اعتمادا على السلاح النووى، والدبابات، والمدافع. **ومرور الوقت كان يتضح اكثر فأكثر ذلك الصدع والخلل الغريب بين القدرة العسكرية الجبارة، وبين الانهيار الاقتصادى والدستورى والديمقراطى والتكنولوجى.**

لقد سقطت الاشتراكية تحت وطأة الدروع التى كانت تحمى الاشتراكية، لقد تزايد ثقل تلك الدروع شيئا فشيئا حتى انهكت من يحمونها، ووقع القادة السوفييت فى خطأ قاتل حين ركزوا على الدفاع العسكرى عن التجربة، بدلا من الدفاع بازدهار التجربة إنسانيا وديمقراطيا، وتشكلت من ذلك الخطأ فئات واسعة عسكرية وصناعية تستفيد ليس من الدفاع عن الاشتراكية، ولكن من الدفاع عن صناعة الدروع. وأدى هذا الحرص على الاشتراكية إلى خنقها فى الاربعينات والخمسينات.

وشكلت البيروقراطية نظاما اقتصاديا، ليس عيبه الأول انه اصبح يقوم على الأستغلال. ولكن عيبه الأول انه لم يعد قاصرا على الانتاج، ولعل الاتحاد السوفييتى هو البلد الوحيد فى العالم الذى توصلت فيه البيروقراطية إلى رص الاختراعات العلمية الحديثة، والعلماء، فى طابور أمام مكتب، انتظارا لحلول الدور لتبحث اللجنة فى أهمية الاختراع العلمى فتسمح بتنفيذه!.

وأثناء أزمة الخليج دافعت أقلام كثيرة سوفيتية عن صدام حسين، وحاول البعض ان يجد له تبريرا لغزوه الكويت معللا ذلك بان الكويت كانت محافظة عراقية ذات يوم، أما الاقلام الأخرى الاكثر صراحة، فدافعت عن


جورباتشوف فى القرم بعد فشل الانقلاب

الاتحاد السوفييتي

بيع السلاح للعراق وما يدره ذلك من دخل على البلد.

ولكننا ظللنا طويلا ننظر إلى الاتحاد السوفيتي نظرة خاصة، لاختلاط نشأة الدولة السوفيتية بالاشتراكية وبالثورة وبمثل العدالة والخير. وظللنا طويلا ننظر إليه نظرة خاصة لسبب اخر هو أن **السوفييت كانوا القوة الوحيدة عالميا التي تصدت للولايات المتحدة والغرب الذي استنزفنا قرونا متعاقبة، وقعت الدولة السوفيتية بإعزاز خاص في العالم الثالث، لانها مثلت لذلك العالم القدرة على توجيه الضربات للدولة الامريكية الهمجية.** لقد خلقت المواقف السوفيتية في مجرى الصراع السوفييتي الامريكي اعزازا واسعا لتلك المواقف في العالم الثالث. **الموقف من العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، وعدوان ٦٧، وغيره بالنسبة لمصر وبلدان اخرى كثيرة،** وفي نفس الوقت كانت مواقف سوفييتية أخرى تثير البلبلة، مثل الموقف من الحرب العراقية الايرانية، والموقف من حصار بيروت، وغيرها، وكان من الممكن التقاط فكرة أن مايحكم هذه المواقف ليس الصراع بين الاشتراكية والرأسمالية، ولكن الصراع بين دولتين عظميين.

ولكننا بحكم التاريخ الاستعماري الغربي الطويل، وبحكم اختلاط بدايات الدولة الاشتراكية، بالدولة السوفيتية، وجدنا في أحلامنا نصيرا لنا، يوجه الضربات التي نعجز عنها إلى الاستعمار، بغض النظر عن دواعي تلك الضربات في الحقيقة. وغابت بديهية بسيطة وهي ان دولة تقوم بقمع شعوبها في الداخل، لايسعها ان تحرر شعوبا اخرى في الخارج.

وكانت الدولة السوفيتية تنمو يوما بعد يوم، وتنمو معها ازماتها، حتى كبرت الدولة على الثوب الاشتراكي فتمزق من فوقها، ثم انهارت هي نفسها تحت وطأة، تناقضاتها.

وكان الصراع بين المحافظين- الذين يريدون استمرارية الدولة- وبين الاصلاحيين وزعيمهم جورباتشوف. ولم يدر الصراع بين الشيوعيين والرأسماليين. فالمحافظون هم أيضا دعاة للنظام الرأسمالي، ولكن مع عظمة الدولة. وكانت منابر ومعاقل المحافظين الفكرية تبكي- ليس على الاشتراكية- ولكن على الدولة كوجود ضخم، وجسم عالمي ذي وزن وثقل ومصالح. ولم تتمكن كل منابر المحافظين من تقديم برنامج عمل أو حركة للناس، رغم ان صحفا كثيرة كانت تقع



الدفاع بالمدرعات عن الاشتراكية خنقها في الاربعينات والخمسينات

أفغانستان كلفت الاتحاد السوفييتي ٦٠ مليار دولار.. وربع مليون شاب سوفييتي!!

تحت سيطرتهم مثل «سوفيتسكايا روسيا»، و«النجم الأحمر»، و«البرافدا» وغيرها..

وفي تلك المحنة، كان اليسار العربي، ويسار العالم الثالث، يهاجم البيروسترويكا مطالبا الاتحاد السوفييتي بالعودة إلى الاشتراكية، وحينما تدور المقارنة نظريا بين الاشتراكية وبين الرأسمالية، وبين الاشتراكية والبيروسترويكا، فمن الطبيعي ان يقف اليسار إلى جانب الاشتراكية في مواجهة جورباتشوف..

ولكن المقارنة الحقيقية لاتدور بين الاشتراكية والرأسمالية. المقارنة هي بين «تلك الحالة السوفيتية المحددة اقتصاديا وسياسيا» وتلك الحالة الرأسمالية الاخرى المحددة، تلك الحالة السوفيتية المحددة والمفلسة انسانيا أولا وقبل كل شيء، واقتصاديا، حيث انحط الاقتصاد إلى مستوى تبادل السلع بالسلع، وتلك الحالة الرأسمالية الاخرى التي- ايا كانت أزماتها وتاريخ نهبها للثروات- فإنها منتجة، ومثمرة، وذات نظام اقتصادي فعال.

وعندما نسقط المصطلحات، وعندما نسقط التسميات، سيتعين علينا ان نتخير بين نظامين أولهما رأسمالية حققت في تاريخ الانسانية الديمقراطية وماراكمته من حقوق وصيغ برلمانية وحرية صحافة الخ، وثانيهما قام على حكم شمولي مستبد، معتبرا أن تاريخ التطور الديمقراطي هو سمة برجوازية وأن الديمقراطية القائمة على التعددية الحزبية والبرلمانية هي نتاج الرأسمالية. على الرغم من انه في كل ماتوصلت إليه الرأسمالية قسط من نضال انساني واسع سبقها وتخللها.

اننا اذا اسقطنا: «فكرتنا» عن الاتحاد السوفييتي، وتعاملنا معه باعتباره تلك الحالة المحددة، مقارنة بالرأسمالية، سنجد- وهنا سر الأزمة وسبب انهيار التجربة- ان الرأسمالية قد حققت اكثر بكثير مما حققه الاتحاد السوفييتي.

وهناك سؤال واحد يمكن طرحه الان:

هل لم يكن أمام الاتحاد السوفييتي في مواجهة أزمته طريق اخر إلا الاصلاحات والمضي على طريق الرأسمالية؟..

نعم كان هناك- نظريا- طريق اخر. الوقوف لمراجعة التجربة تاريخيا، واحياء جوانب التجربة الفكرية، وإدارة اوسع حوار حول التجربة، ونشر الحريات الديمقراطية، والاعتماد على الأساس الاقتصادي العريض من تصنيع وتأميم،

واستعجال كل ذلك للمضى إلى الأمام.

ولكن ذلك الاحتمال نظرى. لانه لاتوجد فى الواقع قوة أو قيادة قادرة أو صاحبة مصلحة فى هذا الاحتمال. فالجسم السوفييتى الاشتراكى الضخم، جسم بلا رأس.

وقد اكدت الاحداث الاخيرة ذلك، حينما نفى الحزب الشيوعى السوفييتى نفسه بنفسه من ساحة الصراع، ممالئا جورباتشوف، وساعيا من خلفه بذيلية. ولم يتمكن القادة الشيوعيون المعارضون مثل ليجاتشوف من فعل أى شىء، وانتهى تاريخهم النضالى والحزبى بمجرد عزلهم وفصلهم عن مقاعد السلطة، انتهى تاريخهم لانهم كانوا وظلوا مجرد موظفين حزبيين، دافعوا ويدافعون عن مصالحهم وامتيازاتهم.



ولذلك فان الاختيار الحقيقى أمام الاتحاد السوفييتى هو: تلك الدولة، بمآسيها وازماتها وانهياراتها الاقتصادية، او طريق الاصلاحات الرأسمالية واشاعة الديمقراطية (التى يعرفها الغرب) داخل المجتمع السوفييتى.

ولهذا لم يكن الصراع بين جورباتشوف (حامل الفكرة الرأسمالية) والمحافظين (حملة الفكرة الاشتراكية).. ولكنه كان صراعا بين جورباتشوف زعيم الاصلاحيين، والمحافظين قادة الدولة.

وعندما يتساءل البعض ألم يكن بوسع جورباتشوف ان يقوم إلابما قام به ؟ الم يكن امامه طريق اخر؟ فأنهم يضفون على مايقوم به جورباتشوف صفة التعمد والقصد والاختيار ويضفون على البيروسترويكا صفة التعمد والقصد والاختيار. ولنا ان نتصور فرصة الاختيار القائمة أمام قيادة لاعلاقة لها بالاشتراكية وهى تواجه مأزقا اقتصاديا عنيفا؟. وعندما نقارن بين الاحتمالات، فاننا- بحكم الواقع السوفييتى- لانقارن بين: الاحتمال الاشتراكى للحل، والاحتمال الرأسمالى، واحتمال الدولة السوفييتية السابقة. كلا. اننا نقارن بين حالتين فقط: الدولة القديمة، أو الاصلاحات الرأسمالية. الاحتمال الاشتراكى احتمال نظرى، ينبثق من امانينا نحن، ومن رغباتنا نحن، ومن تاريخ طويل من معاشرتنا نحن لحلم أسقطناه على الدولة.

وعندما نقارن بين الحالة السوفييتية المحدده، ونظامها الاقتصادى المحدد، وبين الاصلاحات الرأسمالية، سيتضح لنا ان الاخيرة خطوة إلى الأمام! بالقياس لفظاعة الوضع القائم، ولو كان الاختيار بين الاشتراكية والرأسمالية لاخترنا الأولى.

شىء آخر.. واخير.. لقد أثارت البيرسترويكا الغضب، والاسف والاستياء المرير، ومن الغريب الا ينصب نفس الغضب والاسف بكل طاقته على ماسبقها، اليس الاصلاحيون الذين نراهم اليوم هم شيوعيو الامس؟. هل وصل جورباتشوف إلى السلطة من خارج الحزب الشيوعى؟. هل كانت قيادة البيرسترويكا حتى المؤتمر السابع والعشرين عام ٨٦ قيادة اشتراكية صميمة ثم تبدلت فجأة؟ اليس قادة تلك الاشتراكية هم أنفسهم قادة هذة البيروسترويكا ؟..

ان الذين يقارنون بين جورباتشوف وبين الحالة السابقة عليه، يقارنون بين الشىء ونفسه فى لحظتين، ويحاولون الفصل بين الصوت والنبرة.

وأتذكر الان أن أول مقالة كتبتها حول الوضع السوفييتى كانت عن المؤتمر السابع والعشرين للحزب عام ١٩٨٦، ونشرتها الأهالى حينذاك، وكان يترأس تحريرها حسين عبد الرازق، وأذكر حماستى فى تلك المقاله للنافذه الديمقراطية التى فتح جورباتشوف ضلفها على مصراعيها، وأذكر ايضا الأمل الكبير الذى انتشلنى حينذاك من الشكوك،

ليجاتشوف



وانني اختتمت تلك المقالة بعبارة: «ان الحزب الذي فتح الأرض للاشتراكية يواصل طريقه العظيم».

الاكثر من هذا، انني عندما اخذت اكتب رسائل موسكو لمجلة اليسار، كنت مازلت احتفظ بالامل، أو بأمل ما، ان يتكشف الواقع عن قوة قادرة على صيانة ماتصورناه، وكانت البيرسترويكا قد اتضحت، أما تلك القوة التي تخيلت انها كامنه في مكان ما فلم تكن قد عبرت عن نفسها، وكنت انتظر لحظة خروجها إلى النور. لكن العام الاخير، والاحداث الاخيرة، والانقلاب بالذات، قد نحى جانبا كل شيء تقريبا، ماعدا التشبث الزاعي بأن بناء عالم جديد لايتم مرة واحده.

واذكر انني عندما وصلت إلى موسكو عام ٧٢ للدراسة في الجامعة، كنت مذهولا من الشوارع الضخمة العريضة النظيفة، ومن المظهر الخارجي للمساواة بين الناس، ومن مجانية التعليم والعلاج والمواصلات، ومن الخبز الذي كان عمليا يوزع بالمجان في المطاعم.. ومن التواضع الشديد للمواطن السوفييتي بالقياس لما أنجزه وحققه.

وكانت مظاهر الفقر- او انعدام الرفاهية- واضحه، وكان العزاء الوحيد هو العدالة. وكنت أعزي نفسي بالحوار الذي دار ذات يوم بين أحد القادة الفيتناميين واحد القادة الامريكيين بعد تحرير فيتنام، فقد سأل الاخير:

-الم تخسر فيتنام في صراعها مع أمريكا أكثر بما لايقاس مما لو كانت قد طاوعت أمريكا ومضت في ركابها؟.

وأجابه القائد الفيتنامي:

-نعم لو طاوعنا أمريكا لكانت خسائرنا اقل بكثير جدا.. لقد انتصرنا فوق أرض مخربة وفي بلد تحطمت بيوته ومصانعه. لكن هذه المسألة لاتحسب بحساب كهذا، فقد كسبنا حرية الإرادة ان نحيا كما نشاء نحن.

وكنت كلما لاحظت وجها من وجوه الأزمة السوفيتية أعود لاستند إلى هذه الفكرة، فكرة انه لايجب التوقف عند ظاهرة الفقر او غيرها، فمن الافضل ان يعيش الانسان فقيرا مع الشعور بأنه لايظلم احدا وبأنه ليس مظلوما، من ان يعيش ثريا وسط مجتمع من البؤساء لان الانسان لايكون سعيدا وحده أبدا. وكنت أفكر أن الاتحاد السوفييتي كسب مبدأ ان يعيش بحرية وان يرسي على أرضه ماشاء من المبادىء والمصانع ولو كانت متخلفة.

وكان والدي في بيروت حينذاك، وكتبت له رسالة اقول فيها: «إنني اعيش في المستقبل، وأكتب لك من أرض المستقبل، انني اعيش الزمن الذي راود احلام المثقفين واليساريين من ابائنا».

لقد غاب الاتحاد السوفييتي، ومنيت الاشتراكية بهزيمة، ومع ذلك فأن هذا لايعني ابدا ان الاشتراكية لم تنتصر. فقد انتصرت بالفعل ولو للحظة، ولو لسنة، ولو لعامين اثنين او عشرة، لقد ولدت وماتت. والمهم ان ذلك المخلوق السياسي والاقتصادي والانساني قد ولد مرة، وخرج إلى النور ذات يوم..

وسيظل مخفوظا لموسكو وللتجربة التاريخية التي مزقت النسيج الرأسمالي العالمي ذلك الاعزاز العميق في القلب، طالما انه كان اعزازا- ليس للمدن والعناوين- ولكن للمبدأ، والفكرة، المبدأ الذي اطلق نفسه اسم «موسكو»، والذي تغنت به القصائد. ولازال حيا في ذاكرتي ووجداني صوت ابي الخير الجهير وهو يرن في اسماعي وانا صغير.

الاتحاد السوفييتي

قيثارتي خفاقةٌ بعواطفي
واليومَ ياموسكو جدلت وتارها
وعزفت حبي فاقبلي انغامهُ
تنسابُ من مهج الملايين التي
موسكو يغنيك التحايا شعبنا
واليوم، والغد في حياة بلادنا
ومواضع شهدت معاركنا، فما
كالقلب ينبض بالدم الخفاق
بمودتي.. وترنمت أعماقي
هيمانة عربيةَ الأشواق
عشقت بطولة شعبك الخلاق
وجراحنا المنزوفة الأعماق
وتراثنا في أمجد الأعراق،
نسيت ضحايا شعبنا العملاق

* * *

أغنيك ياموسكو وأجنحة السنى
وآه لهذا النور.. إني عبدته
وكان بقلبي في المهالك قوةً
وكان كأمي في خيالي تضمني
أغنيك ياموسكو فتشفي مواجعي
ويحلو غنائي كالغرام مع الصبا
فأنت جبين سامق شع زهوه
تهيم بطير الفجر فوق الأزاهر
وقاتلت كي يهفو- وحوش الدياجر
تقيل عشاري تحت طعن الخناجرِ
وتلثمُ في جمسي جراح الغوادرِ
وتصبح أنوائي عزيف قياثر
وتفرح أحلامي وتصفو مشاعري،
جميلا، كزهو النور بين الدياجر

كتب أبي هذه القصيدة عام ١٩٥٨ بعد رد العدوان الثلاثي على مصر، وا الانذار السوفييتي، وقد مر عليها الان أكثر من ثلاثين عاما.. لكن زهو النور الذي حلمنا به مازال مشعا لاينطفئ.

أحمد الخميسي





بوريس يلتسين

فتوة الحى.. البهلوان.. البطل.. راعية الرأسمالية

فريدة النقاش

«.. ربما سيعود جورباتشوف إلى موسكو بعد أن يفشل الانقلاب لكنها الآن مدينة يلتسين»

هكذا قالت مجلة **«النيوزويك»** الأمريكية عندما لاحت أول بوادر فشل انقلاب التاسع عشر من أغسطس، وكانت صورة **«يلتسين»** على مدفع الدبابة أمام **«البيت الأبيض»** الذى هو مقر جمهورية روسيا الاتحادية أشهر من صور قادة الانقلاب.

وحتى يصل الى هذه اللحظة كان «بوريس يلتسين» البالغ من العمر ستين عاما قد انتقل كبلهوان من موقع لآخر.. من شيوعى متحمس ينقد نفسه نقدا ذاتيا لأنه أخطأ فى حق حزبه، إلى رئيس جمهورية روسيا الذى يتخذ قرارا بوقف نشاط الحزب الشيوعى فى مؤسسات «دولته» وذلك بعد أن كان قد استقال من الحزب قبل شهور.

إن قصة صعود «يلتسين» المليئة بالنقاط الغامضة والفجوات والوقائع الدرامية هى واحدة من القصص النموذجية التى تلخص مايجرى الآن فى الاتحاد السوفيتى منذ أعلن **«ميخائيل جورباتشوف»** فى سياسته الجديدة «البيرسترويكا» و«الجلاسنوست» سنة ١٩٨٥ إلى أن وقع الانقلاب وفشل.

ولد يلتسين **«سفردلوفسك»** بالأورال سنة ١٩٣١ وعاش حياة فقيرة خالية من

البهجة حين كان أفراد الأسرة الستة ينامون جنبا إلى جنب «المعزة» على الأرض. وهو يتذكر نفسه دائما كفتوة الحى الذى دخل فى عراك طويل مع مدرسة أساءت معاملته الى أن تم نقلها نهائيا من المدينة. وحين يحكى فى كتابه كل هذه الحواديت لا يتوقف أبدا أمام حقيقة أنه رغم هذا الفقر **استطاع أن يتعلم «مجانا» ويصبح مهندسا ثم مديرا لأحد المصانع فى منطقته.**

لم يدخل «يلتسين» الى الحزب الشيوعى إلا بعد أن بلغ الثلاثين من العمر أى فى العام ١٩٦١.

وهو يكتب قصة انضمامه للحزب ساخرا فى كتابه الذى وجهه أساسا للرأى العام الأمريكى وصدر بعد زيارته الشهيرة لأمريكا فى عام ١٩٨٩ والتى تكشف فيها بعض جوانب شخصيته كسكير «**وبهلوان ضحل الثقافة**» كما كتبت الصحف الأمريكية فى حينه وأطلق على كتابه اسم «معارض من الجذور». يقول عن انضمامه للحزب انه من بين الأسئلة الكثيرة التى وجهوها لى كان السؤال التالى:

- فى أى صفحة من أى مجلد من كتاب رأس المال لماركس يشير إلى علاقات السلع- بالنقود؟

- يقول يلتسن.. ولما كنت أعرف على وجه اليقين أن الممتحن لم يقرأ ماركس أبدا بدقة، وأنه على أى حال لايعرف بالضبط ماهى علاقات السلع بالنقود فقد أجبت بسرعة هازلا:

- المجلد الثانى ص٣٧٨

فأجابنى الممتحن بهزة رأس حكيمة

- حسن جدا أنك تعرف ماركسك جيدا.. وبعد ذلك أصبحت عضوا بالحزب. الشيوعى».

ومن المؤكد أن هذه الفقرة فى كتابه سوف تستوقف كثيرين ممن عرفوه عن قرب. حيث خرجوا جميعا بانطباع واحد هو أنه لايحب

الاتحاد السوفيتى

المناقشات الجدية، ولايصمد لأى منها، ويرفض بطريقة غوغائية مواصلة النقاش.. سوف يسأل هؤلاء ترى هل عرف يلتسين» حينذاك ماهى علاقات السلع بالنقود ولكن المؤكد أنه يعرفها الآن لأنه الداعية الأشد حماسا لاقتصاد حر بلاضوابط ولاقيود من أى نوع وذلك بعد أن كان قد قضى عشرين عاما على الأقل فى خدمة التخطيط كحزبى وكمدير مصنع:

لمع اسم يلتسن فجأة فى منطقته كداعية للإصلاح بعد انطلاق البيرسترويكا، فجاء به جورباتشوف الى موسكو وسانده ليحظى بموقع سكرتير الحزب فى العاصمة وليرتقى بسرعة ليصبح عضوا مرشحا بالمكتب السياسى لاحق له فى التصويت.

ومن موقعه هذا قدم نفسه كداعية للتغيير الجذرى، وشن هجوما عاصفا على البيروقراطية الحزبية ونقد جورباتشوف لأنه «**رجل الحلول الوسط**».

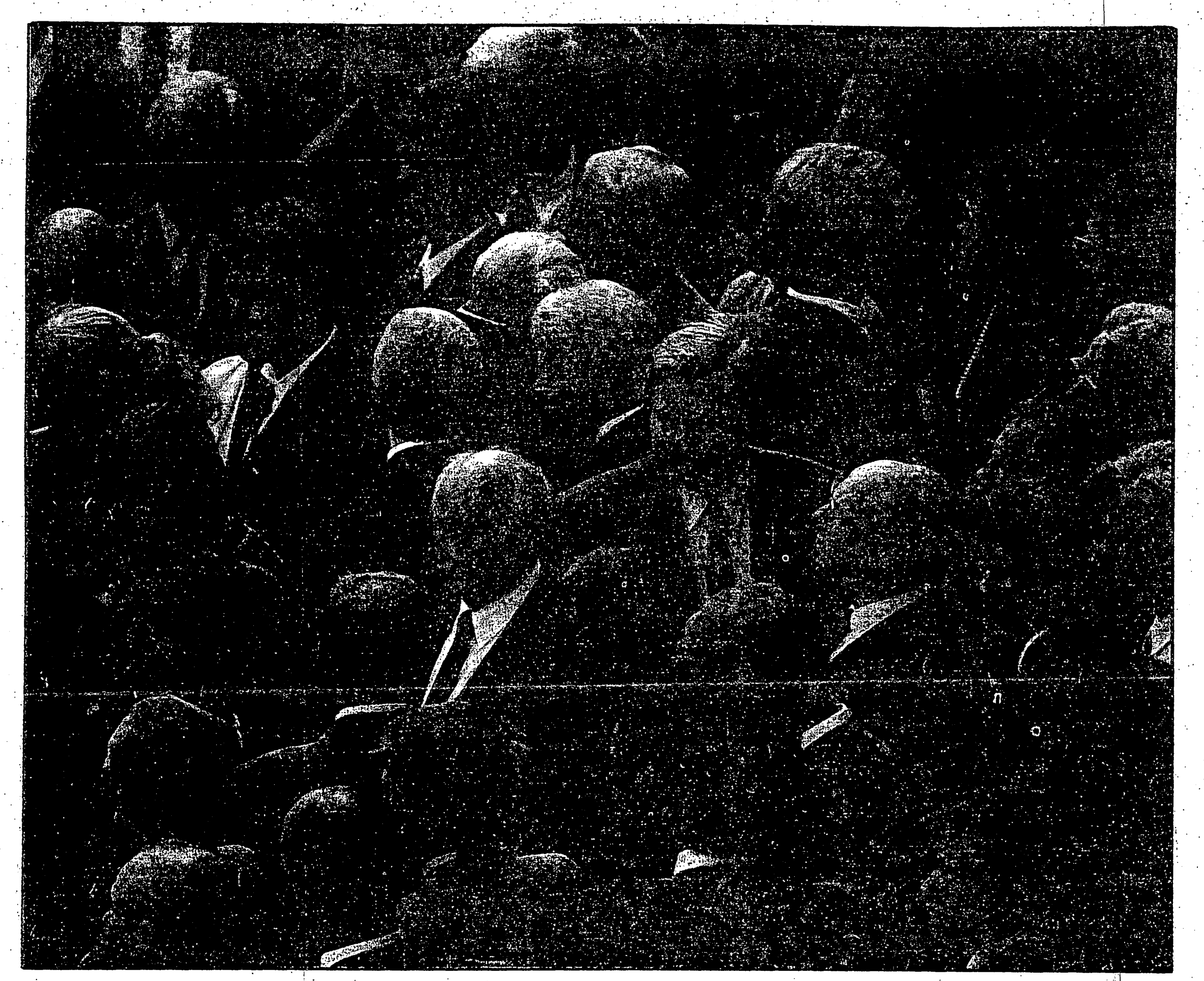
وكان قد أخذ يظهر فى شوارع موسكو مستخدما المواصلات العامة وواقفا فى طوابير الخبز واللحوم، حتى ألهب خيال الجماهير المستاءة من فساد البيروقراطية وشح السلع والصعوبات المتزايدة للحياة.

وعلت نغمة النقد وازدادت حدة وشن فى اجتماع مغلق حملة شعواء على «رئيسة» زوجة جورباتشوف واتهمها بالبذخ فى الانفاق لتصنع نوعا جديدا من عبادة الفرد لها ولزوجها، وقال إنها تتقاضى مبالغ من المال عن عملها التطوعى فى رئاستها للجنة حماية التراث. ثم نقد زيارتها للأسطول ووقوفها بين الجنود لالتقاط الصور وهو مالم يحدث من قبل، ثم اختتم حملته بالقول إنها تريد أن تكون سيدة أولى.

وكانت قصة طرد «يلتسين» من رئاسة المنظمة الحزبية فى موسكو ومن المكتب السياسى بعد حملة منظمة قادها «ليجاتشيف» عضو المكتب السياسى- حتى ذلك الحين- عام ١٩٨٧، حتى تساءل البعض هل ياترى سيكون طرد «يلتسن» مقدمة لطرد جورباتشوف نفسه على اعتبار أن يلتسين يستعجل الوصول إلى النهاية على الطريق الذى بدأه جورباتشوف. وكان هجوم الشيوعيين حين يرتفع ضد «يلتسين» يلسع وجه «جورباتشوف».!!، بعد طرده من الحزب نظم خصومه اجتماعا عماليا حاشدا فى أحد المصانع بهدف التصديق الشعبى على الطرد، الا أن بعض القيادات العمالية التى كان سلوك يلتسن قد بهرها رفضت ذلك وتضامنت مع دعوته للاسراع بالاصلاحات والخلاص من البيروقراطية.. ثم فاجأته أزمة قلبية لجامها وراجت شائعة أنه حاول الانتحار.

بعد ذلك قام يلتسين بعملية نقد ذاتى قال فيه إنه قد انساق وراء طموحه وأنا نيتة. وكان «ليجاتشيف» قد وصفه بعدم النضج وشدة الطموح، وقال جورباتشوف «**إنه يضع أطماعه الشخصية فوق مصالح الحزب**» وبعد عودته الى الحزب رشح نفسه فى الانتخابات البرلمانية التى خاضها لأول مرة مستقلون لم يرشحهم الحزب وحصل على ٨٩٪ من أصوات الناخبين.

وكان الإعلام الغربى والإعلام السوفيتى الجديد قد استكمل رسم صورته باعتباره الشجاع التلقائى غير الهياب الذى يطارد الفساد والبيروقراطية حتى نهاية الدنيا. ولم تكن حكايات ثروته السرية قد شاعت بعد، وقال كلمته الشهيرة «**إن الناس لم يكونوا يصوتون لى بل ضد البيروقراطية**»



جورباتشوف وسط حشد من المشيعين لجنازة ضحايا الانقلاب

الاتحاد السوفيتى

كان دخول يلتسين الى البرلمان بداية مرحلة جديدة فى حياته، فهناك شكل مع آخرين المجموعة البرلمانية الإقليمية من دعاة الإصلاح، وأصبح منذ ذلك الحين الشخصية المناوئة لجورباتشوف الحانقة عليه بعد أن

أخذت الفروق بين الشخصيتين تظهر، كان جورباتشوف حتى ذلك الحين وقبل أن تسقط النظم فى أوروبا الشرقية واحدا بعد الآخر، يدعو لإصلاح الاشتراكية، أما يلتسين فكان يقدم نفسه كداعية للإصلاح على الطريق الرأسمالى وإطلاق الملكية الخاصة وقال عن جورباتشوف.

«إن الخطأ يكمن فى التكوين الأساسى لشخصيته، فهو يحب أن يعيش حياة مريحة بل مرفهة وتساعده زوجته فى ذلك وهى لاتدرك- لسوء الحظ- كيف أن ملايين المواطنين السوفيت ينظرون اليها عن قرب تملؤهم مشاعر الغيرة حين يشاهدون صورها فى وسائل الاعلام، فهى تريد أن تبقى فى الصورة وتلعب دورا مرموقا فى حياة البلاد»..

وعلى العكس تماما من «رئيسه» فان «أنستاسيا» زوجة يلتسين نادرا ماتظهر فى الحياة العامة بل تعيش حياة عائلية خاصة بين بنتيها وحفيدتيها وحفيدها «بوريس» وهى بطبيعة الحال لاتستطيع أن تنافس «رئيسه» الأنيقة أستاذة الفلسفة وسيدة المنتديات التى نافست حتى زوجات الرؤساء الأمريكيين. وتقول الصحف التى تلوك فى

السير الشخصية للمشهورين أن قصة محاولة اغتياله كانت ملفقة من أولها لآخرها وأن الأصل فيها أنه كان قد ذهب -سرا- لعشيقته فألقت عليه طشت ماء مما أصابه بأنفلونزا حادة فهل دلقت عليه الماء لأنه كان سكرانا؟ ربما وربما تكون قصته هو حقيقية..

«.. كنت فى الطريق لزيارة صديق- وكعادتى- صرفت السائق مبكرا لأمشى قليلا إلى داتشا صديقى فى(منزله الصيفى)، وفجأة ظهرت خلفى سيارة مسرعة دفعتنى من فوق الجسر لأسقط فى النهر وأسبح حتى أصل الى قسم الشرطة..»

الاتحاد السوفييتى

وفى قسم الشرطة طلب إليه الضباط أن يخفوا محاولة اغتياله حتى لايصاب مؤيدوه بالزعر!

وحين إنتقال يلتسين من الحزب عام ١٩٩٠ قائلا إن بلاده هى الوحيدة فى العالم التى تدخل الى القرن الواحد والعشرين «بأيديولوجية عقيمة من القرن التاسع عشر، إننا آخر السكان فى بلد هزمته الاشتراكية».

وحين رشح نفسه لرئاسة جمهورية روسيا فى يونيه ١٩٩١ قالت النيوزويك للمتحمسين «لاينبغى أن ننسى أن يلتسن كان شيوعيا حتى العام الماضى فقط»..

قالت المجلة ذلك تعليقا على محاولاته الكثيرة لتملق الغرب وتقديم نفسه باعتباره رجل الديموقراطية العنيد، وبعد أن أدرك مؤيدوه أن موجة الكراهية والاحباط السائدة فى البلاد بعد الارتفاع الفلكى للأسعار

أنصار يلتسين يرفعون صوره وشارة النصر..



وسعار حملة التلويث للحزب وللماضى كله، الذى بدا على حد قول لنجاتشيف «وكأنه سلسلة لاتنتهى من الأخطاء والخطايا».

وأنه فى ظل هذه الظروف يمكن ركوب موجة الاحباط وتحويلها لمعاداة الحزب.

وعلى العكس من أقرانه فى الكرملين صعد يلتسين بطريقة زئبقية ملتوية على أنقاض الماضى كله، ذلك الماضى الذى كان شريكا فى صنعه على أعلى مستويات السلطة. وبأسم التغيير الشامل لبس فى أمريكا قبعة الكاوبوى، وقال لدى نزوله الى المطار أنه يريد أن يصنع فى بلاده «**ديموقراطية كذلك الشئ الجميل الذى يعرفه الأمريكيون**» ومثله مثل كل الرجال والنساء الذين يصعدون الآن بسرعة فلكية فى الحياة العامة «تطور يلتسين ونضج كما تقول التايم الأمريكية..

«**من تكنوقراطى طموح الى قائد حزبى مشاغب شبه بلطجى الى مصلح قهور شاذ**»

لكن الجزء الأخير من حكايته حدث بسرعة كبيرة يعجز المراقب عن تتبعها بدقة.

إلا أن حكايته مع الانقلاب الفاشل لابد أن نعيد قراءتها فى ضوء ماكتبه سنة ١٩٩٠ حين قال «إن آخر الاخبار والشائعات فى موسكو تقول ان انقلابا يجرى إعداده للتنفيذ فى دوره الانعقاد التالية للجنة المركزية ويستهدف طرد جورباتشوف من منصبه كأمين عام وإبقائه كرئيس لمجلس نواب الشعب.

ولكننى لا أصدق هذه الشائعات واذا ماحدث ذلك **فسوف أدافع عن جورباتشوف، نعم سوف أحارب من أجله، من أجل خصمى اللدود عاشق الحلول الوسط والخطوات الوسط ان هذه التكنيكات التى يفضلها سوف تفضى به الى السقوط فى آخر المطاف إلا إذا أدرك نقطة ضعفه فى**

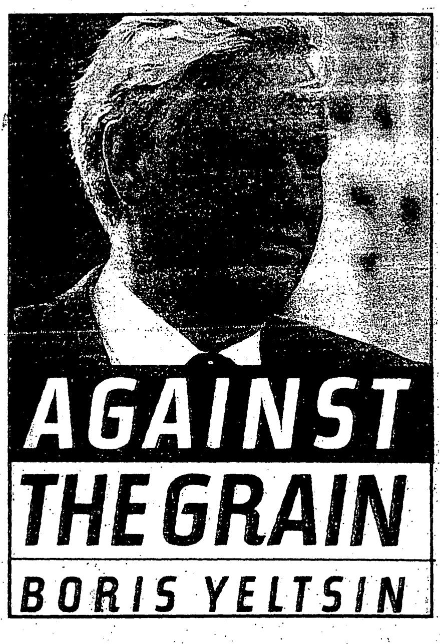
الاتحاد السوفييتى

الوقت المناسب.»

وحين وقع الانقلاب تصرف «يلتسين» بالضبط كما كان قد كتب، حتى وصفته الصحف الأمريكية بأنه بطل موسكو ورجل الأقدار وقال عنه الشاعر «إفتوشنكو»...

«لقد وقف يلتسين على برج دبابته دون أن تحيط به أشباح حكام الكرملين بل أحاط به روس حقيقيون لم يتلاشوا بعد..»

كان هؤلاء الذين أحاطوا «بيلتسين» أقرب الى المتفرجين الذين وقفوا ينظرون اليه بدهشة وهو يلبس حلة أنيقة للغاية مرتبة ومكوية، وبعد قليل كان يدخل الى «البيت الأبيض» مبنى جمهورية روسيا التى يرأسها ليغير حلته بواحدة أخرى أجمل وعلى الموضة كان يقوم بهذا العمل ثلاث مرات يوميا وهو



تحت الحصار حيث «كان لديه دولاب كامل مرتب» وهو ما يذكرنا بولع الرئيس الراحل «أنور السادات» بالموضة حتى أن إحدى المؤسسات اختارته ذات مرة أشيك رجل فى العالم، ولايستطيع أحد أن يتنبأ الآن إن كان جورباتشوف أم يلتسين هو الذى سيحظى بهذا اللقب عن قريب!؟!

على كل حال يقول «يلتسين» أنه لولم يكن لدى جورباتشوف يلتسين لكان عليه أن يخترعه كضرورة.. فعلى أول الطريق الذى وقف فيه جورباتشوف يقفز يلتسين إلى آخره مستهدفا تصفية تراث الإشتراكية والحزب الشيوعى الذى تجرى ملاحقة أعضائه ومناضليه وإغلاق مقراته، وتقول مجلة **التايم الأمريكية**

«**إن اجراءات دكتاتورية كبرى يجرى اتخاذها الآن وبسرعة فائقة ضد الدكتاتورية السابقة، ويسأل رجال يلتسين كل من يقابلهم هذا السؤال..**

- أين كنت حين وقع الانقلاب واذا لم يكن الشخص المعنى قد وقف أنيقا- على برج دبابة فإنه يصبح مشكوكا فيه وملاحقا.

والحق أنه لم يتوفر وقت حتى الآن للرئيس يلتسين لكى يقرأ خطة جمهورية روسيا للتحول الى الاقتصاد الحر لكنه وقع عليها، ولما كان الناخبون قد صوتوا له كرئيس للجمهورية بناء على وعد منه بتخفيض الأسعار فلعلهم سوف يتأملون فى حقيقة النتائج التى أفضى إليها الجرى وراء الأوهام».. حيث يتسابق الآن فرسان.. يلتسين وجورباتشوف تدفع بهما دفعا مصالح جديدة كانت تنمو ببطىء فى ظل الفساد القديم وقد واتتها الفرصة الا أن سباق الفرسين هذا ليس هو آخر المطاف فى أهم أحداث القرن العشرين وأكبرها أثرا على مسيرته وهى ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى.



شهادة وفاة الحزب الشيوعى السوفيتى أم ميلاد جديد؟!

حسين عبد الرازق

فى ٧ نوفمبر ١٩١٧، وبعد ٢٠ عاما من تأسيس «حزب العمال الاشتراكى الديمقراطى الروسى» استطاع «البلاشفة» فى الحزب إقامة أول دولة اشتراكية فى العالم فوق أراضى الامبراطورية الروسية «القيصرية» السابقة.. دولة العمال والفلاحين والجنود.. ليبدأ تاريخ جديد لشعوب هذه «الامبراطورية»، وللقارة الأوربية، وللبشرية جمعاء.

كان الحزب قد انقسم أثناء مؤتمر عام ١٩٠٣ حول تكتيكات العمل الثورى، إلى جناحين.. الأكثرية (البلاشفة)، والأقلية (المناشفة). وفى سبتمبر ١٩١٧، كان «البلاشفة» أو «الحزب الشيوعى» بزعامة «لينين»، يقود لجان العمال والفلاحين والجنود الثوريين، ويقود السوفيات للاستيلاء على السلطة وإعلان ثورة أكتوبر الاشتراكية.

وقد اكتسب «الحزب الشيوعى السوفيتى»، «حزب لينين» العظيم، سمعة أسطورية هائلة استمرت أكثر من ٧٠ عاما.. امتدت منذ لحظات الميلاد الثورى المجيد خلال شهر نوفمبر ١٩١٧، وحتى أيام قليلة مضت فى شهر أغسطس ١٩٩١.

عاش ملايين وملايين داخل بلادهم الجديدة «اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية» «وملايين غيرهم على امتداد قارات الأرض الخمس.. ومع توالى السنين والعقود.. يتذكرون- ويقرأون- تفاصيل أيام الخلق الثورى، والصراع بين الحكومة المؤقته وسوفييت «بتروجراد» لينينجراد بعد ذلك- وسوفييتات العمال والفلاحين والجنود، والهجوم على مقر الحكومة المؤقته فى قصر الشتاء، والحوارات والمناقشات فى مقر رئاسة أركان الثورة فى «سمولنى»، والحرس الأحمر وبطولاته، والمدمرة «أوووورا»، وصدور مرسوم الأرض ومرسوم السلام.. وانتصار الثورة.

ومازالت تفاصيل هذه الأيام حية فى الشوارع والمتاحف والأنهار فى «لينينجراد» وموسكو وكل العواصم والمدن التى شاركت فى الثورة، وفى عشرات الكتب خاصة كتاب الصحفى الأمريكى «جون ريد» فى كتابه «عشرة أيام هزت العالم» والذى صاغ فيه كشاهد عيان صورة شاملة حية لملحمة ثورة الجماهير الشعبية الروسية وانتصار أول ثورة اشتراكية.

ويضيف «جون ريد» «فى كتابه جلسه مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا» فى اليوم التالى للثورة (٨ نوفمبر ١٩١٧).. «كانت الساعة الثامنة والدقيقة الأربعون تماما حين انطلقت موجة عارمة من الهتاف والتصفيق معلنة ظهور أعضاء هيئة الرئاسة وبينهم لينين، «لينين العظيم». مربوع القامة قصيرها، ورأس كبير، أصلع نافر الجبين متين. مستقر على الكتفين. عينان صغيرتان، وأنف جسيم، وفم عريض لطيف، وذقن كبيرة حليقة بدأت تنمو عليها لحية صغيرة، شد ما هى شهيرة فى الماضى والمستقبل.

وثوب رث، وبنطلون أطول من القامة بعض الشىء ليس مهيبا ليكون معبود الجماهير، ولكنه يحظى بحب واحترام لم يحظ بمثلهما إلا القليل من القادة فى التاريخ. إنه زعيم شعبى نسيج وحده، زعيم بفضل قوة إدراكه ليس إلا، بعيد عن كل بهرج، غير مستسلم للأهواء صلب، لايتزعزع خال من

ميول لماعة، إلا أن له قدرة جبارة على الكشف عن أشد الافكار تعقيدا بكلمات فى منتهى البساطة، وتقديم تحليل عميق للوضع المحدد يجمع بين المرونة الحصيفة والشجاعة الفكرية البالغة. تلا «كامينيف» تقريراً عن أعمال اللجنة العسكرية الثورية: الغاء عقوبة الإعدام فى الجيش، إعادة حرية الدعاية السياسية إطلاق سراح الجنود والضباط المعتقلين بجرائم سياسية، أمر بإعتقال كيرنسكى، ومصادرة مؤن المواد الغذائية من المستودعات الخاصة.. تصفيق عاصف. ومن جديد تكلم ممثل «البوند» ثم تكلم ممثل «المناشفة الأممين».. وتكلم خطباء آخرون، يبدو أنهم أخذوا الكلام دون أن يكونوا مسجلين مسبقا «وها هو ذا لينين على المنبر. كان يقف ممسكا بطرفى المنبر مستعرضا جمهور المندوبين بعينين نصف مغمضتين، ينتظرونه على -مايبدو- متجاهلاً للهتافات المتعالية التى استمرت عدة دقائق، وحين هدأت. قال بإيجاز وبساطة.

لقد دقت الآن ساعة المباشرة ببناء النظام الاشتراكى».

ومن جديد انطلق هدير هائج لعاصفة بشرية.

«إن أول مهمة ينبغى أن نقوم بها، هى اتخاذ خطوات عملية لتحقيق السلام (كانت الحرب العالمية الأولى مازالت دائرة).. ينبغى لنا أن نقترح على شعوب جميع البلدان المتحاربة صلحا قائما على أساس الشروط السوفييتية، **بدون إلحاقات، وبدون تعويضات، وعلى أساس حرية الشعوب فى تقرير مصيرها. وفى الوقت نفسه، وبناء على وعدنا، نحن ملزمون بنشر المعاهدات السرية والإمتناع عن التقيد بها...** إن مسألة الحرب والسلام هى من الوضوح بحيث أستطيع بدون أية مقدمات تلاوة مشروع النداء إلى شعوب جميع البلدان المتحاربة...»..

وتحدث ممثلوا الكتل السياسية.. وكانت الساعة قد بلغت العاشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين مساءا حين إقترح «كامينيف» على جميع المؤيدين للنداء أن يرفعوا بطاقات انتدابهم.

وحاول أحد المندوبين أن يرفع يده معارضا، ولكن عاصفة الاستنكار التى انفجرت من حوله كانت من الشدة بحيث جعلته يسرع بخفض يده.. وتم الاقرار بالإجماع.

الاتحاد السوفييتى

وهبنا جميعا واقفين وبدافع مفاجىء عفوى. وانسكب إجماعنا فى نشيد **«الأممية»** المنطلق المؤثر. وراح جندى عجوز يبكى بكاء الطفل. وكانت **«الكسندر اكولونتاى»** (عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى والتى تنحدر من أسرة بالغة الثراء واشتهرت دائما حتى فى أيام الثورة- بالأناقة البالغة تسكب دموعا خفيفة. وملأ لحن النشيد الجبار القاعة وانطلق عبر النوافذ والأبواب وبلغ السماء الهادئة. «انتهت الحرب! انتهت الحرب!» هكذا كان جارى، وهو عامل شاب، يقول مبتسما بابتهاج. وحين انتهينا من نشيد الأممية، وقفنا فى صمت ثقيل. صاح صوت من الصفوف الخلفية **«يارفاق فلنتذكر من استشهدوا فى سبيل الحرية!» فشرعنا نرتم النشيد المأتمى»** هذا النشيد المهيب الحزين إلا أنه نشيد مظفر، عميق فى روسيته ولانهاية لتأثيره فى النفس.

وقرأ **لينين** مرسوم الأرض...

وفى الساعة الثانية بعد منتصف الليل طرح المرسوم على التصويت، وتم إقراره بكامل الأصوات مقابل صوت واحد معارض. وجن جنون المندوبين الفلاحين من شدة البهجة والحماس..

وهكذا كان **«البلاشفة»** يمضون قدما على نحو لايقاوم، نابذين جميع الشكوك، مزيلين من دربهم جميع المعارضين. وقد كانوا الناس الوحيدين فى روسيا الذين يملكون برنامجا للأعمال محدداً، فى الوقت الذى كان فيه الآخرون جميعا لاعمل لهم سوى الثرثرة طيلة الشهور الثمانية بكاملها..

وفى الساعة الثانية والدقيقة الثلاثين صباحا ساد الاجتماع صمت متوتر. قرأ **كامينيف** مرسوم تشكيل الحكومة..

وبعد ذلك جرى انتخاب مجلس مفوضى الشعب (البرلمان الجديد) بالأكثرية الساحقة من الأصوات.. وإثر هذا أختتم فى الحال مؤتمر السوفييتات الثانى لعموم روسيا لكى يتمكن مندوبوه من السفر بأقصى سرعة إلى جميع أنحاء روسيا ليخبروا عن الأحداث الكبرى التى جرت.

كانت الساعة قد بلغت السابعة صباحا تقريبا حين أيقظنا سائقى عربات الترام الواقعة أمام «سمولنى» والتى أرسلها اتحاد عمال الترام لنقل المندوبين إلى منازلهم. وقد كان الجو فى العربات المزدحمة بالمندوبين أقل فرحة وارتياح بال، على مابدا لى، مما كان عليه فى الليلة الماضية. فقد بدى على الكثيرين جدا إمارات القلق الشديده ولربما كانوا يسألون أنفسهم: «ها نحن قد أصبحنا سادة أنفسنا وبلدنا.. فكيف سيتسنى لنا تحقيق إرادتنا؟..»

الثورة.. مستمرة

بعد خمسين عاما من انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية وقيام الاتحاد السوفييتى، نشر المؤرخ البولندى الأصلى **«إيزاك دويتشر»** الذى عاش فى لندن بعد طرده من بلاده خلال فترة صعود النازية فى الثلاثينيات، كتابا تحت عنوان «الثورة المستمرة- روسيا ١٩١٧-١٩٦٧»

The Unifinished Revolution. Russia 1917-1967» ضم سلسلة محاضرات ألقاها فى جامعة كمبردج بمناسبة مرور نصف قرن على ثورة أكتوبر. وطرح دويتشر تساؤلا هاما...

«إن الحزب الذى حقق النصر فى انتفاضة أكتوبر هو وحده الذى مازال قائما بكل سلطانه الأسطورى. ومازال حاكما ورافعا أعلام ١٩١٧ وشعاراته. ولكن هل هو نفس الحزب فعلا؟ وهل نستطيع التحدث فعلا عن استمرارية الثورة؟..»

وكانت الإجابة- رغم الأخطاء والخطايا، بل والجرائم- **نعم هناك إستمرارية للثورة.** وأكد هذه الإجابة الواقع وشهادات المؤرخين والكتاب والمراقبين المحايدين أو الناقدين لمسار الثورة.

يقول موريس دوب..» إن الإتحاد السوفييتى يوفر نموذجا فريدا لتحول بلد متأخر إلى بلد ذى تصنيع شامل. وذى تقنية حديثة، وذلك بسرعة لم يسبق لها مثيل. **وقد تم كل ذلك التحول دون الاستعانة بالرأسمال الأجنبى،** بتوجيه ورقابة خطة اقتصادية قومية، وذلك بدلا من ظروف الحرية الإقتصادية والمشاريع الرأسمالية المجزأة، التى ميزت الثورات الصناعة فى خمسون عاماً من السلطة السوفيتية

ليوهوبرمان بول سويزى- موريس دوب- هارى برايفرمان- جون روبتسوف»

الاتحاد السوفييتي

MONTHLY REUIW PRESO-] 1967 ويقول دويتشر» «أكدت في معالجتي السابقة لمسألة استمرارية الثورة، على مغزى كون الدولة «وليس» المشاريع الخاصة» أو الشركات الرأسمالية الكبرى، قد تعهدت عملية التصنيع والتحديث في الإتحاد السوفييتي. وقد حددت هذه الحقيقة مدى قوة النمو الاقتصادي السوفييتي، وطابع التحول الإجتماعي. ولسنا بحاجة هنا إلى التوقف عند الجانب الاقتصادي البحت للمشكلة فكلنا يعلم أن الاتحاد السوفييتي قد ارتفع من مركز أكثر دول أوربا، الكبرى تأخرا إلى مصاف القوة الصناعية الثانية في العالم. وقد لازمتنا النتائج الدولية بهذا الصعود طوال الحقب الأخيرة. ولكن يبقى على أن أعترف، كواحد من الذين شهدوا البدايات المبكرة لهذا الصعود، والصعوبات الهائلة التي رافقته، بأنني لم أستطع التعود، بعد، على تقبل هذه النتائج كأمر مسلم به.

فلم أكن لأصدق في عام ١٩٣٠، مثلا، أو حتى في عام ١٩٤٠، أن الإتحاد السوفييتي سوف يتقدم بمثل تلك السرعة التي ميزت تقدمه، أو أنه سيكون قادرا في عام ١٩٦٧ على إنتاج ١٠٠ مليون طن من الصلب، على سبيل المثال. إذ تزيد هذه الكمية عن مجموع ما تنتجه بريطانيا والجمهورية الفدرالية الألمانية وفرنسا وإيطاليا مجتمعة. ولاتنقص إلا بـ مليون طن عما تنتجه مصانع الصلب في الولايات المتحدة. وهذا هو الأساس لصناعة هندسية، ووسائل إنتاج السلع الانتاجية، يعادلان تلك الموجودة في الولايات المتحدة تقريبا. ومن ناحية أخرى، طبيعي أن تكون الصناعة الاستهلاكية مازالت متخلفة... ولكن قبل أن نتقدم أكثر، ينبغي علينا أن نتذكر أن هذه السنوات الخمسين لم تكن حقبة واحدة، غير متقطعة، من النمو والتطور. فقد استنفذت سبعا أو ثمان من هذه السنين في صراعات مسلحة أدت إلى نكسات عنيفة ودمار شامل، لم يعرفهما أي بلد محارب آخر. كما بذل إثنا أو ثلاثة عشر عاما لتعويض هذه الخسائر. وتغطى فترات النمو الفعلية السنوات من ١٩٢٨ إلى ١٩٤١ ومن ١٩٥٠ حتى الآن (١٩٦٧) أي ما لايزيد عن ثلاثين عاما. وطوال هذه الأعوام، استهلكت نسبة مرتفعة من الموارد السوفييتية بمعدل ربع الدخل القومي، في سباقات التسلح التي سبقت الحرب العالمية الثانية وتلتها. **ولو استطعنا حساب التقدم بوحدات مثالية من سنوات السلم الحقيقية، لتوصلنا إلى الاستنتاج بأن الإتحاد السوفييتي قد حقق تقدمه هذا في غضون عشرين أو خمسة وعشرين عاماً، في الأكثر. وهذا ماينبغي أن يحفظ في الذهن لدى تقييم الإنجازات..»**

ويقدم **«هاري برايفرمان» تلخيصاً** للمصاعب الرهيبة التي حققت في مواجهتها الثورة الاشتراكية السوفييتية هذا الانجاز الاقتصادي والاجتماعي الهام في نصف قرن، فيقول: «ما إن كسب البلاشفة بقيادة لينين، السيطرة على جهاز الدولة، حتى اضطروا إلى مجابهة الثورة المضادة النشطة والمسلحة. وقد ضمت قوى الثورة المضادة كل بقايا القيصرية.. الجنرالات والأميرالات وماتبقى من القوات المسلحة، واعضاء الحكومة الموالين لآل رومانوف، والإقطاعيين، ورجال الأعمال، وذوى المهن الحرة، والكنيسة الروسية التي بقيت على سابق عدها من القوة، حتى في

صورة القرار حول الانتفاضة المسلحة الذى ألفه لينين ، وتم اقراره فى اكتوبر ١٩١٧.

Ц. К. признает, что как между-
народное положение русской рево-
люции (восстание во флоте в Гер-
мании, как крайнее проявление
нарастания всемирной социалисти-
ческой революции, затем угроза
мира империалистов с целью
удушения революции в России)
— так и военное положение
(несомненное решение русской
буржуазии и Керенского с Ко сдать
Питер немцам), — так и
приобретение большинства
пролетарской партией в Сове-
тах, — все это в связи с
крестьянским восстанием
и с поворотом народного
во всей Европе

ظل البلاشفة، وملايين الفلاحين الأغنياء (الكولاك) وعشرات الملايين من الفلاحين الأميين والمحرومين من الأرض، والمؤمنين بالخرافات إلى حد أنهم كانوا مستعدين ليقولوا «لينين هو القيصر المحفظه الله»، كذلك جهاز السلطة فى مجمل العالم الرأسمالى الإمبريالى بمخزوناته الهائلة من الثروة، وبالانتاجية المرتفعة لمصانعه، وبتقاليده وتراثه وطرق تفكيره وبمصالحه الراسخة وقواته المسلحة وسواها من المؤسسات... وقد حاولت الثورة المضادة أن تقلب النظام البلشفى فى الاعوام ١٩١٨-١٩٢٢ بالاعتماد على الحرب الأهلية والتدخل المسلح (شارك فى حروب التدخل جيوش ١٤ دولة). ثم حاولت ذلك مرة أخرى فى يونيه ١٩٤١، حين غزت الجيوش الهتلرية الاتحاد السوفييتى. وهى مستعدة لدفع أى ثمن لمحاولة أخرى فى العام ١٩٦٧..»

ويعود «دويتشر» للحديث عن انجازات الخمسين عاما فى الاتحاد السوفييتى فيقول..» إن أول وأبرز ما يطالعنا من أوجه التحول هو نشوء المدن وتوسعها توسعا هائلاً فى الإتحاد السوفييتى. فقد ارتفع عدد سكان المدن منذ الثورة، بما يزيد على ١٠٠ مليون نسمة. ولكن هنا أيضا ينبغى أن نجرى بعض التصويت للمقياس الزمنى. فقد تميزت الحقبة الأولى التى تلت عام ١٩١٧ بتناقص عدد سكان المدن وبحركة معاكسة بطيئة. كما أدت الحرب العالمية الثانية إلى نتائج مماثلة، على الأقل فى روسيا الأوربية. واقتصرت فترات توسع المدن الكثيف على السنوات من ١٩٣٠ حتى ١٩٤٠، ومن ١٩٥٠ حتى ١٩٦٥. وقد تم بناء ٨٠٠ مدينة كبيرة ومتوسطة الحجم، ومايزيد على ٢٠٠ من المستوطنات المدينية الصغيرة وفيما كان عدد سكان المدن يقارب ٢٦ مليون نسمة فى عام ١٩٢٦ بلغ هذا العدد ١٢٥ مليونا فى عام ١٩٦٦. وزاد عدد سكان المدن، فى الخمسة عشر عاما الماضية وحدها، بما يقارب ٥٣ أو ٥٤ مليون نسمة، أى بما يزيد عن عدد سكان الجزر البريطانية.

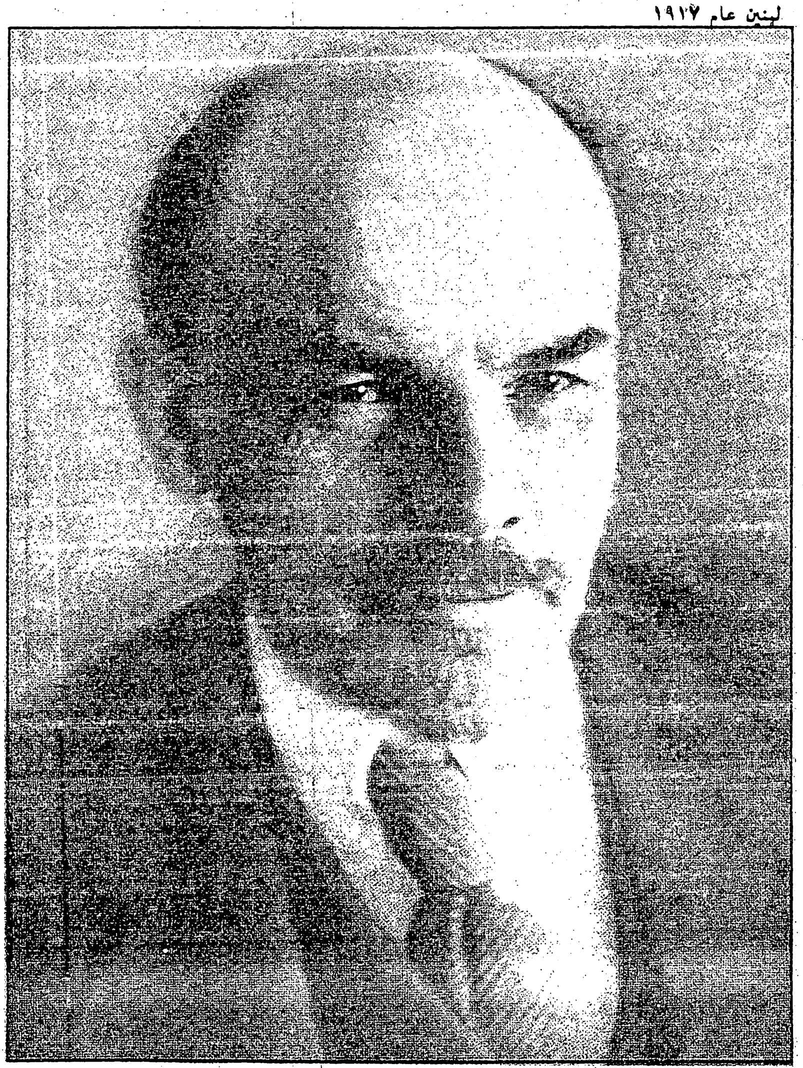
وهكذا ارتفعت نسبة سكان المدن، فى مدى حياة جيل واحد، من ١٥ إلى ٥٥ بالمئة، وهى تتقدم بسرعة لتبلغ معدل، ال ٦٠٪ ولو أخذنا بعض السوابق فى هذا المجال، لوجدنا أن زيادة عدد سكان المدن، فى الولايات المتحدة، بما يعادل ١٠٠ مليون نسمة قد استغرق ١٦٠ عاما. لو أخذنا مثالاً أقرب إلى بحثنا لوجدنا أن إرتفاع هذه النسبة من ١٥ إلى ٦٠ بالمئة استغرق قرنا بأكملة من عام ١٨٥٠ إلى ١٩٥٠. وفى خلال المائة عام هذه، كان النمو الظاهرى للمدن الأمريكية يتلقى دعما ودفعا قويين عبر الهجرة الجماعية، وتدفق رأس المال والمهارات وبقائها بمعزل عن الغزو الأجنبى والتدمير الحربى، هذا إذا لم نتحدث عن إغراءات المناخ.

وتشكل حركة توسع المدن السوفييتية، من زاوية سرعتها ومداها، حدثا لامثيل له فى التاريخ..»

الاتحاد السوفييتى

كان اليوبيل الخمسينى للحزب الشيوعى السوفييتى فى السلطة وقيام ثورة أكتوبر الاشتراكية مناسبة لتأكيد الهالة الأسطورية لهذا الحزب ولثورته المستمرة». وتبدو أهمية هذه الرؤية لصورة الحزب، أنها جرت بعد رحيل ستالين وسقوط الستالينية وإدانتها فى المؤتمر العشرين، وكشف الجرائم والخيبات والسياسات القمعية التى مارسها الحزب الشيوعى السوفييتى، وبالتالى تقييم التجربة على أسس أكثر واقعية وصحة.

وقد ساعد على استمرار هذا التقييم الإيجابى انجازات ومواقف هامة جرت فى هذه


لينين عام ١٩١٧

الاتحاد السوفييتى

الفترة.. مثل الدور السوفييتى فى هزيمة النازية وصمود ستالينجراد ودخول الجيش السوفييتى إلى برلين وملاحم التضحية الخيالية للشعب السوفييتى فى «لينينجراد» أثناء الحصار والملايين الذين استشهدوا على الجبهات المختلفة.. ومثل إطلاق صواريخ الفضاء السوفييتى ورحلة الكلبة لايكا فى الفضاء ثم صعود «جاجارين»، والسبق السوفييتى فى الفضاء.. ومثل المساندة النزيهة لحركات التحرر الوطنى فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.. والانذار السوفييتى الشهير فى مواجهة العدوان الثلاثى على مصر ١٩٥٦.. وأزمة الصواريخ الكوبية ومساندة كاسترو والثورة الكوبية.. وفيتنام..وأنجولا.. والجزائر.. و...و... واعتماد القادة الوطنين لحركات التحرر على السلاح والتأييد السوفييتى فى مواجهة العدوان الامبريالى الأمريكى، وعلى القروض والمعونات السوفييتية فى التنمية وتحقيق الاستقلال الاقتصادى وكما قال «جمال عبد الناصر» فى ذلك الحين (عام ١٩٥٤)..**«إننا نعتقد عن ثقة بأن الحركة الثورية القومية لشعوب آسيا وأفريقيا ضد الاستعمار والتخلف تدين بإنتصاراتها الى حد كبير لوجود الاتحاد السوفييتى وعظمته التى أصبحت عاملا حقيقيا فى كبح جماح الاستعماريين، وفى خلق فرص قيمة لقوى الثورة كى تلعب دورا على نطاق واسع فى الكفاح من أجل الاستقلال والتقدم..»**

وجاءت البيريسترويكا

بعد عشرين عاما أخرى ١١ نوفمبر ١٩٨٧ احتفل الاتحاد السوفيتى وكل القوى الاشتراكية والتقدمية والعمالية فى العالم بالعيد السبعينى لثورة أكتوبر الاشتراكية التى قادها الحزب الشيوعى السوفيتى». وكان من حظى أن شاركت مع الدكتور **فؤاد مرسى»**- رحمه الله- فى تمثيل حزب **التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى** فى هذه الاحتفالات بمافيها الندوة العالمية التى عقدت يومى ٤و٥ نوفمبر ورأس جلساتها «جورباتشوف».. على هامش الإحتفالات وشارك فيها أكثر من ١٢٨ حزبا بمافيها أحزاب اوربا الغربية الاشتراكية، وأحزاب الخضر والاحزاب التقدمية فى العالم الثالث والاحزاب الشيوعية. وشارك من مصر بالاضافة لحزب التجمع الحزب الشيوعى المصرى والحزب الاشتراكى العربى الناصرى.

وكنت قد زرت خلال نفس العام (١٩٨٧) الاتحاد السوفييتى مرتين قبل ذلك. فى «مايو» حيث شاركت كرئيس لتحرير الاهالى فى ندوة صحيفة برافدا بمناسبة الاحتفال بمرور ٧٥ عاما على تأسيسها، وفى «أغسطس» فى رحلة سياحية خاصة، ومثلت هذه الزيارات الثلاثة فرصة للاحتكاك المباشر بتجربة البريسترويكا والجلاسنوست بعد عامين من الممارسة.

كان الانطباع السائد- رغم المصاعب والآلام والخطايا التى كشفت عنها سياسة «الجلاسنوست» خلال عامين من حكم «جورباتشوف»- أن ثورة أكتوبر فى قمة ازدهارها. وأن **«الحزب الشيوعى السوفييتى» يولد من جديد فى العيد السبعينى للثورة- يستعيد تراثه اللينينى ووجهه الانسانى والديمقراطى.** تموج صفوفه- وصفوف المجتمع- بالنقاشات الحادة والحوارات الجادة والتطلع الى المستقبل بأمل، وبثقة بقدرة الحزب والدولة والمجتمع على تجاوز الأزمة الاقتصادية والاجتماعية وعلى تحقيق الديمقراطية.

كان تقييم الثورة داخل الاتحاد السوفييتى وخارجه، وبين وفود الاحزاب المشاركة، وبين المواطنين العاديين- عاليا وايجابيا. فالثورة لازالت مستمرة بعد ٧٠ عاما. والحزب هو الذى يقود التغيير والتصحيح. فالبريسترويكا أو إعادة البناء بدأت من داخله وبفضل قادته ولجنته المركزية، خاصة فى اجتماعها الكامل فى أبريل ١٩٨٧.

وعندما قدم جورباتشوف تقريره فى الجلسة الاحتفالية المشتركة للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى والسوفييت الأعلى فى الاتحاد السوفييتى، والسوفييت الأعلى فى جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفيتية، والتى عقدت يوم ٢ نوفمبر ١٩٨٧ فى افتتاح الاحتفالات بالذكرى السبعين لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى».

عكس الإحساس بانتصار الثورة والحزب وقال بوضوح لايحتمل اللبس..

«تاريخنا واحد لارجعة فيه.. ومهما كانت المشاعر التى يثيرها، فهو تاريخنا وهو عزيز علينا..

..لقد شغلت مرحلة مابعد لينين- العشرينات والثلاثينات- مكانة خاصة فى تاريخ الدولة السوفيتية. ففى غضون ١٥ عاما لا أكثر تحققت تبدلات إجتماعية جذرية، واتسعت هذه السنوات لأمور كثيرة جدا، سواء من حيث البحث عن الصيغ المثلى للبناء الاشتراكى، أم من حيث ماتم بلوغه فعلا فى بناء أسس المجتمع الجديد. لقد كانت تلك سنوات العمل الدؤوب بجهود خارقة، وسنوات النضال الحاد المتعدد الأصعدة. فالتصنيع وإشاعة الكولخوزات والثورة الثقافية وتعزيز الدولة المتعددة القوميات وترسيخ مواقع الاتحاد السوفييتى دوليا والأشكال الجديدة لإدارة الاقتصاد ومجمل الحياة الاجتماعية، كل ذلك كان من نصيب تلك الفترة بالذات، وكل ذلك كان له نتائج بعيدة المدى. ونحن طوال عقود نعود إلى تلك الحقبة مرارا وتكرارا، وهذا أمر طبيعى. فعندنا ولد وبنى أول مجتمع إشتراكى فى العالم.. وبقيادة الحزب ولجنته المركزية بنيت فى البلاد فى آجال قصيرة ومن الصفر فى الواقع الصناعة الثقيلة بمافيها صناعة المكائن والصناعات الدفاعية والانتاج الكيماوى العصرى بمقاييس ذلك الزمان.. ونفذت خطة كهربة روسيا.. واقترح الحزب طرقا غير مطروحة من قبل للتصنيع، وهو دفع الصناعة الثقيلة الى الأمام فى الحال، دون التعويل على مصادر التمويل الخارجية ، ودون إنتظار التراكمات خلال سنين طويلة، على حساب تطوير الصناعات الخفيفة، وكان ذلك هو الطريق الوحيد الممكن فى تلك الظروف، مع أنه كان طريقا فى منتهى الصعوبة بالنسبة للبلاد والشعب.. وحتى أواخر الثلاثينيات انتقل الاتحاد السوفييتى من حيث المنتوج الصناعى، الى المرتبة الأولى فى أوربا والى المرتبة الثانية فى العالم، وغدا دولة صناعية كبرى حقا.

هل كان بالإمكان فى تلك الظروف اختيار نهج غير النهج الذى اقترحه الحزب؟ إذا كنا نريد التمسك بالمواقف التاريخية وبحقيقة الحياة ، فليس أمامنا غير جواب واحد: كلا...

...وتجرى حاليا مناقشات كثيرة حول دور **ستالين** فى تاريخنا إن شخصيته متناقضة للغاية يجب علينا انطلاقا من مواقع الحقيقة

التاريخية. أن نرى سواء مساهمة ستالين التى لايرقى إليـهـا الشك فى النضـال من أجل الإشتراكية والدفاع عن مكتسباتها، أما الأخطاء السياسية الفظة والتعسف التى ارتكبها هو وبطانته، والتى دفع شعبنا ثمنا باهظالها، وأسفرت عن عواقب وخيمه بالنسبة لحياة مجتمعنا..

.. لقد قطعنا طريقا صعبا، مليئا بالتناقضات والتعقيدات.. ولكنه طريق جليل وبطولى. فلا أفدح الأخطاء ولا التراجعات عن مبادئ الاشتراكية، استطاعت جرف شعبنا وبلادنا عن ذلك الطريق الذى سلكناه عندما مارسا اختيارها عام ١٩١٧.. إن فكرة عملية التغيير (البيريسترويكا) تستند الى تاريخنا السمعى.. إلى الأساس المتين للصرح الاجتماعى الجديد مبدئيا، المبنى فى البلاد السوفيتية.. وتوحد بين التعاقب والتجديد. بين التجربة° التاريخية للملشفية والواقع الراهن للاشتراكية..

..أيها الرفاق إننا نسير بطريق ثورى. وان ذلك طريق لايصلح للضعفاء والوجلين. إنه طريق لأجل الأقوياء والجريئين.. لقد كانت الطبقة العاملة ولاتزال القوة المرشحة والطليعية للشعب.. ومنذ فجر الحركة الثورية تمسكت هذه الطبقة بالنداء اللينينى القائل بأنه ينبغى «النضال فى سبيل الحرية، دون التخلى ولو لدقيقة واحدة عن التفكير بالاشتراكية وعن العمل على تحقيقها وإعداد القوى

الاتحاد السوفييتى

والتنظيم لأجل كسب الاشتراكية».. إن **هدف عملية التغيير هو الإستعادة النظرية والعملية التامة لمذهب الاشتراكية اللينينى** الذى تعود فيه الأولوية، التى لايرقى إليها الشك إلى إنسان العمل مع مثله العليا ومصالحه . إلى القيم الانسانية فى الإقتصاد والعلاقات الإجتماعية والسياسية والثقافية..

.. فى أكتوبر عام ١٩١٧ إبتعدنا عن العالم القديم نبذناه الى الأبد. وهانحن نسير نحو العالم الجديد ، عالم الشيوعية. ولن نحيد عن هذا الطريق أبدا».

لم يكن هذا الاحساس بالافتخار بالثورة والحزب والوطن السوفييتى فى تقرير «جورباتشوف» نوعا من العناد أو تجاهل الواقع. فالحقائق المادية الصلبة، والتى نشرتها دراسات علمية جادة فى معاهد وجامعات الولايات المتحدة الأمريكية والغرب عامة كانت تؤكد هذه الحقيقة، وفى ظل توفر كافة المعلومات- وبلا أسرار تقريبا- فى ظل سياسة الجلاسنوست والمصارحة، وطرح كل شئ للنقاش وإعادة النظر من السوفييت أنفسهم.

ويشير الكاتب الأمريكى «موش ليوين» فى كتابه «ظاهرة جورباتشوف» (مطبوعات جامعة كاليفورنيا- ١٩٨٨).. الى أن أوضاع الاتحاد السوفييتى- حتى فى ظل السياسة الاقتصادية الجديدة خلال حكم لينين، كانت ربما أكثر تخلفا عن الحكم القيصرى، ويمكن مقارنة مستوى الحياة فيه عام ١٩٢٠ وكل من مصر والهند فى نفس السنة، ولكن الصورة تختلف تماما بعد أكثر من ٧٠ عاما .

ويلفت «ليوين» النظر إلى حقيقتين هامتين... **الأولى:** التحول السريع والمذهل من مجتمع ريفى متخلف إلى مجتمع حضرى، فيقول...» لقد نمى المجتمع الحضرى بنسبة سنوية ٦٫٥٪ خلال الفترة من ١٩٢٦ إلى ١٩٣٩. ووصلت النسبة فى الثلاثينيات إلى ١٠٪ وارتفع عدد سكان الحضر من

المواطنون السوفييت يتطلعون إلى المستقبل فى قلق وخوف.. ماذا بعد؟





جورباتشوف وأسرته لحظة عودته إلى موسكو... يهبط سلم الطائرة

١٨٪ إلى ٣٢٪ ووصل عدد سكان الحضر الى ٤٩٪ من إجمالى السكان عام ١٩٦٠. وفى عام ١٩٧٢ وصل العدد الى ٥٨٪ من السكان. وفى الفترة من ١٩٧٢ وحتى ١٩٨٥- عام بداية البيريسترويكا- وصل سكان المدن الى ٦٥٪ من سكان الاتحاد السوفييتى. ووصل فى جمهورية روسيا الاتحادية الى ٧٠٪ واليوم هناك ١٨٠ مليون سوفييتى يعيشون فى المدن مقارنة بـ ٥٦ مليون عشية الحرب العالمية الثانية».

الحقيقة الثانية والتى يشير اليها ليوين» وكذلك «جيرى هوف» فى كتابة «انفتاح الاقتصاد السوفييتى» معهد بروكنز - واشنطون ١٩٨٨) هى ظاهرة التعليم ومستواه البالغ الرقى فى الاتحاد السوفييتى. ففى الفترة من ١٩٢٦ وحتى عام ١٩٣٩ كان غالبية العمال والفلاحين لايتجاوز تعليمهم التعليم الأولى (٤ سنوات دراسية) .وفى عام ١٩٥٩ كان مايزال ٣ر٩١٪ و ٢ر٩٨٪ من فلاحى الكولخوزات لايتجاوز تعليمهم التعليم الاولى. وعام ١٩٨٤ أصبح من تلقوا تعليما أوليا فحسب ٥ر١٨٪ فقط. وتشير أرقام واحصاءات نهاية السبعينيات (أى منذ عشر سنوات) الى أن ٤٦ مليون مواطن سوفييتى تلقوا تعليما ثانويا غير كامل (٧ سنوات دراسية) و٥٨ مليون تعليما ثانويا كاملا، و٢٨ مليون تعليما ثانويا خاصا، و٥ر١٨ مليون تعليما عاليا كاملا، و٦ر٣ مليون تعليما عاليا غير كامل. وتقفز الأرقام عام ١٩٨٦. فيصل عدد من يحملون شهادة الثانوية العامة ١١٧ مليون، وعدد من يحملون شهادة جامعية ١ر٢٠ مليون.

وواكب هذا النمو فى المجتمع الحضرى وفى مستوى التعليم والثقافة نمو فى مستوى وحجم الطبقة العاملة وجماعة المثقفين.ففى عام ١٩٣٩، كانت ٥ر٨٢٪ من قوة العمل تمارس عملا يدويا ولايزيد من يعمل بالعمل الذهنى عن ٥ر١٧٪ ولم تتغير الصورة كثيراً حتى عام ١٩٥٩. ولكن العشرين عاما التالية شهدت تغيرات واسعة. فقفز عدد العاملين فى الصناعة من ١١ مليون الى أكثر من ٣١ مليون. وزاد عدد العمال عامة من ٢٤ مليون قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة الى ٨١ مليون عام ١٩٨٣. وزاد عدد الموظفين من ١١ مليون عام ١٩٤١ الى ٣٥ مليون عام ١٩٨٣. وزاد عدد الخبراء والمتخصصين بينهم من ٤ر٢ مليون من بين ١١ مليون موظف عام ١٩٤٢، ثم الى ٨ مليون من بين ١٦ مليون موظف عام ١٩٦٠، ووصلوا حاليا الى ٥ر١٣ مليون يحملون تخصصات جامعيه عالية و١٨ مليون تلقوا تدريباً تخصصيا ثانويا ليصل إجمالى المتخصصين ٥ر٣١ مليون.

الاتحاد السوفييتى

ولم يتجاوز «جورباتشوف» الحقيقة عندما قال فى حوار مع مجلة «أنباء موسكو فى أول نوفمبر ١٩٨٧..» ..**يود البعض فى الغرب أن يفرض علينا هذه الرواية: الاشتراكية تعيش على حد الزعم: أزمة عميقة وتجر المجتمع الى مأزق.. ويزعمون أن المخرج واحد.. وهو اقتباس الأساليب الرأسمالية لتسيير الإقتصاد وأشكال التنظيم الإجتماعى، والانجرار نحو الرأسمالية.. إننا نحقق كل تحولاتنا طبق الإختيار الاشتراكى ونرد على المسائل التى تطرحها الحياة. إننا نبحث فى إطار الاشتراكية وليس خارجها. ونحن نقيس كل نجاحاتنا**





لينين فى فترة اختبائه بعد حوادث ١٩١٧

وأخطائنا بالمقاييس الاشتراكية.. ويقوم كل برنامجنا للتغيير، سواء على العموم أم فى بعض عناصره على مبدأ: المزيد من الاشتراكية والمزيد من الديمقراطية».

هستريا العداء للشيوعية

ولم تكد تمضى الأيام على احتفالات العيد السبعين لثورة أكتوبر وانتصار الحزب الشيوعى السوفييتى واستيلاء البلاشفة على السلطة، حتى انقلبت الصورة تماما، خاصة بعد أحداث ١٩ و ٢٠ أغسطس الماضى التى عرفت باسم انقلاب السبعة، فى إشارة الى لجنة الطوارئ التى ضمت ٧ من قيادات الدولة السوفيتية وأبعدت جورباتشوف عن السلطة وأعلنت حالة الطوارئ.

إجتاحت «موسكو» و«لينينجراد» وعديد من المدن السوفييتية هستريا العداء للحزب الشيوعى السوفييتى. وسارع «يلتسن» - بينما «جورباتشوف» مازال فى «القرم» - لإصدار قرار بمنع نشاط الحزب الشيوعى فى جمهورية روسيا الاتحادية، واستولى على مقاره بما فيها مقر اللجنة المركزية، متهما إياه بمساندة الانقلاب. وقام البعض بنزع شارات الحزب (والثورة) وبإزاحة تماثيل لينين فى الميادين والمبانى العامة.

وبعد أن كان جورباتشوف - بمجرد عودته من القرم - يقول **«إن منع الحزب الشيوعى سيكون خطأ..»** ويحذر من موجة العداء الرسمية للحزب وللشيوعية بحجة دوره فى الانقلاب، مؤكدا أنه..«يجب أن نلجأ لاستخدام أقسى السبل القانونية ضد هؤلاء الذين أعدوا هذه المؤامرة. **ولكن يجب أن لانسمح بأى نوع من هستريا العداء للشيوعية...»** .. اذ بجورباتشوف يتراجع عن موقفه وعن إنتمائه ويعلن استقالته من موقعه كسكرتير عام للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى. وتغلق مقار الحزب فى كل البلاد، ويعتقل قادته، ويتم تفتيش منازلهم بما فى ذلك بعض أعضاء البرلمان السوفييتى، منتهكين بذلك حصانتهم البرلمانية وتعتدى بعض التجمعات على العاملين فى الحزب. ويصدر قرار بتجميد أموال الحزب فى البنوك وتتوقف «البرافدا» عن الصدور، ولا تعود إلا بعد أن تعلن استقلالها عن الحزب الذى أصدرها طوال ٧٨ عاما. ويصوت السوفييت الأعلى على وقف نشاط الحزب بأغلبية ٢٨٣ صوتا ضد ٢٩ وامتناع ٥٢، وأغلبية أعضاء هذا المجلس الكاسحة، كانوا حتى ساعات قليلة أعضاء قياديين فى الحزب! وطالب أحد أعضاء مجلس نواب الشعب بإخراج جثمان «لينين» مؤسس الحزب وقائده من ضريحه فى الكرملين ودفنه فى قريته. ورد «جورباتشوف».. «فيمابعد»!

وقال «الكسندر جوليشنيكوف» عضو البرلمان...**«لقد أظهر الحزب نفسه كمنظمة إرهابية وأن الـ «كى..جى..بى» يده التى تفرض العقاب. ولكن وبمجرد تسليط الأضواء عليهم سيذهب الشيوعيون تحت الأرض مثل الصراصير».**

ووقف العالم يرقب مشهدا فريدا فى نوعه. حزبا حاكما لمدة ٧٢ عاما، قاد بلاده من التخلف والفقر باعتبارها رجل أوربا المريض، لتصبح أكبر وأقوى دولة فى أوربا، وأحد الدولتين العظميين فى العالم، ووصلت عضويته عشية هذه الأحداث الى ١٥ مليون عضو ويعمل فى جهازه ٣٠٠٠٠٠

حزبى وتتشر كوادره وتقود كل شئ: من رياض الأطفال الى قوات الصواريخ الذرية الاستراتيجية. وكان الوصول الى المستوى الأعلى فى السلطة السياسية، أو الصناعة، أو الجيش، أو الحياة الثقافية مستحيلا دون عضوية الحزب وموافقته، ويملك الحزب ٥٢٥٤ مقرا، و ٣٥٨٣ صحيفة ومجلة على المستوى القومى وفى الجمهوريات والمستويات المحلية، و٢٣ مستشفى ومصحة، وتقدر ممتلكاته وأمواله بحوالى ٤,٥ مليار روبل.. هذا الحزب العملاق يبدو وقد اختفى وانهار فى ساعات.. أمام عشرات الألوف الذين تظاهروا فى موسكو ولينينجراد، وتجمعوا لحماية «البيت الأبيض الروسى أيام الانقلاب، والذين تصفهم «نيوزويك» الأمريكية بأنهم «شباب تتراوح أعمارهم بين ٢٠ و٣٠ عاما. إنه جيل «المستهلكين» السوفييت الواقعين فى غرام أى شئ غربى، ولايشعرون بالخجل من جمع المال. غير منتمين لأى أيديولوجية على الإطلاق. ويقول واحد من هؤلاء المدافعين عن «البيت الأبيض وهو «إلياديزنيكوف» البالغ من العمر ٢٣ عاما وهو رئيس مجلس الطلبة فى جامعة روسيا للإنسانيات.. إن المستقبل يحمل الينا مجتمعا صحيا، وشبابا صحيا. سندخن الماروجينا ، وسنكسب المال، وسيكون لدينا الهيبز والبوبيز، تماما مثل بقية العالم..»

لقد بدا وكأن هؤلاء الشباب قد أنهوا وجود الحزب الشيوعى السوفيتى، بعد أن مزقوا أعلام بلادهم الحمراء ذوات المنجل والمطرقة، ورفعوا بدلا منها أعلام روسيا «القيصرية»، وحولوا إسم «لينينجراد» الى «سان بترسبرج» نسبة الى القيصر بيتر الذى أسس المدينة.

ويبقى السؤال.. كيف انهار هذا الحزب... حزب البلاشفة.. حزب لينين..؟ وأيضا.. هل هذه هى نهاية هذا الحزب، وشهادة وفاته؟

أسباب الأزمة... والخلاص

لايحتاج المرء الى أى جهد على الإطلاق لمعرفة أسباب أزمة الحزب الشيوعى السوفييتى ومحنته. فطوال التجربة التى استمرت اكثر من سبعين عاما، ظهرت الكثير من الدراسات والكتب، خاصة بعد جرائم

الاتحاد السوفييتى

ستالين فى الثلاثينيات، تكشف عن جذور الأزمة ونواحى الضعف والقصور. وجاءت مرحلة المؤتمر العشرين فى عهد خروشوف، ثم «الجلاسنوست» و«البريسترويكا» فى عهد «جورباتشوف»، لتقدم مادة بالغة الغنى تضع كل النقاط على الحروف.

ولعل من أهم هذه الدراسات والتحليلات التى تتميز بالموضوعية والنظرة الثاقبة، ما كتبه «ايزاك دويتشر» منذ ٢٣ عاما. يقول دويتشر..

«على إثر سنوات الحرب العالمية والحرب الأهلية والتدخل الأجنبى، تهاوت الصناعات القليلة التى كانت روسيا تمتلكها وتحولت الى مجرد انقاض واستهلكت الآلات والبضائع المخزونة ، وتراجعت الأمة إقتصاديا، أكثر من نصف قرن الى الوراء. وأخذ سكان المدن يحرقون أثاثهم ليدفئوا مساكنهم. وهام عشرات الملايين من الفلاحين الذين ضربتهم المجاعة، على وجوههم فى الريف بحثا عن الطعام وتفرق الملايين القلائل من العمال الذين أقاموا المتاريس فى ١٩١٧، وزالوا من الوجود كقوة إجتماعية متماسكة. فقد هلك الأكثر شجاعة بينهم فى الحرب الأهلية، وتولى كثيرون مناصب فى الادارة الجديدة وفى الجيش والشرطة، فى حين فرت أعداد كبيرة من المدن الجائعة.. ولم يستطع البولشفيك فى جهدهم هذا أن يستندوا إلى الطبقة التى اعتبروا أنفسهم طليعتها، الطبقة التى كان يفترض أن تصبح سيدة الدولة الجديدة ودعامة الديمقراطية الجديدة، والعنصر الأساسى للاشتراكية. لقد تلاشت هذه الطبقة جسدياً وسياسيا .. تلك كانت الأصول الحقيقية لما يدعى بالانحطاط البيروقراطى للنظام. ففى ظل الظروف الواقعية لم تكن شعارات «دكتاتورية البروليتاريا» و«الديمقراطية السوفييتية» و«قيادة العمال للصناعة» سوى شعارات فارغة، لم يتمكن أحد من إعطائها أى مضمون فقد كانت فكرة «ديمقراطية السوفييتات» التى شرحها لينين وتروتسكى وبوخارين، تفترض مسبقا وجود طبقة عاملة نشيطة.. ولأن الطبقة العاملة لم تكن موجودة جسديا، قرر البولشفيك أن يعملوا، كبديل لها وكأمناء عليها

جندى روسى ينزع شارة المنجل والمطرقة من العلم السوفييتى الاحمر







الجيش السوفييتي ظل وفيا لتعاليم ثورة أكتوبر..
جندي يضع زهرة في بندقيته أثناء الإنقلاب

الى أن يأتى الوقت الذى تعود الحياة فيه الى طبيعتها وتبرز طبقة عاملة جديدة.. وبهذه الطريقة انفتح الباب أمام دكتاتورية البيروقراطية والسلطة غير المقيدة وفساد السلطة..وأصبح نظام الحزب الواحد ضرورة لامفر منها بالنسبة للبلاشفة وعلى هذه الضرورة كان يتوقف خلاصهم وخلاص الثورة، ولم يصل البلاشفة إلى مثل هذا النظام عن تصور مسبق، بل إنهم أقاموه، وسط ريبهم، كمخرج مؤقت .جاء نظام الحزب الواحد، مناقضا لميول ومنطق وأفكار «لينين» و«تروتسكى» و«كامينيف» و«بوخارين».. وغيرهم.. وتحول المخرج المؤقت الى قاعدة.. وكان ضمير الحزب فى صراع دائم مع حقائق احتكار السلطة هذه.ففى عام ١٩٢٢ حذر لينين وهو على سرير الموت، الحزب من «المتسلط» و«الشوفينى» الروسى الكبير (ستالين).. وبعد ذلك بثلاث سنوات حاول كامينيف عبثا التذكير فى مؤتمر حزبى عاصف بوصية لينين. وفى ١٩٢٦ فى إجتماع للمكتب السياسى صرح تروتسكى فى وجه ستالين بكلمة «حفار قبر الثورة» ... إنه «جنكيز خان الجديد» تلك كانت بنوءة بوخارين عام ١٩٢٨..«أنه عازم على ذبحنا جميعا.. إنه يعتزم إغراق إنتفاضة الفلاحين فى الدم» وفيما كان يجرى قمع الانشقاقات المتعاقبة، كان إحتكار السلطة يغدو أكثر ضيقا وصلابة.ففى البدء ترك الحزب الواحد لاعضائه حرية التعبير والمبادرة السياسية .ثم حرمتهم الأوليجاركية» الحاكمة تلك الحرية وغدا إحتكار الحزب الواحد إحتكار المجموعة أو عصبة واحدة، العصبة الستالينية.. وفى الحقبة الستالينية برزت الوحدانية الشمولية الى الوجود، وتحول حكم العصبة الواحدة (فى مواجهة مقاومة عنيفة داخل الحزب) الى حكم فردى لزعيم هذه العصبة (ستالين).. وأفرغت الماركسية، أكثر العقائد نقدية وصرامة، من مضمونها، وتحولت الى مجموعة الطقوس شبه الدينية والسفسطة الجاهزة لتبرير كل إجراءات «ستالين» ونزواته «النظرية».

إن هذا التشخيص الدقيق والمبكر لأزمه الحزب الشيوعى السوفييتى يقدم تفسيرا واضحا لما نشهده الآن. وهو تفسير قدم الواقع بعد ذلك فى سنوات مابعد البيريسترويكا، سواء فى كلمات جورباتشوف أو وثائق الحزب الشيوعى السوفييتى، أو فى دراسات وتحليلات المتخصصين فى الشئون السوفيتية فى الولايات المتحدة والغرب، ودلائل عديدة على صحته.. خاصة وأن التطهيرات المتتالية فى الحزب والتى بلغت قمتها فى عصر «ستالين» واستمرت بعد ذلك، قطعت الصلة ماديا وأيديولوجيا بين الحزب وحزب لينين» ويشير الباحث الأمريكى «فلاديسلاف جيرماكوفيتش» الى بعض هذه التغييرات الراسعة فى الحزب خلال الخمسينات والستينات، مثل ماحدث عقب الصراع عام ١٩٥٧ بين «خروتشوف» و«مالينكوف» وتنحية الأخيرة و«العناصر المعادية للحزب» والتى شملت ٤٥٪ من العاملين فى الجهاز الحزبى و٧٩٪ فى جهاز الحكومة وخلال الفترة من ١٩٥٦ الى ١٩٦٠، أستبدل ٧٠٪ من أعضاء المكتب السياسى و٧٥٪ من سكرتيرى لجان اللجنة المركزية، و٦٧٪ من أعضاء مجلس الوزراء، و٧٩٪ من السكرتيرين الاول للحزب فى الجمهوريات. وتواصلت هذه الظاهرة حتى اليوم السابق لتجميد نشاط الحزب.

ان أزمة الحزب تكمن فى انفراده بالساحة السياسية وغياب الديمقراطية فى ظاهرة الحزب

الواحد، وأيضا- وهو أمر بالغ الأهمية- فى الغاء الفصل بين السلطات (التنفيذية - التشريعية- القضائية) واحتكارها جميعا فى يد واحدة قادرة، هى يد قيادة الحزب الشيوعى السوفييتى.

كان غياب الديمقراطية، ودمج السلطات كلها فى يد الحزب الواحد، هى مقتل الحزب الشيوعى السوفييتى ، وكل الاحزاب التى اقتبست هذا النموذج، وقطعت الصلة بالحزب اللينينى الصحيح.

نبوءة مصرية!

ويبقى السؤال.. هل هى النهاية؟

يبدو أمر بالغ الصعوبة أن تكون هناك إجابة قاطعة على هذا السؤال دون احتكاك مباشر مع مايجرى الآن فى الساحة السوفييتية.

ومع ذلك فهناك بعض مؤشرات لابد أن تؤخذ فى الاعتبار. فمراسل مجلة «تايم» الأمريكية يكتب بعد زيارة الى مدينة «بوشكينو» على بعد ٣٢ كيلو متر من العاصمة موسكو التى تموج بصخب هائل ضد الحزب الشيوعى والشيوعية وتاريخ ثورة أكتوبر الاشتراكية كله، ليعكس مناخا مختلفا تماما، قائلا ان الناس هناك يسألون ما إذا كان تدمير الشيوعية السوفيتية يمكن أن يحقق أى شئ لهم أكثر من الضياع والصعوبات.. وينقل عن عامل بمصنع النسيج بالبلدة «إيفان شليكوف» ٤٧ عاما. **«يستطيعون أن يلقوا بعيدا بكل هذه الرموز (رموز ثورة أكتوبر) ويدفعوا بالحزب الشيوعى للعمل سرا.. ولكن ماهو الأختلاف الحقيقى الذى سيؤدى اليه ذلك؟!)** ويضيف المراسل **«حتى ولو لم يتحول الحزب الى العمل السرى، فان إزالة تأثير الشيوعية عن البلاد لن يكون أمرا سهلا مثل مصادرة مبنى أو تجميد حسابات فى البنوك..»**

ورغم قرار تجميد النشاط ،فقد أذاعت المصادر السوفييتية الرسمية أنباء عقد اجتماع لعدد من أعضاء الحزب الشيوعى فى موسكو لمواصلة الحزب لنشاطة.. وفى «لينينجراد » مازالت نينا أندرييفا زعيمة «المنبر البلشفى» تواصل وأنصارها عملهم باعتبارهم الحزب الشيوعى الحقيقى،

الاتحاد السوفييتى

وأصدروا قراراً بفصل جورباتشوف وانصاره من الحزب. وهناك تجمعات شيوعية أخرى مثل «الحزب الديمقراطى للشيوعيين الروس» بزعامة الكسندر روتسكى»...و...و..

ويستند هؤلاء الشيوعيون، إلى أن الحزب لم يكن له أى دور فى الانقلاب وأن هناك ملايين وملايين، يدينون كل الممارسات القمعية، ولكنهم يتمتعون بقناعة للشيوعية ويرون أن ماحققته ثورة أكتوبر خلال ٧٢ عاما معجزة لابد أن تثمر وتتطور ديمقراطيا، ويرفضون الربط الميكانيكى بين الديمقراطية والتحول للرأسمالية كوجهى عملة واحدة، بل ويقولون أن يلتمسن ودعاة الرأسمالية الجدد، والذين كانوا حتى الأمس القريب، قادة فى الحزب الشيوعى، ليسوا ديمقراطيين، فاجراءاتهم بعد الانقلاب لاتختلف عن إجراءات جماعة السبعة فقد أغلقوا الصحف وحلوا الحزب دون سند من دستور أوقانون ويمارسون إرهابا فكريا هائلا ضد الشيوعيين.

ويشير بعض المراقبين الى أن موقف الجيش خلال أيام الانقلاب ، هى شهادة للحزب الشيوعى السوفييتى، الذى كانت كوادره تسيطر على القوات المسلحة.

وكما تقول التايم.. «لم يكن الأمر يقف عند حدود عدم إستعداد قوات الجيش لإقتحام صفوف المعارضة ، بل إن الجيش كان لديه أوامر (من قادة الانقلاب!) بتجنب أى صدام محتمل وفوق كل شئ عدم إطلاق النار أبدا..»

وتختلف التقارير الواردة من الاتحاد السوفييتى والمخابرات الغربية حول تفاصيل عديدة، ولكنها تجمع جميعها على شئ واحد.. وهو أن الجيش لم يكن على استعداد لتنفيذ أى أمر يصدر بالهجوم. ولم يتم توزيع أى ذخائر على مجموعات السيارات المدرعة.. وطوال التاريخ السوفييتى حرص قادة الحزب الشيوعى بشكل خاصّ على منع الجيش من التدخل فى السياسات والصراعات الداخلية.. وعندما حانت اللحظة لإتخاذ القرار (أثناء الانقلاب) بإطلاق النار، لم يستطع وزير الدفاع ديمترى يازوف» أن يصدر الأمر لقوة نيرانه بالانطلاق».

وتضيف «النيوزويك» «..**إن إطلاق النار على المدنيين وخرق الدستور ، لم تكن أبدا جزءا من تقاليد الجيش السوفييتى».**

ويقدر بعض الشيوعيين السوفييت أن هذه الحملة الهستيرية لابد أن تنحسر وأن الحزب سيتقلص الى مابين ٣و٥ مليون شيوعى حقيقى سيستأنفون النضال دفاعا عن الاشتراكية وكرامة الوطن السوفييتى.. وسيثبتون وجودهم خلال الشتاء القادم، عندما يرى الناس على أرض الواقع نتائج الإندفاع المحموم لهدم الاتحاد السوفييتى وثورة أكتوبر والتعلق بأوهام الرأسمالية والولايات المتحدة الأمريكية.. وتقول التقارير الغربية أن الشتاء القادم سيشهد فى الاتحاد السوفييتى ارتفاع نسبة التضخم الى ١٠٠٠٪، ونقصاً هائلاً فى المواد الغذائية. فبينما يحتاج الاتحاد السوفييتى الى ٨٥ مليون طن من الحبوب لإعاشة المدن ، فإن ماتم الحصول عليه حتى الآن لايتجاوز ٣٥ مليون، وتخشى المخابرات المركزية الأمريكية أن تنهار البيروقراطية السوفييتية وتعجز عن القيام بدورها فى توزيع الطعام. لقد قال «دويتشر» فى عام ١٩٦٧..«إن ثورة الاتحاد السوفيتى قد تخطت كما نعلم ، كل العوامل المكنة للردة . غير أنها تبدو مثقلة بكمية من الخيبات المتراكمة واليأس، كان يمكن لها ، فى ظروف تاريخية مختلفة، أن تلعب دور القوة الدافعة للردة. ويبدو الاتحاد السوفييتى أحيانا، مليئا بإمكانيات «أخلاقية - نفسية» تكفى لإحداث الردة إلا أنها تبقى عاجزة عن التحول إلى حقيقة سياسية. لقد فقد معظم سجل السنوات الخمسين الماضية اعتباره فى أعين الشعب وليس هناك آل رومانوف لبعيدوا إليه اعتباره. **وهكذا يتوجب على الثورة، أن تعيد إعتبار نفسها بجهدها الخاص».**

فهل ينجح الشيوعيون السوفييت فى إعادة ميلاد حزبهم وتحقيق نبوءة أو أمنية «إيزاك دويتشر» ..أم سنشهد فى الأيام القادمة إصدار شهادة ميلاد الحزب الشيوعى السوفييتى ، وتتحقق نبوءة أحد كبار ضباط مباحث أمن الدولة فى مصر الذى بنى تاريخه الوظيفى كله فى محاربة الشيوعية، ويستدعونه فى موسكو ليقدم لهم خبرته فى مطاردة الشيوعيين؟!

"اليسار"... و"الزلزال" والانتظار؟

عندما وقفت عند بائع الصحف لألتقط العدد الأخير من «اليسار»، عدد سبتمبر الماضى، اعترانى نوع من الضيق أو الأسى، بمجرد رؤية الغلاف. لمحت، من أول نظرة، أن «الزلزال السوفيتى» على الهامش، إذ وضع فى أقصى الطرف «اليسارى» من أعلى. بينما احتلت قضية فلسطين العنوان الرئيسى، وكذلك الكاريكاتير. ومن محاسن «اليسار»، منذ أول عدد حتى اليوم، اهتمامها الواضح بفلسطين.

صحيح أن فلسطين هى قضيتنا المركزية نحن العرب. وعندى، لاشئ بعيد عن فلسطين ولاشئ خارج فلسطين.. بما فى ذلك الانقلاب ضد جورباتشوف، والانقلاب ضد الانقلاب ومـاسيلى هذين الانقـلابين من تطورات وأحداث. كل هذا صحيح، ولكن فى هذه اللحظة، فى أوائل سبتمبر الماضى- وبعده لفترة قد تطول- فـان الحدث السوفيتى يستحق المزيد والمزيد من الاهتمام والمتابعة والتغطية إخباريا، وتحليليا، خاصة من جانب «اليسار» المجلة والحركة. والحركة هنا تعنى كل فصائل اليسار، الماركسى والناصرى والاسلامى والقوى التى يجمعها تحت رايته حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى. هل نسيت فصيلا منها؟!

وصحيح أيضا أن «لليسار در» حاولت أن تنبه الى أن المسئولية فى ضعف التغطية للحدث السوفيتى ملقاة علىّ عائق موعد الطبع والمطبعة. ولكن متى كانت المطبعة تسمح. إن الوقت والمطبعة والمسافة (الإمبريالية) هم اعداء اى يسارى، خاصة الصحفى اليسارى، والسؤال هنا، ألم يكن من الممكن أن يؤجل صدور العدد أياما تتمكن خلالها «اليسار» وكوكبتها الكاتبة من تقديم التغطية الكافية والواجبة؟.

سيقال أيضا ان المطبعة التى تطبع «اليسار» لها ارتباطات أخرى، ولاتستطيع تأجيل طبع اليوم الى الغد..

هذه الأسباب قد يقبلها أمثالى من العاملين فى بلاط صاحبة الجلالة، والذين لايملكون لقرارات المطابع تحويلا أو تبديلا. ولكن القارئ اليسارى العادى، ولنقل القارئ من أعضاء حزب التجمع، يريد من صحافته الحزبية تغطية شاملة لحدث يعرف أنه زلزال حقا. وحين يفتقد مثل هذه التغطية، لابد وأن يتساءل لماذا؟. سيرى فى هذا قصورا أو تقصيرا. أما الذين فى قلوبهم مرض فسيقولون ماذا عند «اليسار» المجلة والحركة ليقوله؟ وماذا يستطيع أن يقول.

إن لدى «اليسار» العربى عامة والمصرى خاصة الكثير الذى يستطيع أن يقوله ويطرحه حول ماحدث ويحدث فى الاتحاد السوفيتى، إنه مطالب بموقف نقدى وبنظرة نقدية ربما لم يسبق له أن قام بهما من قبل.. بل قد أجرؤ وأقول إن اليسار العربى- بكل فصائله- مطالب اليوم بالتصدى لمسئولية «تعريب» الماركسية. لقد «صون» «ماو» الماركسية، وفتنم هوشى منه وحزبه الماركسية فأين نحن من ذلك؟. ويقول البعض وماذا بقى من الماركسية حتى نستطيع الأخذ به، فضلا عن القيام بتعريبه؟. وهل هذا وقته؟!

إن الاسئلة مفتوحة، والإجابات كذلك، فمن يستطيع أن يتصدى لكل هذا؟ ويطرح للنقاش الجاد والمسئول كل قضايا العصر، التى تتركز اليوم فى حقيقة مركزية هى سقوط التجربة السوفيتية. فلماذا حدث ماحدث؟ ولماذا الصمت؟ ولماذا الانتظار من «اليسار» وصحافته؟!

بهذه المناسبة، فان الحل لمثل هذه المشكلة قد يكون فى «كراسات اليسار السياسية». وهى مطبوعات غير دورية، تصدر بمناسبة وقوع حدث غير عادى، تلتقى مجموعة من المتحاورين متعددى الاتجاهات والآراء والأفكار. حصيلة الحوار الذى يمتد ساعات توضع بين يدى واحدمن المتحاورين يقوم بصياغتها، ثم تعاد القراءة إما جماعيا أو بشكل فردى.. ولكن فى ساعات. ويسمح لإثنين من المتحاورين وليس منهما صاحب الصياغة- بان يكتب كل منهما تعليقا على حصيلة الحوار. ويدفع كل هذا للمطبعة ليتم طبعه وطرحه فى الأسواق خلال أيام..

هل يطمع المرء فى أن ترى مصر مطبوعات سياسية من هذا النوع تعبر عن جميع الأحزاب، فيكون للوطنى كراساته، وللعمل والوفد.. وغيرهما. ولكن هل يمكن أن تكون الريادة هنا «لليسار» فى ظل أزمته العامة والشاملة، والتى تذكر المرء بالمثل القائل: مالايقتلنى يقوينى.

وتحية لليسار
عبد العال الباقورى

تعليق

تفتح اليسا- كعادتها صفحاتها لهذا النقد- من أهل البيت- والعتاب. ونكرر ماقلناه أن مواعيد الطباعة هى السبب، وليس لأنه ليس عند اليسار المجلة والحركة مايقوله..

وليس من باب المكابرة القول أن الرسالتين المنشورتين فى العدد الماضى من اليسار، تقدمان إجابات كثيرة على أسئلة القراء، رغم أن الأولى كتبت قبل الأنقلاب، والثانية قبل فشل الأنقلاب... وربما تكون هذه الإجابات، أعمق كثيرا من عشرات المقالات والتحقيقات والأخبار، التى نشرت وماتزال. كذلك فليس من باب المكابرة- أيضا- القول أن اليسار طوال ١٨ عدداً سابقة لعددها التاسع عشر، قدمت حقائق ومعلومات وتحليلات ومتابعة دقيقة قام بها الزميل أحمد الخميسى فى موسكو، بدأب وجهد خارق، تشكل لمن قرأ وتابع رؤية ثاقبة لما جرى ويجرى فى الاتحاد السوفييتى، بل وتفسر- أكثر مما نشر وكتب بعد ذلك- الزلزال السوفييتى وأحداث انقلاب ١٩ أغسطس وما بعده.

ولعل الزميل «عبد العال الباقورى» يعلم أننا مجلة شهرية ولسنا صحيفة يومية أو أسبوعية تلاحق الاحداث بسرعة.

ومع ذلك فنعتذر للقراء الذين لم نشف غليلهم فى العدد الماضى. ونأمل أن يكون ملفنا عن الحدث السوفييتى فى هذا العدد، وماسنكتبه فى أعداد قادمة، اعتذارا كافيا لهم جميعا.

اليسار



سيد نصير

سيد نصير يتحدث لليسار من زنزانته فى السجن

المتطرفون الصهاينة خصصوا ٢ مليون دولار لمن يقتلنى!

مائة من شهود الواقعة لم يتعرفوا على وشاهدان فقط هم كل أسانيد التهمة!

هشام مبارك

السجن الذى يحتجز فيه السيد نصير يقع على بعد ٢٠ كليو متراً من مانهاتن ومقام على جزيرة تحيطها المياه من كل جانب، الذى يريد أن يزوره يجب أن يجتاز ٤ حواجز حصينة، وقبل أن تقترب من البوابة الرئيسية للسجن بنحو خمسة كليو مترات تقلك عربة خاصة ثم يجرى لك تفتيش إلكترونى ومنها تنتقل إلى عربة أخرى يكون بجوارك أحد ضباط الأمن حتى تصل إلى بوابة أخرى يجرى لك تفتيش أخر مشابه وتستقل نفس العربة ومعك نفس الضابط إلى بوابة ثالثة وهناك يجرى لك تفتيش ذاتى ويطلب منك تعليق كارت خاص بالدخول إلى جناح السجناء الخطرين حيث يستقبلك عدد من الضباط ويعاد التفتيش الذاتى ويطلب منك ترك كافة متعلقاتك الشخصية بما فيها الساعة والأقلام ويصحبونك أخيراً إلى زنزانة الزيارة المخصصة للسجين نصير فقط حتى يغلق الضابط بوابتها عليكم وحينئذ كان هذا الحوار:

• من هو السيد نصير؟

/ .. مواطن مصرى من بور سعيد جئت إلى الولايات المتحدة منذ حوالى ١٠ أعوام. وأعمل كفنى تبريد وتكييف فى نيويورك ومتزوج من أمريكية ولى ٣ أطفال. ومحتجز فى السجن حالياً فى إنتظار بدء محاكمتى بتهمة قتل المتطرف مائيركاهانا أثناء ندوة كان يحضرها فى فندق ماريوت بنيويورك.

• مررت بأربعة حواجز للتفتيش استغرقت نحو ٣ ساعات كاملة كى أصل إليك ما هو السر فى ذلك؟

.. أننى متهم بالأغتيال السياسى وهى تهمة خطرة وتخشى إدارة السجن هروبى وهذه الإجراءات من جانب أخر تستهدف حمايتى فالمتطرفون اليهود يريدون قتلى ولدى معلومات بأنهم خصصوا مكافأة ٢ مليون دولار لمن يقتلنى. بل كانت هناك محاولات سابقة لقتلى. فإثنان من الجالية اليهودية تظاهرت أمام المحكمة أثناء نظر التحقيق معى وطالبت بإعدامى، وهذه الضغوط ليست ضدى فقط بل على المحكمة ذاتها فالإعلام الأمريكى يتحكم فيه اليهود ومن خلال ذلك يلعبون دوراً كبيراً فى تشكيل الرأى العام، وهنا المشكلة **إن القضاء فى أمريكا مختلف عن مصر، فالذين سيحاكموننى «محلفون» وهم أشخاص عاديين ليست لهم علاقة بالقضاء أو القانون ويتم إختيارهم «بالقرعة» بواسطة كمبيوتر مدرج فيه أسماء المواطنين الأمريكيين، وهم بالتأكيد متأثرون بالإعلام الأمريكى المضاد بإعتبارهم جزء من الرأي العام** وهؤلاء المحلفون إذا ماقرروا أننى مذنب يقوم القاضى فقط بتطبيق العقوبة المقررة فى القانون فأين العدالة إذن ناهيك أن القساوسة طلبوا زيارتى على الرغم من إننى مسلم ولست مسيحياً للمساعدة فى هدايتى!! وقد رفضت زيارتهم على الرغم من محاولاتهم المستمرة وفى إعتقادى أن هذه الزيارة كانت وراءها أسباب مريبة والمحاولة الثانية تمت عقب اتصال شخص مجهول زعم أنه من إدارة المحاكم بالسجن وطلب منهم الإسراع بى إلى المحكمة لحضور الجلسة لأن محاكمتى لم تبدأ بعد رفضت أن أستقل السيارة للمحكمة وأبلغت إدارة السجن بذلك وقامت بدورها بالإتصال بإدارة المحاكم واكتشفت صدق كلامى ولم يصلوا إلى الشخص الذى أبلغ السجن أو لم يتبينوا الهدف من استدراجى خارج السجن ولكنى أجزم بأنها كانت محاولة للاغتيال.

• فى ظل هذه المخاطر كيف تعيش داخل السجن؟

.. أقيم فى جناح عليه حراسة مشددة بداخله زنزانة محصنة خاصة بى أقطنها بمفردى. وأمام بابها يوجد حارس وبداخلها كاميرا تراقبنى ٢٤ ساعة فى اليوم.

فضلاً عن أن المحقق والقاضى أظهرا تحيزاً ضدى منذ أول وهلة

. كيف تم ذلك؟

في أول جلسة تم قرار الافراج عنى بكفالة ٣٠٠ ألف دولار ولكن بعد ٢٤ ساعة فقط وتحت تأثير ضغط اليهود علق قرار الكفالة وعقدت محاكمة اخرى لمناقشة قرار الإلغاء وجاء وكيل النيابة بأكاذيب ملفقة «اكتشفت بعد ذلك» وبالرغم من هذا اقتنع بها القاضى «او مثل ذلك» وصدر قرار بإلغاء الكفالة تماماً.

. هل هناك أدلة تدينك؟

.. لايوجد. كاهانا قتل فى الفندق حيث كان يلقى كلمة فى احدى الندوات وأنا أصبت فى الشارع على بعد ٢٠ متراً من الفندق فكيف يثتبون أننى قتلته فالفندق به حراسة مشددة فكيف مررت بهذة السهولة!! وإثنان فقط من الشهود قرروا أنهم شاهدونى وأنا أقبّل كاهانا حين كان يحضر الندوة، ووفق ما جاء فى التحقيقات فإن نحو ١٠٠ شخص لم يقرروا شيئاً تجاهى، وعندما فتشوا منزلى لم يجدوا سوى ٤ طلقات تختلف عن تلك التى استقرت فى جسد كاهانا كما أثبت المعمل الجنائى، ووجدوا مجلات عن الأسلحة وهذه ليست أدلة اتهام لأن هذة المجلات تباع وتشترى وموجودة فى كل مكان

. إذن أنت برىء ولم تقتل كاهانا؟

.. المتهم برىء حتى تثبت إدانته، وليست هناك أدلة ضدى.

. هل تشعر بعداء تجاه إسرائيل والصهاينة؟

.. أنا من بور سعيد، وقد عانيت كثيراً من الحروب والمصريون بالقطع يعادون إسرائيل.

. أثناء التحقيقات هل اعترفت بأنك قتلت كاهانا؟

.. على الإطلاق فى كل أقوالى أكدت أننى لم أقتل كاهانا.

. ماذا كنت تفعل طوال السنوات العشر الماضية فى أمريكا؟

.. فى البداية لم أكن ملتزماً بتعاليم الدين الإسلامى ولم أطلق لحيتى ولكنى بعد فترة قصيرة من وجودى فى هذا المجتمع الذى ينتشر فيه الفساد والفسق بدأت الإلتزام وعملت متطوعاً كداعية فى عدد من مساجد نيويورك. كما أننى كنت أقدم برامج

دينية باسم الصراط المستقيم فى القناة العربية فى التليفزيون الأمريكى وفى الإذاعة أيضاً ثم عملت فترة فى مكتب مساعدة المجاهدين الأفغان وأختلفت معهم وتركتهم، وأنا معروف لدى العديدين هنا فى نيويورك كداعية للإسلام.

. يشاع فى مصر أنك تنتمى إلى تنظيم الجهاد وللجماعة الإسلامية فى مصر؟

.. ليس صحيحاً على الإطلاق. هذا ضلال وكذب.

. يروج البعض على أنك قمت باغتيال كاهانا بناء على توجيهات من هذا التنظيم؟

.. أنا لا أتلقى توجيهات من أحد. ولا أنتمى لأى تنظيم لاحالياً ولامن قبل. وهذة الإشاعات تهدف إلى الكسب السياسى.

وعندئذ دخل علينا الضباط ليبلغونا بانتهاء الزيارة

. قلت للسيد نصير تريد شيئاً؟

قال سلم لى كثيراً على مصر وأهلها.



.. هذا الموضوع يحدثك عنه إبراهيم الجبرونى مسئول لجنة الدفاع؟

فقال: على الرغم من المحاولات العديدة التى قمنا بها لجمع تبرعات لتغطية مصاريف القضية وهى كبيرة لم يصل لنا من مصر سوى ألفين جنية وقد بعثت برسائل عديدة إلى السفارات العربية نطلب دعم حكوماتها ولم يصل لنا أى رد حتى الآن وقمت بزيارات للسعودية ومصر ولم أتمكن من جمع أى أموال وأنا حقيقة مندهش من هذا الموقف وكل الأموال التى جمعناها من الجالية العربية فى الولايات المتحدة، والذى يقوم بالتبرع ليس المسلمون فقط بل هناك مسيحيون أيضاً تبرعوا للدفاع عن السيد تصير وآمل أن تكون هذة الكلمات دافعاً للعرب حكومات وشعوباً لكى يبدأو فى التبرع لأن لدينا مشاكل عويصة تعوق عملنا.

. ماذا كنت تفعل طوال السنوات العشر الماضية فى أمريكا؟

.. فى البداية لم أكن ملتزماً بتعاليم الدين الإسلامى ولم أطلق لحيتى ولكنى بعد فترة قصيرة من وجودى فى هذا المجتمع

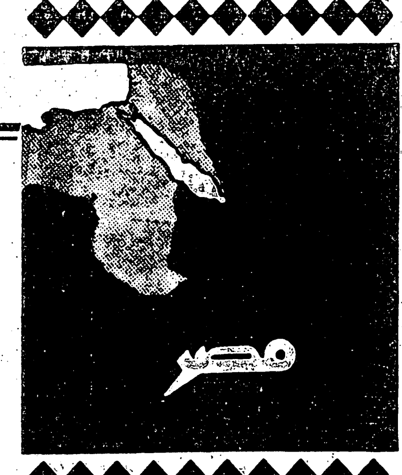
. الذى ينتشر فيه الفساد والفسق بدأت الإلتزام وعملت متطوعاً كداعية فى عدد من مساجد نيويورك. كما أننى كنت أقدم برامج

من يريد التبرع لصالح القضية يمكنه إرسال التبرعات إلى حساب زوجة السيد نصير.

K.A. NOSAIR BANCO CGNTFAL 234 PROSPECT. PK.W
BROOKLYU NY 11215 U.S.A حساب العائلة -5132977 حساب الدفاع- 513977

يمكن مراسلة السيد نصير على العنوان P.O.BOX 818
BROOKLYU. NY. 11215 U.S.A
TEL (7187684881) FAX

ابراهيم الجبرونى



تحولات السياسة الاقتصادية وعملية تمثيل المصالح بين جماعات رجال الأعمال والعمال

د. أماني قنديل

تشهد السياسة الاقتصادية تحولات عميقة ومرحلة جديدة بدأت مع عام ١٩٩١ بإعلان سياسة التحرير الاقتصادي، وتوقيع الاتفاقية مع صندوق النقد، وصياغة ملامح قانون قطاع الأعمال. ويمثل ماسبق نقاط تحول جديدة في سياسة الانفتاح الاقتصادي، لها انعكاساتها العميقة على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية. والأمر الذي لاشك فيه هو أن هذه التغيرات أو التحولات تؤثر بكشل مباشر على مصالح فئات وقطاعات عديدة في المجتمع، سواء بالسلب أو بالإيجاب. ودون دخول في تفاصيل انعكاسات تحولات السياسة الاقتصادية على هذه الفئات والقطاعات فإنه من المهم بداية الإشارة إلى أمرين:

الأمر الأول: إن تبني سياسة انفتاح اقتصادية تعتمد بشكل أكبر على حرية قوى السوق، يرتبط بقوى اجتماعية واقتصادية تسعى إلى التعبير عن مطالبها، والضغط نحو تحقيقها من خلال هياكل جديدة تمثل مصالحها.

الأمر الثاني: إن غياب التوازن بين القوى الاجتماعية والاقتصادية في علاقتها بعملية تمثيل المصالح، له آثار سلبية خطيرة تهدد مستقبل السياسة الاقتصادية من ناحية واستقرار المجتمع كله من ناحية أخرى.

وقد شهدت المرحلة الأولى لسياسة الانفتاح الاقتصادي، ومنذ عام ١٩٧٨ على وجه التحديد، ميلاد هياكل ومؤسسات تعبر عن مصالح ومطالب رجال الأعمال، تمثل ذلك في عدد من جماعات رجال الأعمال. وكان هذا إفرازا طبيعياً للسياسة الاقتصادية الجديدة، وتعبيرا عن قوى اجتماعية واقتصادية ارتبطت مصالحها وارتبط وجودها بهذه السياسة وعلى الجانب الآخر، فإن الهياكل والمؤسسات التي تعبر عن مصالح القاعدة العريضة من العمال، لم تشهد أية تغيرات تمكنها هي الأخرى من التعبير عن مصالح قوى اجتماعية واقتصادية أكثر إتساعا، فالإطار القانوني الذي يحكم حركة النقابات العمالية لم يخضع لتغيرات، تمكنه من التجاوب مع تغيرات السياسة الاقتصادية. وبالتالي ظلت النقابات العمالية مرتبطة عضويا بالدولة، وأجهضت معظم محاولاتها للتعبير عن مصالحها ومطالبها، من خلال الأطر والمؤسسات القائمة والمعترف بها.

إن عدم التوازن هذا في عملية تمثيل مصالح جماعات رجال الأعمال من ناحية، والنقابات العمالية من ناحية أخرى، سوف يزداد عمقا مع المرحلة الثانية لسياسة الانفتاح الاقتصادي. فقد اكتسبت جماعات رجال الأعمال المزيد من القوة والنفوذ خلال عقد الثمانينيات، وفي الوقت نفسه إستمر حال النقابات العمالية على ماهو عليه من الضعف والانقسام والارتباط بالدولة. والأمر اللافت للانتباه هو أن تحولات السياسة الاقتصادية في مصر، والتي برزت بعمق مع مطلع عام ١٩٩١ تتضمن مساسا مباشرا بالاستقرار الاقتصادي والاجتماعي للعمال، وبالتالي كانت تفترض إعادة هيكلة عملية تمثيل المصالح كقنوات معبرة عن مشكلات ومطالب القاعدة العريضة فتصفية القطاع العام، أو التخلص من وحداته الخاسرة، وصدور **قانون قطاع الأعمال،** ومايتضمنه ذلك من **تسريح فئات من العمال وتغذية قضية البطالة، والمساس بالأجور والمرتبات، وارتفاع الأسعار..** كل ذلك يفرض إحداث تغيرات موازية في أوضاع النقابات العمالية، مادامت السياسة الاقتصادية قائمة على حرية قوى السوق، وسمحت بالفعل بتمثيل مصالح بعض الأطراف... والسؤال هو: كيف يمكن أن تجرى انتخابات النقابات العمالية في إطار هذه المستجدات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، دون أن يحدث أي تغيير وترفع الدولة يدها عن الحركة العمالية؟..

ويهدف هذا المقال إلى إبراز عدم التوازن في تمثيل المصالح بين جماعات رجال الأعمال والعمال، مع إلقاء الضوء على طبيعة هذه

الجماعات وتقييم فعاليتها والدور الذى يمكن ان تلعبه فى المرحلة الثانية لسياسة الانفتاح الاقتصادى.

لعله من القواعد العامة التى تبلورها دراسة جماعات المصالح عامة، هى أن ضمان اللعبة السياسية لتمثيل كل طرف لايعنى المساواة فيما بينهم. وبالتالى فإن الكتابات الغربية الحديثة حول هذا الموضوع تنتقد بشدة أى ملمح لعدم التوازن بين الجماعات. كما أن الواقع الاقتصادى والاجتماعى فى النظم الغربية قد شهد فى السنوات الأخيرة مايعرف باسم «الحركات الاجتماعية»، وهى نوع من رد الفعل الاحتجاجى على قواعد اللعبة التى لاتضمن عدالة التمثيل بين المصالح المختلفة. وتشير خبرات دولة نامية كمصر، إلى ان سنوات الانفتاح الاقتصادى قد ارتبطت بتكريس وتعميق عدم المساواة فى عملية تمثيل المصالح، ونموذج جماعات رجال الأعمال والنقابات العمالية هو أبلغ دليل على ذلك. هناك عدم توازن فى قدرة كل طرف على الاقتراب من صانع القرار، وعدم توازن فى استجابات الدولة لمطالب كل طرف، وبالتالى تفاوتت الفاعلية بين الطرفين كمحصلة نهائية لذلك.

ومن المهم التأكيد على أن سمة عدم التوازن بين عملية تمثيل مصالح كل طرف، يأتى نتيجة لاختلاف مصادر قوة كل جانب بالإضافة إلى حجم الجماعة، ومدى تجانسها وتضامن أعضائها وأيضا مدى اتفاقها مع اتجاه التغيير فى السياسات العامة، ودعم القوى الدولية لها.

إن عدد جماعات رجال الأعمال لايزيد عن خمسة جماعات، من أهمها **جمعية رجال الأعمال المصريين التى نشأت عام ١٩٧٨، وغرفة التجارة الأمريكية بالقاهرة (١٩٨٢)، واللجنة الاقتصادية لرجال الأعمال بالاسكندرية (١٩٨٣)**. هذه هى أهم الجماعات الفاعلة على الساحة فى مصر.

ونشير إلى أن المجلس المصرى الأمريكى لرجال الأعمال، والذى لازال قائماً مؤسسا حتى الآن، قد ارتبطت فاعليته بالنصف الثانى من السبعينيات ونشأ بقرار مشترك بعد اجتماع كل من الرئيس السادات ونيكسون عام ١٩٧٥ وكان هدفه دعم العلاقات الاقتصادية المصرية الأمريكية. يضاف إلى ذلك جمعية **المستثمرين ورجال الأعمال لمدينة العاشر من رمضان**، وهى جمعية حديثة النشأة نسبياً، ومسجلة وفقا لقانون ٣٢ لسنة ١٩٦٤، كجمعية أهلية تتبع الشئون الاجتماعية وتعبر عن مصالح رجال الصناعة فى المدينة سابقة الذكر.

وإذا كان عدد هذه الجماعات محدود نسبياً، فإن حجم عضوية كل جماعة **سيتراوح بين ٤٠٠ إلى ٥٠٠ عضوا**. وهو حجم التجانس وإمكانية التعبير عن مطالب ومصالح محددة، وفى نفس الوقت فإن نسبة كبيرة من أعضاء كل جماعة تتكرر عضويتهم فى الجماعات الأخرى، وهو الأمر الذى يسمح بالتحالف والائتلاف بين هذه الجماعات. وعلى الجانب الآخر فإن عدد العمال الأعضاء فى النقابات العمالية، حوالى **ثلاثة ملايين موزعين على حوالى ٢١ نقابة عمالية**. وهم بالطبع لايمثلون كل العمال فى مصر والذين يقدرهم الاتحاد العام للعمال بأكثر **من ١٣ مليون عامل** إن الاعتبار الخاص بحجم الجماعة له أهميته، لأنه يؤثر مباشرة على عملية دمج المصالح والتعبير عنها كذلك فإن إختلاف إنتماءات العمال (إلى القطاع العام، والقطاع الخاص، والأجهزة الحكومية والقطاع المشترك) يؤثر بالسلب على توافر الوعى الطبقى بالانتماء إلى جماعة، ويمثل ذلك: أحد جوانب تغذية عدم التوازن فى عملية التعبير عن المصالح بين رجال الاعمال والعمال.

وإذا اقتربنا أكثر من جماعات رجال

جماعات رجال الأعمال تضم صفوف أصحاب المال والنفوذ ورجال السياسة وصانعى القرار

تحالف بين الثروة والنفوذ السياسى

ضعف نقابات العمال وغياب استقلالها وتشتيها يخل بالتوازن الاجتماعى والسياسى

الأعمال سابقة الذكر، نلحظ أنها **تضم الصفوة من أصحاب المال والنفوذ، بل ومن رجال السياسة فى مصر وصانعى القرار**. فقد أوضحت دراسة تحليلية لكاتب هذه السطور ان جماعات رجال الأعمال تضم وزراء ورؤساء وزراء سابقين، خاصة فى مجال السياسة الاقتصادية. كما أنها تهدى عضويتها الشرفية إلى بعض الوزراء الحاليين، وأعضاء مجلس الشعب، ورؤساء بعض لجان هذا المجلس، من ناحية أخرى يصعب إغفال **أن نسبة كبيرة من أعضاء هذه الجماعات رؤساء مجالس إدارات كبرى شركات القطاع العام، وبنوك الدولة أو البنوك المشتركة**.

إن هذه التشكلية الاجتماعية- الاقتصادية لجماعات رجال الأعمال والتى تعنى **تحالف الثروة والنفوذ السياسى**، توفر واحدا من أهم مصادر قوة وفعالية هذه الجماعات، لأنها تعنى إمكانية الإقتراب من صانع القرار والضغط من أجل صدور قرارات بعينها، أو تجميد وإلغاء قرارات أخرى. يضاف إلى ذلك أن الاستقلال المالى والإدارى الذى تتمتع به جماعات رجال الأعمال، هو مصدر آخر لفعاليتها والعودة إلى الادبيات الخاصة بجماعات المصالح تؤكد ان هذا الاستقلال . مطلب أساسى لنجاح عملية التعبير عن المصالح.

والأمر الذى يهمنى التأكيد عليه، هو أن أى سياسة اقتصادية تسمح بحرية قوى السوق، تفرز بشكل طبيعى مؤسسات غير رسمية تعبر عن مطالب فئات وجماعات فى المجتمع. يعنى ذلك أن وجود هذه الجماعات على الساحة هو أمر طبيعى، وتعبير حقيقى وواضح عن قوى اجتماعية واقتصادية لها مصالح تسعى إلى الحفاظ عليها، والتعبير عنها.. إلا أن هذا التعبير الحر يفترض أن يمتد إلى كافة القوى الاجتماعية والاقتصادية الأخرى، حتى يتوفر قدر من التوازن فى عملية تمثيل المصالح. لهذا فإن توفر الاستقلال والفاعلية وحرية التعبير لجماعات رجال الأعمال وفى إطار حرية قوى السوق- لابد وأن يرتبط فى المقابل بإستقلال وفاعلية الطرف الآخر الأساسى فى عملية الانتاج، وهو العمال. ويقودنا ذلك مرة أخرى إلى التأكيد على **اهمية مراجعة وتقويم أوضاع النقابات العمالية، وفصلها ماليا وإداريا عن الدولة، أى توفير الاستقلال لها**، وهو ضمانة أساسية لتوازن عملية تمثيل المصالح.

إن احدى النتائج الهامة لسمات عملية



تمثيل المصالح هى توفرقدر كبير من التكامل لحركة جماعات رجال الأعمال، فى مقابل علاقات صراعية ترتبط بحركة العمال. فهناك تفاهم وتعاون وعلاقات مؤسسية (لجان مشتركة) بين جماعات رجال الأعمال، ويسهم فى ذلك الطبيعة المتجانسة لرجال الأعمال من حيث التعليم وطبيعة النشاط والخلفية الطبقية يسهم فى ذلك أيضا طبيعة البناء الديمقراطى المؤسسى لهذه الجماعات، واستنادها على الانتخابات الحرة، وارتفاع نسبة المشاركة ولاشك أن استقلالها ماليا وإداريا عن الدولة. يكفل لها هذه الطبيعة الخاصة. من ناحية أخرى فإن مراجعة الوثائق الخاصة بنشأة الجماعات تشير إلى وضوح مطالبها وتجانسها، فهى جميعها تتقاسم أهداف مشتركة من أهمها: **دعم القطاع الخاص، وإزالة المعوقات الإدارية والضريبية التى تواجه أنشطة، وتصفية شركات القطاع العام الخاسرة، وتقويمها على أسس اقتصادية**، وعلى سبيل المثال فإن لائحة رجال الأعمال المصريين تنص على أنها تهدف إلى «مساندة سياسة الانفتاح الاقتصادى الانتاجى، وتعميق دور المستثمر المصرى فى دعم الاقتصاد.. والعمل على تهيئة المناخ الاقتصادى عن طريق فتح قنوات حوار، واتصال مستمر مع سلطة الدولة، وأن، يكون للجمعية دور إيجابى فى رسم السياسة الاقتصادية للدولة». وتتبنى غرفة التجارة الأمريكية بالقاهرة أهدافا مماثلة، فهى تنص فى لائحتها على تطوير وتنمية التجارة والاستثمار بين مصر والولايات المتحدة، وتمثيل مصالح أعضاء الفرفة أمام الحكومتين المصرية والأمريكية.. وهى: فى سبيل ذلك تبذل جهود.. الفتح قنوات اتصال بين جماعتهم والوزراء المسئولين بالحكومة.

إن نفس الأهداف تتكرر فى جمعيات رجال الأعمال، وهو مما ينعكس على مطالب محددة وديناميات أو آليات للعمل ترتبط بهذه المطالب. وفى مقابل ذلك فإن هناك تشتتا فى مطالب العمال وأنماط من الصراع وعدم التكامل، سواء بين النقابات العمالية بعضها البعض أو بينها وبين الاتحاد العام للعمال كممثل شرعى. وهناك عشرات من الأمثلة والنماذج التى تؤكد هذه السمة الصراعية لدى النقابات العمالية وبين قياداتها. ولايوجد أوضح من **أحداث ١٩٨٦، الخاصة بإضراب عمال السكك الحديدية، وردود الأفعال المتباينة إزاء هذا الإضراب من جانب النقابات العمالية وقيادات الاتحاد العام للعمال**. والمحصلة الطبيعية لهذا المشهد فاعلية وتكامل على مستوى جماعات رجال الأعمال، وصراع وعدم اتفاق حول المصالح، والآليات على مستوى النقابات العمالية والأمر للافت للاهتمام هو إختلاف الإطار القانونى الذى يرتبط بجماعات رجال الأعمال. أهمية هذا البعد هو إبرازه لتباين موقف الدولة من الطرفين: جماعات رجال الأعمال من جانب، والنقابات العمالية من جانب آخر. فالأخيرة تتمتع بالشرعية القانونية منذ عام ١٩٤٢ من خلال القانون رقم ٨٥ وتعديلاته المتتالية. وبالتالى كان من

الممكن في إطار سياسة الانفتاح الاقتصادي في السبعينيات، السماح بقدر أكبر من المرونة فيما يتعلق بالإطار القانوني للنقابات العمالية وهي مرونة تفرضها طبيعة السياسة الاقتصادية الجديدة. إلا أن هذه المرونة توفرت فقط إزاء جماعات رجال الأعمال. فجمعية رجال الأعمال المصريين أستندت على قانون الجميعات الأهلية رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٤، وهي بهذا تتبع -قانونا- وزارة الشئون الاجتماعية بينما غرفة التجارة الامريكية بالقاهرة، أستندت على قرار من رئيس الجمهورية، وهي أحد فروع مجلس غرف التجارة الامريكية، وكان اختيارها للقاهرة لتكون مقرا رسميا لها في الشرق الأوسط. ومن قبل استندت نشأة مجلس الأعمال المصرى الأمريكي على موافقة الرئيس السادات عام ١٩٧٥. أما اللجنة الاقتصادية لرجال الأعمال بالاسكندرية، فقد أستندت قانونا على اعتبارها فرعا للغرفة التجارية بالاسكندرية إن هذه النشأة القانونية المتباينة، تبرز درجة عالية من تسامح الدولة مع هذه الجماعات» في الوقت الذي يستمر فيه الاطار القانوني الحاكم للنقابات العمالية كما هو دون تغيير في جوهره. فالتبعية للدولة واضحة، وغياب استقلال النقابات العمالية- ماليا وإداريا -أكثر وضوحا.

وفي إطار مناقشة عملية تمثيل المصالح والآليات التي تعتمد عليها من المهم الإشارة إلى تلك التي تعتمد عليها جمعات رجال الأعمال. فقد أدركت منذ البداية عدم التوازن بين السلطتين التنفيذية والتشريعية لصالح الأولى، التي يتربع على قمتها رئيس الجمهورية، وبالتالي فقد وجهت مصادر قوتها- التي سبق -طرحها للتأثير على السلطة التنفيذية. يتضمن ذلك الاتصال الشخصي بالوزراء ورئيس الوزراء والقيادة السياسية العليا، واللقاءات المنتظمة من خلال مؤتمرات وندوات، وإعداد المذكرات والتقارير الخاصة بوجهة نظرهم في المسائل الاقتصادية. وقد أبدت معظم هذه الجماعات عزوفا- على الأقل بشكل واضح- عن المشاركة أو التعبير عن مواقفها السياسية، كما لم تعتمد على آليات ترتبط بالسلطة التشريعية الاستثناء الوحيد نلحظه في اللجنة الاقتصادية لرجال الأعمال بالاسكندرية والتي شارك ٨ أعضاء منها في انتخابات المجلس التشريعي ونجحوا بالفعل، وهم اعضاء بالحزب الوطني.

فؤاد سلطان أحد قيادات رجال الأعمال

الاتجاه العام اذن لدى جماعات رجال الأعمال وهو الاعتماد على آليات ترتبط بالسلطة التنفيذية. وفي المقابل لايوجد وضوح أو خلفية مشتركة لدى نقابات العمال تدفعها إلى تبني اليات منظمة تحقق لها بعض الفعالية هناك تشتت في المواقف وتشتت في المطالب، وبالتالي غياب آليات واضحة تحقق لها بعض الفعالية وفي هذا السياق لايمكن إغفال الترابط المصلحي والمؤسسي بين جماعات رجال الأعمال وهيئة المعونة الأمريكية. فهناك لجان خاصة في هذه الجماعات تحدد مسئوليتها في الاتصال بهيئة المعونة الأمريكية، وتنظيم عملية التحول إلى القطاع الخاص privatization والإشراف المباشر على القروض الموجهة لدعم الصناعات الصغيرة.

المحصلة النهائية لعملية تمثيل المصالح بين جماعات رجال الأعمال. والعمال، فاعلية الأول في مقابل قصور شديد في تمثيل مصالح العمال ما الذي يمكن ان يشهده المستقبل القريب؟.. مزيد من عدم التوازن بين الطرفين، وتعميق للهوة بينهما، وبالتالي تهديد الاستقرار السياسي والاجتماعي. وفي غياب قناعة الطرف الرئيسي في العملية الانتاجية- أي العمال- بالتحولات الحالية، من الصعب تصور أن تحقق سياسة الانفتاح الاقتصادي، في مرحلتها الثانية، أية اهداف. من المهم ان تتنبه جماعات رجال الأعمال والدولة ذاتها، إلى خطورة هذا الوضع، لأنه يعني غياب المشاركة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للعمال.. ويعني مزيدا من الأزمات التي تهدد كل الأطراف، وتهدد الاستقرار الاجتماعي والسياسي للمجتمع.

من المتوقع ان تزداد جماعات رجال الأعمال قوة وفعالية في إطار التحولات الأخيرة، وأن يزداد العمال ضعفا وتشتتا وليس هناك من مخرج إلا محاولة إستعادة بعض التوازن بين الطرفين، ومشاركة موضوعية من جانب كل الأطراف لمواجهة الأزمات والمشكلات المتوقعة.. هل يمكن أن يتحقق هذا القدر من الرشادة؟ أم سننتظر تفاقم المشكلات ونبدأ في ممارسة سياسة إدارة الأزمات»؟..



٤٣ ألف مرشح يتنافسون فى ١٣٣٤ موقع عمل

حسن بدوى

تبدأ يوم ١٩ أكتوبر الحالى انتخابات مجالس إدارات اللجان النقابية للعمال ومجالس إدارات الشركات.

تجرى الانتخابات فى ١٣٣٤ لجنة نقابية، من بين ٢٢١٤ لجنة على مستوى الجمهورية، بعد أن فازت بالتزكية ٨٨٠ لجنة نقابية بنسبة ٤٠٪ تقريباً من عدد اللجان النقابية فى مصر، لأول مرة فى تاريخ الحركة النقابية.

قوانين تفصيل

وحتى اليوم السابق على اجراء الانتخابات يمكن للجنة العليا المشرفة عليها، والمشكلة من موظفى وزارة القوى العاملة وقيادات بمجلس تنفيذى اتحاد نقابات العمال، استبعاد أى مرشح طبقاً للمادة التاسعة من القرار الوزارى ١٠٩ لسنة ١٩٩١ الصادر عن وزير العمل.. مما يحرم المرشح المعترض عليه من فرصة الطعن أمام القضاء فى قرار هذه اللجنة.

وحتى ١٦ أكتوبر الحالى يمكن للمدعى العام الاشتراكى استبعاد أى مرشح استناداً إلى المادة ٣ من قانون حماية الجبهة الداخلية ٣٣ لسنة ١٩٧٨ والمادة ٢١ من قانون حماية القيم من العيب ٩٥ لسنة ١٩٨٠...

وكان المدعى قد اعترض على ٥٩ مرشحاً لانتخابات المنظمات النقابية للعمال عام ١٩٧٩، و١٢ مرشحاً فى انتخابات ١٩٨٣ وستة مرشحين عام ١٩٨٧، وحصلوا جميعاً على أحكام ببطلان قرارات الإعتراض على ترشيحهم من محكمة القضاء الإدارى.. ولكن بعد أن كانت الانتخابات قد أجريت بالفعل وتم تشكيل مجالس اللجان النقابية.

استند المدعى فى اعتراضاته السابقة على المرشحين، على تقارير مباحث أمن الدولة التى اتهمتهم «بالدأب على تبنى مشاكل العمال، ووجود علاقات لهم بالماركسية، أو تبنيهم الفكر الشيوعى أو أنهم سبق اعتقالهم أو القبض عليهم أو اتهامهم فى قضايا سياسية!!»

والاعتداء على حق ملايين العمال فى اختيار ممثليهم فى التنظيم النقابى، بدأ قبل شهور من بدء المعركة الانتخابية، وشارك فيه بعض الإدارات وبعض قيادات التنظيم النقابى نفسه!

وتستهدف هذه التدخلات أساساً استبعاد القيادات العمالية والنقابية اليسارية، والنقابيين الذين يدافعون عن مصالح طبقتهم العاملة واستقلالية تنظيمهم النقابى.

تقايبو الحكومة

ومن أبرز الأمثلة الصارخة على أنتهاك الحريات النقابية، محاولة استبعاد أبو العز الحريرى عضو مجلس الشعب السابق وعضو الأمانة المركزية لحزب التجمع والقائد العمالى بالشركة الأهلية للغزل والنسيج من عضوية التنظيم النقابى.

كان الحريرى قد فصل من شركته عام ١٩٧٦، بعد أن لعب دوراً بارزاً فى مؤتمر عمال الغزل والنسيج الذى عقد بالأسكندرية عام ١٩٧٥، وطالب بمطالب عمالية عديدة، فى مقدمتها توازن الأجور والأسعار والاصلاح الوظيفى.. ولجأ للقضاء ليحصل على حكم قضائى ببطلان قرار فصله والعودة إلى شركته عام ١٩٨٩، بعد ١٣ عاما من الفصل..

وقبل ثلاثة شهور خاض الحريرى انتخابات مجلس إدارة الجمعية التعاونية الاستهلاكية للعاملين بالشركة وفاز بأعلى الأصوات وأصبح رئيساً لمجلس إدارة الجمعية..

كان ذلك إعلانا قوياً من عمال الشركة بأحقية الحريرى فى رئاسة اللجنة النقابية، مما أثار ذعر رئيس الشركة- الذى كان مرشحاً عن الحزب الوطنى فى انتخابات مجلس الشعب الماضية بدائرة كرموز منافساً للحريرى مرشح حزب التجمع- كما أثار ذعر مجلس النقابة الحالى ورئيسه الذى كان رئيسا للجمعية التعاونية قبل اجراء انتخاباتها وقدم الحريرى بلاغا إلى النيابة عن الانحرافات المالية للجمعية فى عهده.

وبدأت الاتصالات بين خصوم الحريرى فى الشركة وفى النقابة العامة لعمال النسيج ووزارة العمل، للبحث عن طريقة لاستبعاده من طريقهم..

استصدار قرار بالفصل

ولأن من الصعب استبعاد الحريرى فى انتخابات حرة بالشركة.. كان لابد من استصدار قرار بفصله من عضوية التنظيم النقابى لحرمانه من الترشيح.

قدمت اللجنة النقابية بالشركة تقريراً للنقابة العامة تتهم فيه الحريرى بالاساءة للتنظيم النقابى وتطلب فصله. والسبب أنه انتقد اللجنة النقابية بسبب انحيازها الدائم

للإدارة ضد مصالح العمال، في بياناته أثناء انتخابات مجلس الشعب، وأنه قدم بلاغا للنيابة عن انحرافات مالية للجمعية التعاونية عندما كان يرأسها رئيس اللجنة النقابية،

أجرت النقابة العامة تحقيقا شكليا مع الحريري يومى الأربعاء ١٤، ٢١ أغسطس الماضي، وفي يوم ٢٤ أغسطس اجتمع مجلس إدارة النقابة العامة ليوقع بالاجماع على قرار فصل الحريري. كان ذلك قبل أسبوع من فتح باب الترشيح للانتخابات النقابية الحالية.

اخفت النقابة العامة قرار الفصل لمفاجأة الحريري عند تقدمه للترشيح الا أنه تمكن من الحصول على حكم قضائي يتمكن من تقديم أوراق ترشيحه، ثم حكم آخر برفض طعن النقابة العامة.

مفاجآت الفصل

نقابات عامة أخرى مارست نفس الاجراء بأساليب مختلفة مع مرشحين آخرين.

. أشرف حمودة العامل بتليفونات غرب القاهرة فوجىء برفض أوراق ترشيحه، بدعوى وجود قرار بفصله من النقابة العامة للعاملين بالاتصالات منذ عام ١٩٨٨. العامل لم يسبق إخطاره بهذا القرار وكانت اشتراكاته الشهرية في التنظيم النقابي تخصم من أجره بانتظام طوال هذه السنوات!

. **أحمد الزفتاوى عضو اللجنة المهنية النقابية للسائقين بالقاهرة** فوجىء أيضا برفض أوراق ترشيحه بدعوى أنه مفصول بقرار من الجمعية العمومية للنقابة العامة لعمال النقل البري، رغم أن أوراق ترشيحه تضمنت شهادة بأنه عضو بالنقابة العامة ومسدد للاشتراكات!

العاملان المستبعدان ليست لهما انتماءات حزبية، مما يؤكد أن التدخلات تمتد لتشمل أى نقابى معارض للفساد واستبداد الإدارة ومدافع عن حقوق العمال.

الاستبعاد بالنقل

أسلوب آخر تفشى استخدامه في الفترة السابقة على الترشيح، ضد عدد كبير من القيادات العمالية والنقابية.

. **قبل ١٣ يوما من فتح باب الترشيح، فوجىء حمدى حسين القائد العمالى بشركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة، بنقله إلى شركة الدلتا** للنسيج بزفتى. ادعى رئيس الشئون القانونية بشركته ان النقل تم بناء على قرار من رئيس الوزراء، ولم يعطه صورة من القرار المزعوم. توجه العامل إلى الشركة المنقول اليها ففوجىء باستبعاد اسمه من كشوف الجمعية العمومية للعاملين بها، وبهذا يسقط حقه فى الترشيح والانتخابات..

كان حمدى حسين قد نقل مع تسعة عمال آخرين إلى شركات خارج محافظاتهم وخارج قطاع الغزل والنسيج، وتم تشريدهم في محافظات أسوان، التي نقل اليها حمدى حسين، والوادى الجديد والبحر الأحمر وسوهاج وأسيوط والاسكندرية والقاهرة. كان ذلك في أول يناير ١٩٨٩، بعد خروجهم من المعتقل مع عشرات العمال الآخرين الذين قبض عليهم عقب مظاهرات عمال المحلة احتجاجا على الغاء منحة المدارس في ٢٠ سبتمبر ١٩٨٨.

ثم حصل على حكم قضائي بالعودة إلى شركته في ديسمبر الماضي وصدر قرار وزير الصناعة بتفنيذ الحكم في ٢٤ يناير، ليفاجأ بنقله من جديد.

وقبل أسبوعين من الترشيح تم نقل محمد عباس عضو الاتحاد المحلى لنقابات عمال أسوان وعضو اللجنة النقابية لعمال السكة الحديد بالمحافظة وعضو اللجنة المركزية لحزب التجمع إلى مدينة الأقصر، بدون موافقته ودون ارتكاب أى خطأ من جانبه، بالمخالفة لقانون النقابات العمالية ٣٥ لسنة ١٩٧٦.

أبو العز الحريري

٤٠٪ من اللجان بالتزكية ولجان لم يكتمل مرشحوها وأخرى استبعد مرشحوها بالكامل

قيادات التنظيم النقابي والوزارة والمدعى الاشتراكي والإدارات يعتدون على حقوق ملايين العمال في اختيار ممثليهم

مرشحو اليسار والنقابيون الديمقراطيون ضعف عددهم في الانتخابات الماضية

. فى القاهرة والجيزة تم نقل ١٨ عاملا من عملهم الانتاجى بموقع الهرم التابع لشركة وسائل النقل الخفيف، إلى جراج ومركز خدمة بالمنيل. والسبب أنهم لعبوا دوراً بارزاً فى انتخابات صندوق التأمين الاضافى للعاملين والتى أجريت يوم ٩ أغسطس الماضى، وأسفرت عن فوز من لاترضى عنهم الإدارة فتقرر نقلهم يوم ١٢ أغسطس.

. وفى الشركة القومية للأسمنت تم نقل ٣ قيادات عمالية إلى شركات چيمكو وسيجورات والطوب الرملى، وبعد ضغوط عمالية واعلامية من صحف المعارضة وتدخلات من النقابة العامة لعمال البناء ومحمد مصطفى عضو مجلس الشعب أمكن اعادة اثنين منهم، وبقى أحمد عباس الشريف منقولا إلى «چيمكو».. جاءت قرارات النقل مقابل اعتصام عمال الشركة فى يناير الماضى للمطالبة بحقهم فى مكافآت الانتاج.

. وفى الدقهلية تم نقل عبد الحميد سلام عضو حزب التجمع من سنترال المنصورة إلى محافظة دمياط قبل أيام من فتح باب الترشيح.

. وفى الغربية تم نقل فتحى أبو العز عضو حزب التجمع من شركة غزل المحلة إلى شركة النصر للصباغة والتجهيز بنفس المدينة.

ظاهرة التزكية

وتعود النسبة الكبيرة للجان التى فازت بالتزكية، بل ان بعضها لم يكتمل عدد المرشحين المطلوبين لاستكمال المجلس فتقرر تحويلها إلى لجان إدارية. إلى أسباب عديدة أهمها الاجراءات الجديدة التى أضافها وزير القوى العاملة فى قراراته رقم ١٠٩ و١١٠ و١١١ لسنة ١٩٩١ بشأن اجراءات الترشيح والانتخاب، ومن بينها اختبارات القراءة والكتابة، وتقديم شهادة من التأمينات الاجتماعية، بالاضافة إلى شهادة صاحب العمل.. وتشديد هذه الاجراءات، والزحام الشديد على مكاتب العمل نظراً للاقبال الواسع على الترشيح الذى اقتصرت فترته على ثلاثة أيام.. ويكفى القول بأن عدد المرشحين المتنافسين فى اللجان التى ستجرى بها انتخابات يبلغ ١٤ ألف عامل، بالاضافة إلى الآلاف من المتنافسين على انتخابات مجالس إدارات الشركات.

. استبعد مكتب عمل الزقازيق سبعة مرشحين بلجنة العاملين بالتليفونات بدون ابداء أسباب، وهى نفس اللجنة التى ينتمى اليها خيرى هاشم أمين عام اتحاد نقابات العمال. استبعد مكتب العمل أيضا بدون ابداء أسباب المرشح ممدوح عبد المجيد رئيس اللجنة المهنية النقابية لعمال الصناعات الهندسية والمعدنية بالزقازيق.

. وفى الأسكندرية والسويس تم الغاء اللجنة المهنية النقابية لبحارة السفن العربية والأجنبية بكلتا المحافظتين، بعد أن رفضت مديريتا العمل بهما قبول أوراق تشريع أكثر من ٦٠ بحاراً لعدم تقديم شهادات من التأمينات الاجتماعية. ومن المعروف أن بحارة السفن التى يمتلكها أجانب يتعذر التأمين عليهم اجتماعيا!

. وفى الشركة الدولية للخدمات الملاحية بالسويس رفض رئيس اللجنة النقابية اعتماد ترشيح ٣ عمال بدعوى عدم تسديدهم الاشتراكات، رغم أنهم لديهم ايصالات بتسديد هذه الاشتراكات!

اليسار يتضاعف

ووفقاً لتقديرات مكتب العمال المركزى بحزب التجمع، فان المرشحين للانتخابات النقابية من فصائل اليسار المختلفة وأصدقائهم وحلفائهم من النقابيين المستقلين يقترب من ١٥٠٠ مرشح، يتركز معظهم فى مواقع القطاع العام الصناعى الذى يبلغ عدد عماله إلى مليون ونصف مليون عامل. كما تمكن من توسيع صفوفهم فى القطاع الحكومى والخدمى والقطاع الخاص.. وبذلك يزيد مرشحو الجبهة النقابية الديمقراطية التى تضم اليسار ضعف مرشيحها فى انتخابات ١٩٨٧ العمالية، والذين كانوا يزيدون على ٦٠٠ مرشح. يخوضون المعركة فى مواجهة هذه التدخلات العديدة، والقيادات المهيمنة على التنظيم والمرتبطة بروابط عديدة بالحزب الحاكم ووزارة العمل، والجماعات السلفية التى أثبتت الممارسة النقابية فى الدورة المنتهية فشلها فى الارتباط بالعمال، بسبب تركيز أعضائها فى التنظيم النقابى على محاولة تحويل المنظمات النقابية إلى مجرد مؤسسات للتثقيف بالأفكار السلفية، وهو مايتنافى مع طبيعة ودور المنظمات النقابية للعمال.

حمدى حسين



صراعات المواقع العليا

حسم الحزب الوطنى صراعات أعضائه فى القيادة العليا للتنظيم النقابى، بالاستقرار على تقليص التغييرات فى المواقع القيادية فى أضيق نطاق.. استمرار أحمد العماوى رئيسا للاتحاد، واستمرار النائبين الباقيين السيد راشد ومختار عبد الحميد، بعد خروج أنور عشماوى وسعيد جمعة لبلوغهما سن المعاش وفقا للتعليمات الجديدة لوزير العمل، والتى لايوجد مثلها فى أى مكان فى العالم باستثناء مصر! واستمرار الأمين العام خيرى هاشم ومساعديه منير الصرفى ومحمد كامل لبيب وأمين الصندوق مصطفى منجى.

هذا الاستقرار لايرضى محمد مرسى عضو مجلس الشورى الذى وجد نفسه فجأة رئيساً للنقابة العامة لعمال المرافق بعدوفاة رئيسها السابق عبد الفتاح بدر، وسكرتيرا للعضوية والتنظيم باتحاد نقابات العمال.. فبدأ يطمع فى الوثوب إلى موقع الأمين العام بدلا من خيرى هاشم.

ويجرى كلا المتصارعين اتصالاتهما داخل قيادات التنظيم النقابى والحزب الوطنى والوزراء لحسم الصراع لصالحه.

ويتردد فى الأوساط النقابية انه اذا فشل خيرى هاشم فى الاحتفاظ بموقع الأمين العام، فان سيسعى لتولى موقع أحد نواب الرئيس والاشراف على العلاقات الدولية، وهو نفس الموقع الذى كان يتولاه أنور عشماوى قبل استبعاده، الا أن ذلك قد ينفجر صراعاً آخر بينه وبين مصطفى ابراهيم سكرتير العلاقات الدولية الحالى ورئيس النقابة العامة لعمال السياحة..

على أية حال.. ستتكشف أبعاد هذه الصراعات ومايتردد حولها بعد انتهاء انتخابات المنظمات القاعدية للعمال، والانتقال إلى مرحلة النقابات العامة بدءاً من ٧ نوفمبر القادم.

محنة التعليم والنمور الخمسة

هل هانت مصر إلى درجة وضع سياستها التعليمية في أروقة المعونة الأمريكية؟

د. عبد العظيم أنيس

الآن وقد سقطت دعوى وزير التعليم السابق د. فتحى سرور بأن تقريره عن استراتيجية التعليم الذى قدمه عام ١٩٨٧ والسياسات التى نفذها بعد ذلك، هى سياسة قومية تحظى بموافقة القيادة السياسية العليا فى مصر، يحق لنا أن نتساءل: ماذا بعد؟

وكيف تنوى الدولة أن تمضى فى إصلاح أوضاع التعليم، إذا كانت قد اعترفت على لسان الوزير الجديد بأن «**التعليم يمر بأزمة خطيرة تحتاج إلى تضافر كل الجهود والقوى الوطنية**» «وبحاجتنا إلى تغيير شامل لنظام التعليم يعتمد على الفكر والعقل وتشجيع الطلاب على التفكير بدلا من الاعتماد على الحشو والتلقين».؟

هذا هو السؤال الجوهرى اليوم

إن سقوط دعاوى د. فتحى سرور لاتتمثل فى تصريحات الوزير الجديد د. حسين كامل بهاء الدين فحسب، بل تتمثل حتى فيما يقوله الأستاذ **إبراهيم نافع** رئيس تحرير الاهرام فى سلسلة مقالاته الأخيرة بعنوان «**المواجهة الصعبة**»، وبالذات فى مقال ٦ سبتمبر حيث قال عند حديثه عن حاجتنا إلى تكوين قوة عمل مصرية تكون قادرة على تحقيق الإنتاج والتصدير المنشود مايلى نصاً: «إن هذا لن يتم إلا من خلال نظام للتعليم يختلف فى جوهره ومحتواه عما هو موجود الآن على أرض الوطن. ذلك أن المدرسة الموجودة حاليا بجميع مدخلاتها ومخرجاتها لاتقدم لمصر ماتحتاجة لتحقيق التقدم المنشود»

نظام التعليم الصحيح فى مصر لن يضعه إلا مصريون يعرفون ظروف بلادهم!

فهل يكون من المبكر أن نتساءل: ماذا بعد؟ وإلى أين تتجه الدولة فى سياسة إصلاح التعليم؟

يعتقد البعض ذلك. وهم يقولون إن علينا أن نعطى الوزير الجديد الوقت الكافى لمواجهة المشاكل العاجلة ولدراسة الموقف واستشارة القوى الوطنية المختلفة قبل أن نسأله: وماذا بعد؟

غير أن مادفعنا إلى طرح الموضوع هنا هو ماورد من إشارات فى سلسلة مقالات رئيس تحرير الأهرام الأخيرة توحى بإتجاهات النظام المصرى فى المرحلة القادمة.

وهذا القلق الذى نعبر عنه هنا من هذا التوجه يفترض أن الرأى الوارد فى مقالات رئيس تحرير أكبر مؤسسة صحفية حكومية فى مصر ليس بعيدا عن الفكر السائد فى أوساط القيادة السياسية العليا فى هذا الموضوع. ومثل هذا الافتراض هو لاشك افتراض معقول تبرره أحداث ووقائع وسوابق الماضى.

إننى أشير بشكل مباشر إلى ماورد فى سلسلة مقالات الاستاذ ابراهيم نافع الأخيرة من إعجاب بنظام التعليم فى البلدان الاسيوية الخمس التى تسميها الصحافة الغربية «**النمور الخمسة**»، وهى **تايوان وكوريا الجنوبية وهونج كنج وسنغافورة وتايلاند**، ومايشبه الدعوة إلى تقليد نظم تعليم هذه البلدان عند التفكير فى إصلاح نظام التعليم المصرى. لقد قال الاستاذ ابراهيم نافع فى مقال له ١٦ أغسطس مايلى نصا: «إستطاعت هذه الدول (النمور الخمسة) أن تحقق زيادة فى الانتاج والقدرة على المنافسة فى الأسواق العالمية من خلال الإلتزام بمايلى» ثم يعدد أسباب ذلك إلى أن يصل البند الثالث وهو..

«تنفيذ برنامج شامل لاعداد الانسان لكى يكون منتجا من خلال نظام للتعليم لايختلف عن النظم الموجودة فى الدول المتقدمة. لقد وضعوا لأنفسهم هدفا واضحا ومحددا وهو أن يكتسب كل فرد غنيا كان أو فقيرا- قبل أن يصل إلى سن الثامنة عشر- إلى جانب، المعرفة والعلوم الاساسية مهارة وحرفة تجعله قادرا على الانتاج»

ولسنا من ناحية المبدأ ضد دراسة نظم

التعليم فى تلك البلدان والاستفادة مما هو ملائم فى أنظمتها التعليمية لنا. ولكن مانحن ضده على وجه القطع أن يتصور أحد أن تقليد تلك الانظمة سوف يؤدى إلى إصلاح التعليم فى بلادنا وزيادة الانتاج وقدراتنا التصديرية. فهذا الحديث أولا عن «معجزة» النمور الخمسة فى الصحف الغربية وفى المؤسسات المالية قد سبقه أيضا خلال الستينيات وأوائل السبعينيات حديث طويل وواسع عن «المعجزة» البرازيلية إبان حكم العسكر هناك، و«المعجزة» **المكسيكية**. ثم إتضح أنه رغم الزيادة فى الناتج المحلى الاجمالى التى تحققت فى هذين البلدين فإن قاعدة الفقراء قد ازدادت أتساعا **كما إزداد الفقراء فقرا والاغنياء غنى**. ونستطيع أن نجد فى كتاب «الوصول العالمى» Globol Reach لمؤلفيه الأمريكيين **«بارنيت ومولر»** عشرات الأمثلة على التدهور الذى أصاب الشعب البرازيلى خلال تلك المعجزة!

أما الأمر الثانى فهو أنه لاينبغى لأحد أن ينسى الظروف الخاصة والإستثنائية التى تتعلق **بكوريا وتايوان** على وجه الخصوص. فالاولى تأسست كدولة بعد إستيلاء الشيوعيين على السلطة فى بكين عام ١٩٤٩، والثانية شهدت عامى ١٩٥٠-١٩٥١ معارك الحرب الساخنة التى كادت أن تتحول إلى حرب عالمية. وكلا الحدثين اعتبر بمثابة هزيمة للولايات المتحدة. **ولذا فإن المعونات، الامريكية الضخمة التى إنهالت على هذين البلدين لاينتظر أن تتكرر على** الاطلاق فى بلد آخر فى ظل الوضع الدولى الحالى.

كما أن قدرات أمريكا الاقتصادية التى خرجت بها بعد الحرب العالمية الثانية لم تعد هى قدراتها اليوم. وفضلا عن ذلك فإن حكومة تايوان نفذت منذ الخمسينيات **إصلاحا فى قطاع الزراعة أدى إلى توزيع للدخول اكثر عدلا فى ذلك القطاع، وهو أمر تعمل حكومتنا عكسه على طول الخط منذ بداية الانفتاح.**

أضف إلى ذلك أن «معجزة» بعض تلك البلدان نشأت فى أحضان وصاية مالية أمريكية أو يابانية. ومع ذلك فقد كثر الحديث فى صحف الغرب خلال الشهور الاخيرة عن انكسار اقتصادى فى كوريا الجنوبية نتيجة أوضاع الكساد العالمى، هذا فضلا عن الاضطرابات السياسية المستمرة فيها والتى يقودها طلاب الجامعات والمدارس بسبب أزمة الديمقراطية هناك، وهى اضطرابات لم تتوقف قط.

• لقد تحدثنا ببعض الاسهاب عن حالة بعض هذه «النمور» حتى نوضح اختلاف ظروف تلك البلدان عن ظروفنا، **وبالتالى فإن فكرة تقليد أنظمة التعليم فيها هى فكرة ضارة ولن تؤدى إلى الإصلاح المنشود**.

وربما يتذكر بعض القراء أنه عندما عين المرحوم د. **محمود فوزى** رئيسا للوزراء فى مصر فى أوائل **عهد السادات**.. خرج علينا بحديث صحفى طويل عن ضرورة نقل الخبرة اليابانية فى التعليم إلى مصر. وكان من المفارقات الساخرة أن صحف ومجلات اليابان كانت آنذاك مليئة بالشكوى من نظام التعليم اليابانى، لأنه يعتمد على التلقين والحفظ وليس على تنمية ملكة التفكير ولأنه طبقى أكثر من اللازم. وقدم اتحاد رجال الاعمال فى اليابان اكثر من تقرير حول هذا الموضوع، وكلها تشكو من ضعف ملكة الابداع عند اليابانى بالمقارنة مع زميله الغربى، وأحد هذه التقارير يشير إلى أن اليابانى الوحيد الذى منح جائزة نوبل كان يعيش ويعمل فى الولايات المتحدة.

وأود أن أشير إلى مرجع هام فى هذا الصدد، هو كتاب الكاتب والصحفى **الهولندى كاريل فان ولفرن** Karel Van Wolferen وعنوانه **«لغز القفزة اليابانية»** خصوصا الفصل الرابع الذى يتناول بالتفصيل نظام التعليم فى اليابان. والذى يجعل لمؤلف هذا الكتاب مصداقية خاصة هو أنه قضى معظم الخمس والعشرين سنة الماضية فى اليابان كما تولى التدريس فى جامعاتها.

لقد أسهبنا فى هذا الحديث لتوضيح خطورة الإنسياق وراء الانبهار بوضع «النمور الخمسة» والاتجاه إلى تقليد نظم التعليم هناك. فواقع الأمر أن نظام التعليم الصحيح فى مصر لن يضعه إلا مصريون بما يلائم ظروف مصر. ومصر بها كفاءات كثيرة لايستفاد بها فى وضع سياسات التعليم. والمشكلة الأساسية فى عدم الاستفادة من هذه الكفاءات هى أن توجهات النظام الحالى فى التبعية وفى السياسات الاجتماعية والاقتصادية الداخلية وفى الموقف من المؤسسات المالية الدولية- خصوصا صندوق النقد- كلها تتعارض مع أى مشروع جاد لإصلاح التعليم.

وبالطبع فنحن نكرر أننا لسنا ضد دراسة خبرة البلدان الأخرى فى التعليم والاستفادة منها وفق ظروفنا واحتياجاتنا. فنحن مع الانفتاح على العالم الخارجى فى ميادين الثقافة والتعليم، **ولكننا ضد أن تهون مصر إلى درجة أن توضع سياسات التعليم فى أروقة «المعونة الامريكية» فى القاهرة أو واشنطن**، وضد أن ننخدع بالانبهار الزائف بأوضاع كوريا أو تايوان، كما نبدى اندهاشنا مما قاله الاستاذ ابراهيم نافع فى مقال ٦ سبتمبر فى سياق حديثه عن التعليم، بأن التقدم يحتاج إلى معرفة ولن ندعى أن لدينا هذه المعرفة!!

د. حسين كامل بهاء الدين

ابراهيم نافع

رسالة حيفا



*** علمتنا أمريكا أن كل شئ له ثمن. فما هو الثمن الذى يطلب بوش ان يدفعه العرب والفلسطينيون مقابل تأجيل الضمانات (٧ مليارات دولار) لاسرائيل؟! وهل إغضاب اسرائيل جاء مقدمة لضرب الفلسطينيين؟!**

ماذا وراء هزة "الرسن" الأمريكية الإسرائيلية؟

نظير مجلي

هناك من يعتقد أن الخلاف الاسرائيلي. الأمريكي حول «مسألة الضمانات» هو مجرد أزمة وهمية مفتعلة ومشهد مسرحي جديد يخرجه ويمثله هذان المتحالفان. وأنا لست من هؤلاء. بل اعتقد انه خلاف حقيقي وفعلي. فهذا الخلاف، بشكله ومضمونه هو أخطر بكثير من مسألة الوهم والافتعال والتمثيل المسرحي. بل اكاد اقول: ياليتها كانت مجرد مسرحية مفتعلة.

ولكن في الوقت نفسه، فان هذا الخلاف ليس أزمة في العلاقات الاسرائيلية. الامريكية والذين يرونه كذلك، ويوجد كهؤلاء كثيرون وخصوصا في اسرائيل وفي العالم العربي، انما يقصدون خداع أنفسهم أو خداع الناس. وفي أحسن الاحوال هم بلهاء لا يستوعبون ماالذي يدور حولهم

اذن، ماالذي جرى ويجري في الواقع؟ وما هي حدود هذا الخلاف وماهي أسبابه؟ ولا أقل اهمية من ذلك : ماذا سيسفر عنه الخلاف؟!

ولكن السؤال الأهم في رأيي المتواضع، هو : ما الذي يمكن لنا نحن العرب أن نتعلمه من هذا الخلاف وكيفية نشوئه وتطوره وماانتهى او...ينتهى اليه.

ولنبدأ في قصة الخلاف من بدايتها.

القضية ثارت عندما أعلن الرئيس الامريكي جورج بوش، علنا، أنه لن يوقع على كتاب ضمانات لاسرائيل بمبلغ عشره مليارات دولار الآن- وسوف يؤجل ذلك (١٢٠) يوما.

والضمانات هذه مربوطة (لمن لا يذكر) بقضية الهجرة اليهودية الكبرى من الاتحاد السوفييتي بالأساس، واثيوبيا وغيرهما الى اسرائيل. والحديث يجرى عن استيعاب مليون مهاجر يهودى خلال السنوات الخمس ٩١-١٩٩٥ بمعدل ١٥٠-٢٠٠ الف سنويا. و لكى تستوعب اسرائيل هذا العدد الضخم من الناس الذين يأتون اليها على أمل ان الحياة فيها افضل من الحياة في موسكو ولينينجراد تحتاج إلى بناء ٦٠-٧٠ ألف وحده سكن في السنة وحوالى العشرين مدرسة وتوفير حوالى سبعين الف مكان عمل.

فمن أين يأتى المال؟

طبعا من الولايات المتحدة الامريكية، فهى الربيب العاطفي وهى الحليف الاستراتيجي وهى أغنى وأعظم دولة في العالم. ولكن الولايات المتحدة العظمى تقدم لاسرائيل دعما ماليا سنويا بمقدار ٣٫٥ مليار دولار. وتفتح المجال امام تقديم دعم مالى أخر من المتمولين اليهود الامريكيين بدون ضريبة خروج.

لذلك، توجهت حكومة شامير بالطلب إلى إدارة بوش لإعطائها كفالة (ضمانات) تستعملها لأخذ قروض سهلة من البنوك الامريكية والاوروبية وغيرها. فمع ان اسرائيل معروفة كدولة تحترم التزاماتها المالية مع البنوك، فان البنوك لا تغامر بدفع مبلغ ضخم كهذا بدون ضمانات. اذا قدمت الحكومة الامريكية الضمانات لهذا المبلغ فان حكومة اسرائيل- كما قال وزير المالية يعسحاق موداعي «بديعوت احرونوت»-٢٠/٩/١٩٩١)- ستتمكن من أخذ قروض بمبلغ يزيد عن العشرة مليارات دولار واضاف موداعي ان عدم الحصول على الضمانات يعني انهيار مشروع استيعاب المهاجرين وقال إن أولئك الذين يهاجمون الولايات المتحدة وينادون بأن تعتمد اسرائيل على نفسها وعلى يهود العالم وتستغنى عن الضمانات، إنما يثرثرون في الهواء. ولا رصيد لكلامهم».

.. لكنهم أجلوه

ان الامر الواضح والمقرر في هذا الموضوع هو ان إدارة بوش لم ترفض اعطاء ضمانات لاسرائيل. وكل مافى الأمر انها قررت تأجيله لمدة ١٢٠ يوما.

ونحن لانستهين بهذا التأجيل، فهو اكبر من أن تتحملة اسرائيل.. من الناحية المعنوية على الأقل. ولكن هل الهدف منه هو الضغط على اسرائيل وضرب من الابتزاز السياسى ام نوع من الاحتجاج وهز الرسن على إجراءات اسرائيلية ومتطاولة؟!

وهنا، يجب ان، نرصد تطورات هذا الموضوع.

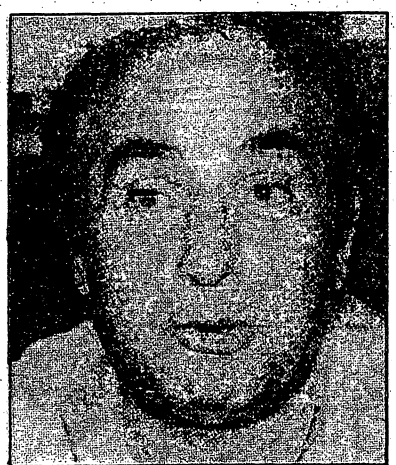
إن موضوع الضمانات الامريكية ولد وترعرع فى البيت الابيض فى واشنطن. عرضته الولايات المتحدة الامريكية العظمى ضمن جهدها ودعمها الكاملين لمشروع استيعاب المهاجرين اليهود الجدد. وقد تحدث وزير الخارجية الامريكى، بوضوح، عن هذا الموضوع فى الأردن (١٩/٩/١٩٩١) وأكد التزام بلاده فى قضية الهجرة.

وأمر آخر، فى الوقت الذى أعلن فيه بوش عن تأجيل اعطاء الضمانات بعشرة مليارات دولار، فانه اعلن انه وقع على ضمانات بمبلغ اربعمائة مليون دولار كقروض تعطى لاسرائيل، أى انه من الناحية الفعلية ضمنت امريكا المصروف المطلوب لاسرائيل خلال الأشهر الاربعة القادمة وكل مافعلته هو «هزة رسن» لا أكثر.. هدفها القول لحكومة اسرائيل: «لكل شئ حدود..» وكان قد سبق خلال حرب الخليج إعطاء إسرائيل ١٠ مليار دولارا.

والحديث عن «هزة الرسن» و«الحدود» لا علاقة مباشرة له بمؤتمر السلام العتيد. اذ انه ببساطة لم يشترط العرب على امريكا أن توقف اسرائيل الهجرة او استيعاب المهاجرين.. من أجل عقد المؤتمر. وحتى قضية الاستيطان، لم يطرحها العرب شرطا لعقد المؤتمر وكل ماهناك هو أن القادة العرب خصوصا مصر والاردن وم.ت.ف، يحتجون على الاستيطان ويعلنون ان من يريد السلام لايقوم بتنفيذ الاستيطان.

والادارة الامريكية من طرفها، تجاوبا مع حلفائها العرب الذين يحرجهم هذا الاستيطان أمام شعوبهم والعالم حاولت هز الرسن فى قضية الاستيطان.. لا اكثر. لقد بلغ الحرج حد الفضيحة. فضيحة لأمريكا، التى تدفع المال لاسرائيل، فتتصرف به على هذا النحو، وفضيحة لحلفائها العرب والمسلمين.. اذ أن الاستيطان يستهدف تهويد القدس وتهويد خليل الاحمد وتهويد الأرض الفلسطينية المحتلة كلها.

ان حكومة اسرائيل تقوم فى السنة الاخيرة وبأضخم عملية استيطان وبناء فى تاريخ البشرية الحديث، منذ إعادة إعمار الاتحاد السوفييتى بعد الحرب العالمية الثانية.



فيصل الحسينى

ومع ان الولايات المتحدة أعلنت أمام العالم عدم موافقتها على الاستيطان عدة مرات، فإن اسرائيل ردت بتحد سافر وراحت تكثف من الاستيطان، بالذات فى المناطق المحتلة وتنقل اليها ألوف المهاجرين.

فى البداية حاول الامريكيون وأصدقاؤهم العرب التخفيف من وطأة الامر بالادعاء أن هذه أعمال فردية من الوزير اليمينى المتطرف **ارئيل شارون**. ولكن شارون، بصلفه المعهود، اعلن ان كل مايفعله هو تنفيذ لقرارات الحكومة وليس هذه الحكومة الليكودية اليمينية فحسب بل الحكومة السابقة ايضا التى كان شريكا فيها حزب العمل، وان الخطط التى ينفذها، صادق عليها رئيس الحكومة شامير شخصيا ويقدم كل دعم من أجل انجاح تنفيذها.

ولكى لايبقى أى مجال للشك فى النوايا والاهداف، أعلن شارون غير مرة أن هدفه **من الاستيطان هو فرض الأمر الواقع. باختصار.. تهويد الارض العربية.** لقد صادرت حكومات اسرائيل ٦٥٪ من الأراضى الفلسطينية فى الضفة الغربية. وفى القدس تزيد النسبة اكثر واكثر. كل هذه الارض وضعت تحت تصرف الجيش والمستوطنين.

والحكومة كلها تقف فعلا لاقولا وراء فى هذه المهمة التوسعية .مئات ملايين الدولارات تصرف على هذه المهمة فى السنة الاخيرة ، وباعتراف وزير المالية...موداعى سحب شارون، ٣٦٠٠ مليون شيكل (١٥٠٠ مليون دولار) إضافة على ميزانية وزارته. مئات المقاولين وعشرات ألوف العاملين ينشغلون يوميا فى أعمال الحفر والبناء ، فى اسرائيل وفى المناطق المحتلة. كل هذه الأعمال مخالفة للقوانين والمواثيق الدولية.

والرئيس بوش، الذى يتظاهر بانه إله الشرعية الدولية فى العالم، بات يعرف ان البشر يرونه، كاذبا لا يطبق هذه الشرعية هنا فى الشرق الأوسط بل أنه يمول، بمليارات الدولارات، هذا الخرق للشرعية.

والحقيقة، ان الحكومة الاسرائيلية مرغت كرامة بوش وهيبته . هو يعلن الرفض للاستيطان علنا ويطالب اسرائيل بكل القنوات ان ترقفه. وهى تدير له قفاها ولا تكترث.

اشراف مباشر من قوات الاحتلال على الاستيطان فى الضفة



حتى وزراء في حكومة اسرائيل لم يحتملوا هذا الاستهتار فالوزير موداعي المذكور أنفا، قال: «هناك من يتحدى الادارة الامريكية وهذا غباء جنوني». ووزير الخارجية، دافيد ليفي، تساءل عن معنى هذا التحدي لأمريكا وقال: **هل ترون دولة أخرى صديقة سوى الولايات المتحدة؟! هل عندكم اقتراح لدولة أخرى أقوى أو أغنى أو أفضل؟!**

.. هكذا جاءت هزة الرسن.

...والثمن

ليس صدفة اننا نؤكد مرة أخرى على كلمة «هزة رسن»، فالمسألة لا تتعدى هذا الأمر أبدا. بل بالعكس. فمن عادة الخلافات الاسرائيلية- الامريكية أن تنتهي بسنوات عسل (على نمط شهر العسل). وزيارة بيكر الاخيرة (السابعة) للمنطقة اثبتت ذلك، وبشكل صارخ. فما جاء به إلى اسرائيل من بشائر «العسل» فاق كل التوقعات.

لقد علمتنا التجربة مع الامريكان أن لكل شئ ثمنا. ويتضح أن الذي يراد له ان يدفع ثمن هزة الرسن الامريكية لاسرائيل، ليس الجانب الاسرائيلي بل الفلسطيني.

فالجانب الاسرائيلي، عمليا، لن يدفع ثمنا، فهو يحتل كامل الارض الفلسطينية، والقسم الاكبر من مطالبه التوسعية استجاب لها بيكر استجابة كاملة. فقد وافق على أن **لايكون لمنظمة التحرير الفلسطينية أي دور مباشر في عملية السلام،** مع أن الشعب الفلسطيني كله يرى فيها الممثل الشرعي الوحيد. ووافق بيكر على ان **القدس الموحدة، عاصمة دولة اسرائيل التي لايمكن تقسيمها من جديد،** علما بان الشعب الفلسطيني يرى في جزئها الشرقي عاصمة للدولة الفلسطينية المتيدة والعالم العربي والاسلامي يريان فيها القبلة الثانية والحرم الثالث ولا يمكن لاحد منهم ان يسمح بأن تكون تحت حكم غير عربي واسلامي. ووافق بيكر كذلك مع اسرائيل على انه **لامجال للعودة إلى حدود ١٩٦٧ وان من حق اسرائيل أن تطلب ضمانات امنية في الجولان** وأن أي حل للقضية لايكون مستندا إلى قراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨ فحسب إنما ايضا إلى اتفاقيات كامب ديفيد، التي يرفضها العرب بالإجماع.

وفوق كل هذا أعلن بيكر بوضوح أن مسألة الضمانات هي مسألة تأجيل لا أكثر.

وأعطى ضمانات مؤقتة بقيمة ٤٠٠ مليون دولار. وليس هذا فحسب. فقد أعلن وزير الخارجية الاسرائيلي، دافيد ليفي («يديعوت احرونوت»-٩١/٩/٢٠) ان بيكر لم **يطلب منا أن نجمد الاستيطان كشرط لإعطاء الضمانات.** وأنا اريد أن أنفي بوضوح مانشر في هذا الموضوع. وكل ماأراده هو انه من حق الولايات المتحدة ان تعرف كيف ستصرف الاموال التي تعطيها لاسرائيل. وقد أجابه شامير على الفور بأننا «موافقون». وفي سياق آخر كتبت الصحيفة نفسها أن بيكر قال لشامير وليفي«لا نستطيع ولا نرغب في أن نفرض عليكم سياسة تتعارض مع سياستكم». وفي صباح يوم الاحد ٩١/٩/٢٢ أعلن في القدس عن إقامة مستوطنة جديدة في الضفة الغربية سوف تجمله الحكومة احتفالاً فتقيم مهرجانا.

واذا لم يكن هذا كله كافيا فقد ألمح بيكر لمحدثيه الاسرائيليين بان الولايات المتحدة- كما كتبت الصحيفة نفسها، وهي تعتبر اوسع الصحف انتشارا في اسرائيل واكثرها اطلاعا- **مستعدة لوضع جيش امريكي في الشرق الأوسط تكون مهمته حماية وضمان حدود دولة اسرائيل مع جاراتها، بعد انتهاء المفاوضات.** وأضاف: أن الولايات المتحدة لاتزال متمسكة بالضمانات التي أعطاها الرئيس الامريكي جيرالد فورد لاسرائيل في ايلول ١٩٧٥ وبموجبها تؤيد الولايات المتحدة الموقف القائل انه ضمن اتفاق سلام شامل مع سوريا يجب ضمان أمن اسرائيل إزاء أي هجوم عليها من هضبة الجولان.

وليس سرا أن الجيوش الأمريكية متواجدة في المنطقة بكثرة وتحيط بالعرب من كل جانب، ابتداء من الشرق، في الخليج، الى الغرب، في البحر المتوسط الى البحر الاحمر. **ونتحدث عن المناورات المشتركة مع مصر ولا عن النفوذ الأمريكي والاسرائيلي في اثيوبيا وغيرها من الدول الافريقية.**

شارون

بكلمات أخرى، فان اسرائيل لن تخسر شيئا جديا من هزة الرسن الامريكية. وما عليها الا أن تتصرف كالولد الشاطر بلا وقاحة ولا استفزاز.

أما المطالبون بدفع الثمن مقابل هزة الرسن فهم الفلسطينيون والعرب. ولذلك قلنا ان الخلاف الامريكي- الاسرائيلي هو اخطر من مسألة «الافتعال» و«المسرحة».

فما ارادته الادارة الامريكية من موقفها بشأن تأجيل الضمانات هو إرضاء العرب والتظاهر امامهم بانها تتعامل بمساواة. فلا يقولن أحد انها متحيزة لاسرائيل على حساب العرب. وها هي تؤجل الضمانات، وتتخذ موقفا حازما من الاستيطان.

يمكننا بالطبع أن نفهم رد الفعل الدبلوماسي من الزعامة العربية التي اعلنت عن ترحيبها بالخطوة الامريكية. ولم يقتصر هذا الترحيب على حلفاء امريكا التقليديين في الرياض والامارات والقاهرة. بل انخرطت فيه حتى منظمة التحرير الفلسطينية. ولا بأس في ذلك ولكن مابين الترحيب الدبلوماسي والانهراق السياسي وراءه.. تظل هناك مسافة كبيرة.

وما يحدث اليوم هو أن الولايات المتحدة الامريكية تأتي بمطالب متشددة من الفلسطينين تصل حد الاذلال والتشليح. فبعد ان تنازل الفلسطينييون عن الكثير من حقوقهم كأصحاب القضية ووافقوا على المشاركة في المؤتمر ضمن الوفد الاردني وبدون ممثلين مباشرين عن م.ت.ف. وبدون ممثلين من سكان القدس الحاليين (اقترحوا مقدسيين من سكان الاردن) ووافقوا على البدء بمفاوضات حول حكم ذاتي (واسع) كحل مرحلي تعقبه مفاوضات بعد ٣ سنوات لا أحد يدري كيف ستجري وعلى أية أسس ولا أحد يضمن إذا كانت ستجري أصلا، بعد كل هذه التنازلات، يقولون لهم اليوم: اسرائيل لاتقبل بكذا.. ويجب عدم التشبث بكذا..

ويلمح الامريكيون بأن الوضع العالمي الجديد (الذي خلقوه هم بأنفسهم نتيجة حربهم التدميرية على العراق وانهيار العالم الاشتراكي) خلق وضعا جديدا تبدو فيه اسرائيل اقوى ويبدو فيه الفلسطينيون أضعف. ولذلك يجب على الفلسطينيين ان

يكتفوا بتقديم طلبات على قدهم وحجمهم.
وعاد بيكر وهدد الفلسطينيين بكلمات رقيقة (التلفزيون الاردني - ٩١/٩/١٩): للفلسطينيين توجد اليوم فرصة ذهبية ان اضاعوا هذه الفرصة سيخسرون. بل سيكونون أول الخاسرين.
وبيكر يعرف تماما مايقول، خصوصا وان هذا التصريح يتكرر في زياراته الاخيرة. وعلى الرغم من انه يعقد الجلسات، بوتائر عالية لمندوبين فلسطينيين (فيصل الحسيني، رئيسا، ود. حنان عشراوي ود. زكريا الاغا) فان همه الأساسي ليس الوصول معهم الى حل يرضي جميع الاطراف بقدر ماهو محاولة للابتزاز حتى تنزل مطالبهم إلى الحد الادنى الذي تقبله اسرائيل.
وعندما هز الامريكيون الرسن لاسرائيل انما قصدوا القول: ياعرب. لا تتهمونا بالتحيز الى اسرائيل. فمثلما نضغط على اسرائيل يجب أن نضغط على الفلسطينيين. وحتى لو غضب شامير سنواصل ضغطنا. وكذلك الامر بالنسبة للفلسطينيين.
والحقيقة انه مقابل اغضاب اسرائيل نراهم يبكون الفلسطينيين ويوجهون لهم الضربات.
لقد سبق وذكرنا، على لسان دافيد ليفي، ان امريكا لاتشترط على اسرائيل سياسية أخرى غير سياستها فلماذا يشترطون على الفلسطينيين سياسة أخرى غير سياستهم؟!
وذكرنا، ايضا على لسان ليفي، انهم لا يشترطون على اسرائيل وقف الاستيطان. فلماذا يشترطون على الفلسطينين أن يتنازلوا عن ممثلهم الشرعي؟!
واذا كانوا يعطون لإسرائيل الضمانات المالية والعسكرية فلماذا يبخلون على الفلسطينيين بالضمانات السياسية؟!
ان هذه المواقف تشكل فضيحة اخرى للموقف الامريكي المتحيز لاسرائيل، بدون تحفظ، على حساب الفلسطينيين.

... والدرس الذي ينبغي ان نتعلمه نحن العرب

قد تحدث تطورات جديدة ومفاجئة في الفترة مابين كتابة هذه السطور وبين خروجها الى النور، ولو اننا لاننتظر تغيرات جوهرية. ولكن ماحدث من تطورات حتى الآن يحتوي على الكثير من الدروس التي ينبغي أن نتعلمها نحن العرب. ابرزها:
أولا: ان اسرائيل، التي تعرف مقدار حجمها في توازن القوى في المنطقة، تتصرف أكثر بكثير من وزنها، تتحدى الادارة الامريكية بشكل سافر. تقيم الدنيا وتقعدها/اعلاميا/ وفي الوقت نفسه تخلق الامر الواقع. تجند قوى ضاغطة على الادارة الامريكية من داخل البيت الابيض والكونغرس ومجلس السنات بينما الدول العربية، التي تملك طاقات مادية هائلة، قادرة بواسطتها على الضغط الخانق على الادارة الامريكية، **لاتستغل ولو جزءا بسيطا من قوتها للتأثير على هذه الادارة حتى تقبل ولو بالحد الادنى من المطالب الفلسطينية.**
ثانيا: ان اسرائيل تستغل حرب الخليج وكونها ظلت صامتة ولم ترد على الصواريخ العراقية نزولا عند رغبة الامريكين، فتسعى لقبض ثمن هذا السكوت بالمكاسب السياسية والمادية والمعنوية. **بينما الدول العربية التي تحالفت مع امريكا في هذه الحرب، ولاول مرة في تاريخ العرب.. ضد دولة عربية، واستضافت القوات الامريكية على ارضها وحاربت الى جانبها ودفعت لها مليارات الدولارات لتغطية كل خسائرها في هذه الحرب ،لم تطلب ثمنا لموقفها بأي شئ بل تبدو امام امريكا مكسورة الجناح، فاقدة العامود الفقري. ولولا الحياء، - إن كان عندها حياء، لقدمت لها الشعب الفلسطيني وقضيته قربانا.**
ثالثا: النظام العالمي الجديد نظام إجرامي. الضعيف فيه يضيع بين أقدام المستعمرين الأقوياء. ومع ذلك فانه طور الى درجة عالية نظام المصالح. واسرائيل تفهم هذه المعادلة وتستغلها الى اقصى الحدود. **بينما العرب يبدون «كرماء» في التنازل عن مصالحهم** اللهم الا اذا كان الزعماء العرب والحكومات العربية- كما تقول الدعاية الاسرائيلية ليل نهار- ليسوا معنيين بحل عادل ومشرف للقضية الفلسطينية **ويرون في قيام دولة فلسطينية إلى جانب اسرائيل خطرا على كراسيهم وتعارضا مع مصالحهم.**
رابعا: ان توازن القوى الذي يبدو مقررا في المنطقة اليوم هو ان اسرائيل تحتل الاراضي العربية مسنودة بامريكا. لديها الكثير الكثير من اوراق اللعب. وراءها رصيد غني من خدمة المصالح الامريكية، تشترط حتى على الاتحاد السوفيتي شروطا للمشاركة في مؤتمر السلام (شرطها ان يعيد علاقاته الدبلوماسية مع اسرائيل). فماذا عن الاوراق التي يملكها الفلسطينيون والعرب؟ **ماذا عن الانتفاضة، اهم ورقة يملكها الفلسطينيون؟ هل يدرك العرب أهميتها؟ هل يفكرون بضرورة دعمها وتطويرها، أم يشاركون في ضربها وتحطيمها؟!**
ان هذه هي بعض الدروس والسؤال هو: هل نتعلم شيئا منها؟! أم نذهب الى مؤتمر السلام وراء امريكا بلا حول ولاقوة.. ولاحضور؟!


يهود سوفييت..في طريقهم للاستيطان في الاراضي العربية المحتلة

الحاجة باتت ملحة لاتفاق وطني شامل

حول نقاط الحد الأدنى وآلية تنفيذها

حنا عميرة

مع ظهور هذا التقرير على صفحات مجلة اليسار يكون المجلس الوطني الفلسطيني قد انهى دورته العشرين في الجزائر وذلك حسب جدوله الزمني المعلن اى الثلث الاخير من شهر أيلول.

ولأسباب فنية تقتضي الانتهاء من كتابة هذا التقرير في منتصف ايلول، حتى يتسنى نشره في «اليسار» في مطلع تشرين اول، تكون كتابتنا للتقرير قد سبقت انعقاد المجلس، وظهوره إلى العلن قد تأخر إلى مابعد صدور القرارات، وفي ذلك مفارقة عجيبة، لكنها لن تحول دون الكتابة عن هذا الحدث الهام جدا في حياة الشعب الفلسطيني ولاسيما جزئه الصامد فوق الأراضي المحتلة، أو في دولة فلسطين المحتلة.

وتتلخص اهمية انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في أن نتائجه هي التي ستحدد مسار التحرك السياسي الفلسطيني خلال المرحلة المقبلة وستقدم الاجابات على الاسئلة والاستفسارات الكثيرة التي تتعلق بموقف قيادة منظمة التحرير من مؤتمر السلام ومسيرة السلام والتحرك السياسي وغيرها.

لهذا السبب فان هذا الحدث يفرض نفسه على باقي الأحداث، فهو يشكل عندنا في الضفة والقطاع مركز استقطاب عام حيث تجرى الاتصالات والمناقشات وصياغة المذكرات التي تمتلىء بالمطالب والاقتراحات، التي تعكس بالأساس آمال وتطلعات الجماهير وتوقعاتهم من الدورة العشرين بعد ان انجزت الدورة السابقة برنامج السلام الفلسطيني.

وفي الوقت الحالي، اى عشية انعقاد المؤتمر، يجرى على قدم وساق البحث في العديد من المذكرات المقدمة من تنظيمات وشخصيات وأفراد في محاولة لصياغة مذكرة وطنية موحدة توجه إلى المجلس، ومن خلال الاطلاع على عدد منها وعلى الأراء والاستفتاءات المنشورة حول هذا الموضوع يظهر بوضوح أن القواسم المشتركة للمذكرات ووجهات النظر، والتي تعبر عن الاتجاه العام داخل المناطق المحتلة تتلخص في ثلاثة محاور رئيسية، **المحور الأول** يتمثل في ضرورة البدء بعملية الاصلاح الإداري والمالي داخل المنظمة، **والمحور الثاني** يتمثل في ضرورة الاتفاق على مطالب الحد الادنى وطنيا والتي لايجوز التنازل عنها من أى «جانب أيا كان والتي تكفل على المدى البعيد إنجاز الاستقلال الوطني للشعب الفلسطيني وحقه في العودة، والمحور الثالث ويتمثل في ضرورة الاتفاق على الآلية المناسبة لاتخاذ القرارات بصورة جماعية واعطاء المناطق المحتلة دورا يتناسب مع اهميتها السياسية في هذا المجال بما في ذلك اعادة النظر بصورة جذرية في اسلوب العلاقات القائم بين الخارج والداخل.

ولوحظ في هذا المجال بأن البندين الأول والثالث يحتلان الأهمية الأولى في سلم الأولويات الأخرى، وخاصة أن الدورة السابقة للمجلس الوطني وماتلاها من قرارات للمجلس المركزي الفلسطيني قد انجزت إلى حد كبير مسألة الاتفاق على برنامج سياسي يتعامل مع الواقع الدولي الناشىء بصورة عملية، وان مابات يشكل نقطة خلاف سياسية في الوقت الراهن ليس تحديد مطالب الحد الاعلى أو الدخول في سباق المزايدات السياسية، كما كان الحال قبل الدورة ال ١٦، والتي فتحت قراراتها طريقا استكملته قرارات الدورة ال ١٩، وانما بات الأمر الملح الأن يتمثل في **الحاجة القاطعة لتحديد نقاط الحد الادنى المتفق عليها وطنيا والتي لايجوز التراجع عنها وتشكل الأساس** اكا من يناقش أو يفاوض أو يتحدث بأسم ـعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية.

وعلى هذا الأساس فان الاداء الفلسطيني وآليات ضبط هذا الاداء تكتسب اهمية كبرى ومتزايدة لضمان تنفيذ الخطة السياسية للشعب الفلسطيني وحماية منظمة التحرير من المحاولات الامريكية- الاسرائيلية المحمومة لتجاوز دورها وتوجيه ضربة «نوك آوت» لبرنامجها السياسي.

وبهذا الصدد تضمنت مسودة ورقة العمل التي تقدم بها **الحزب الشيوعي الفلسطيني** في الداخل اقتراحات محددة حول الآلية أو الاجراءات والوسائل التنظيمية المطلوبة لتنفيذ خطة الحد الادنى التي يمكن تلخيصها في عشر نقاط، وهي على الشكل التالي:

١) ضمان حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني بما في ذلك حقة في إنجاز الاستقلال الوطني.

٢) مؤتمر السلام يجب أن يعقد على أساس قرارات الشرعية الدولية بما يكفل انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة عام ٦٧.

٣) حق الشعب الفلسطيني المطلق، غير القابل للتفاوض في تحديد ممثليه واختيار من يفاوض باسمه.

٤) تأمين ضمانات عربية بأن تكون نتائج المفاوضات حصول الشعب الفلسطيني على

حقه فى تقرير المصير، وتعهدات من الدول العربية المشاركة بأنها لن تقبل بحلول انفرادية على حساب الفلسطينيين.

٥) الحصول على ضمانات عربية ودولية بان مبادىء الشرعية الدولية والقانون الدولى هى المرجع لأى خلاف أو نقاش.

٦) تمثيل الشعب الفلسطينى يجب ان يشمل اجزاءه فى الخارج والداخل بما فى ذلك القدس فى جميع مراحل المفاوضات.

٧) القدس جزء لايتجزأ من الأراضى الفلسطينية المحتلة ولاجواز لأى تراجع فى هذا المجال.

٨) اية ترتيبات انتقالية يجب ان تضمن حق الشعب الفلسطينى فى السيادة الكاملة على ارضه ومياهه وحدوده وعلى القوانين والقضاء والتشريع وحقوق المواطنة والدخول إلى الأراضى الفلسطينية والخروج منها.

٩) التجميد الكامل للاستيطان قبل البدء بالمفاوضات مع تأمين رقابة دولية على ذلك.

١٠) توفير الحماية الدولية للشعب الفلسطينى خلال كافة مراحل الحل.

وبعد هذا الاستعراض لنقاط الحد الادنى جاء فى مسودة المذكرة **«ان موضوعة تشكيل وفد فلسطينى لايجوز ان تتقدم إقرار النقاط المذكورة او تتم بمعزل عن محتواها.**

وفى هذه النقطة بالتحديد يكمن الخلاف مع الذين يفضلون التفاوض كما هو معروف حول موضوعات لايجوز التفاوض حولها مثل موضوعة التمثيل الفلسطينى.

اما عن آلية التنفيذ. أو الاجراءات التنظيمية فقد اقترحت مسودة المذكرة النقاط الاساسية التالية:

أ) تكوين هيئة قيادية مكونة من ممثلى قيادات الاطراف الوطنية الموافقة على برنامج خطة العمل المذكورة، ينتخبها المجلس الوطنى ويخولها وحدها حق ادارة العملية السياسية بشكل جماعى خلال هذه المرحلة وإدارة وتنفيذ كل جوانب عملية المباحثات مع أية اطراف أخرى، وتكون المرجع الوحيد فى هذا المجال على ان تأخذ قراراتها بالإجماع وتعود للمجلس الوطنى وهيئاته فى حالة وجود خلافات أساسية فى الرأى.

ب) تتكون قيادة سياسية مماثلة فى الداخل، من ممثلى نفس الاطراف الذين يتمتعون بالكفاءة والمصداقية بالإضافة إلى مجموعة من المستقلين الوطنيين.

ج) يتم وضع واقرار آلية سليمة بين الهيئتين، بشكل يضمن جماعية عملية الاتصال ومشاركة اعضاء الهيئتين بشكل شمولى فيها.

د) يشكل المجلس الوطنى لجانا مختصة دائمة الانعقاد بما فى ذلك لجنة للشئون الخارجية ولجنة للإشراف على أجهزة منظمة التحرير، يكون لها حق الاستماع إلى تقارير دورية من اللجنة التنفيذية واعضائها وحق محاسبتهم بشكل منظم.

هـ) إعادة النظر فى هياكل وأجهزة منظمة التحرير وإخضاعها للفحص ودراسة سبل تفعيلها وخاصة الأجهزة المتعلقة بالأراضى والشئون الخارجية والمالية. ويشمل ذلك تكوين هيئة من أعضاء المجلس الوطنى الذين يتمتعون بالمصداقية ويتسمون بالاستقلالية للإشراف على كل جوانب العلاقة بالأرض المحتلة وتطويرها على أسس سليمة.

هذا بالنسبة لمسودة المذكرة المعروضة للنقاش من جانب الحزب الشيوعى الفلسطينى.

وحول نفس هذه القضايا نشرت عدة شخصيات وطنية فلسطينية وجهات نظرها ومواقفها من خلال استطلاعات للرأى اجرتها مجلة «صوت الوطن» التى تصدر فى قبرص وغيرها من المجلات والصحف العربية وكان السؤال بالأساس يتعلق بالموقف من المشاركة فى مؤتمر السلام. وفى معرض إجابتها تطرقت الشخصيات المذكورة إلى موضوعة العلاقة بين الداخل والخارج وإلى البرنامج السياسى الذى تترجب المشاركة على أساسه. وفيما يلى تلخيص سريع لهذه الاراء.

بسام الشكعة- رئيس بلدية نابلس المنتخب والمقال من قبل سلطات الإحتلال الإسرائيلى

«إن الاشتراك فى مؤتمر السلام يجب أن يكون مرهونا بتحصين وتصليب الموقف الفلسطينى بمضامينه الوطنية والقومية والانسانية، وان لم يحدث ذلك فاننى ارى نتيجة واحدة الاستمرار فى التنازلات لمصلحة دول التحالف، وأضاف إن الاشتراك فى المؤتمر له ظروفه، فان لم تتحقق فان عدم الاشتراك افضل.

المحامى فريح ابو مدين/ رئيس نقابة المحامين فى غزة.

أكد بأن المشاركة الفلسطينية فى مؤتمر السلام يجب أن تكون على أساس الثوابت الفلسطينية وفى مقدمتها برنامج السلام لعام ١٩٨٨.

المهندس ابراهيم الدقاق رئيس جمعية الملتقى الفكرى ونقيب سابق للمهندسين/

طالب باعتماد مبدأ المكاشفة بين القيادة والشعب الفلسطينى والخروج من اسلوب التفرد فى اتخاذ القرارات وبعد أن أشار إلى الأرض المحتلة باعتبارها ركيزة النضال الفلسطينى، قال: «رغم الأهمية الاستراتيجية للأراضى المحتلة فهى محرومة من المشاركة

من صور الانتفاضة

في اتخاذ القرار وصياغته، ورغم شكلية مشاركة الارض المحتلة حاليا والمتمثلة في تكليف بعض الأفراد بالحديث مع الجانب الامريكي، فان دور هؤلاء لايتعدى دور الموصل الامين بين تونس وواشنطن مع إسقاط واضح لرأي الشارع الفلسطيني في الداخل، ثم طالب الدقاق بضرورة الربط الأمثل بين الأداء الميداني والعمل السياسي المسؤول دون افتعال أو إكراه.

د. جورج جقمان- استاذ الفلسفة المشارك في جامعة بيرزيت.

قال: «بإمكان الفلسطينيين عدم حضور مؤتمر السلام في حال عدم توفر حد ادنى من المقومات، من بينها تمثيل فلسطيني القدس وفلسطيني الخارج، كما ينبغي الإصرار على إيقاف الاستيطان ومصادرة الأراضي وليس لفترة انعقاد المؤتمر ذلك ان استمرارها هو بمثابة استباق لنتائج المفاوضات.

المحامي جريس الخوري/ نقيب المحامين سابقا

وبعد أن استعرض الاختلال الكبير في موازين القوة بين اسرائيل، ومنظمة التحرير، أكد أن المشاركة في مؤتمر السلام مخاطرة كبيرة لاتحمد عقباها ويترتب عليها نتائج مدمرة على الصعيدين السياسي والوطني، وعن المخرج من هذه الحالة قال «انا أعي ان الرفض الفلسطيني للمشاركة في المؤتمر المطروح سيعرض شعبنا إلى حملة متجنية من الاساءة والتشويش وأضاف» وعندي ان الحل يكمن في قيام منظمة التحرير باصدار بيان مدروس بعمق وجيد التسبيب، موجه إلى الأسرة الدولية، يشرح الوضع الحقيقي من ان اسرائيل وأمريكا لم تبقيا لنا ما نتفاوض حوله، ودعا إلى رفع وتائر الانتفاضة الشعبية والتحرك الفعال على الصعيدين العربي والدولي لتجنيد حلفاء وأنصار للشعب الفلسطيني كما دعا ايضا إلى تعزيز الوحدة الوطنية.

د. سمير عبد الله صالح- استاذ مشارك في كلية الاقتصاد جامعة النجاح.

قال «إن خيار حضور مؤتمر السلام هو افضل من تجنب المؤتمر والمساعي السياسية من بعيد. وأضاف «لكن ذلك لايعني اتباع هذا الخيار بأي ثمن، حيث لاقيمة للحضور إن كان



ياسر عرفات

التنازل عن المبادىء هو تذكرة الدخول إلى المؤتمر، ولكن حتى نجتاز الامتحان بنجاح، ينبغي اعادة ترتيب اوضاعنا بشكل افضل وفي مقدمة ذلك المزيد من الوضوح والصراحة مع الشعب، المزيد من الوضوح لما نريده من المؤتمر ومن العملية السياسية الجارية، المزيد من الوحدة بين اطراف الحركة الوطنية والمزيد من التمسك بقرارات الشرعية الدولية.

د. سعيد زيداني استاذ مساعد/ دائرة الفلسفة والدراسات الثقافية جامعة بيرزيت.

تحدث عن ثلاثة شروط ضرورية لاشتراك الفلسطينيين في مؤتمر السلام وهي أولاً: المشاركة الصريحة والعلنية والواضحة لمنظمة التحرير.

ثانيا: وقف الاستيطان، ثالثا: أن يكون الأساس لانعقاد المؤتمر قراري مجلس الأمن ٢٤٢، ٢٣٨ مضافا اليهما مبدأ الأرض مقابل السلام أو حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، وعارض المشاركة في المؤتمر بوفد من الداخل فقط، وأكد ان بمقدور الشعب الفلسطيني وقيادته الشرعية افشال انعقاد المؤتمر إذا لم يتم استيفاء الشروط الفلسطينية قبل انعقاده.

د. حيدر عبد الشافي رئيس جمعية الهلال الأحمر بغزة-

قال «يجب أن لانشارك في المؤتمر على أساس ما تتمسك به اسرائيل من الإصرار على مواصلة الاستيطان والتدخل في تشكيل الوفد الفلسطيني خصوصا المطالبة بعدم مشاركة احد من فلسطيني القدس الشرقية والغاء دور منظمة التحرير كما انني لا أؤيد الوفد المشترك.

عبد الهادي ابو خوصة- مدير جمعية بنك الدم المركزي غزة-

أكد أن مايسمى بمؤتمر السلام وفق الطرح الأمريكي لن يخدم إلا أصحابه والسائرين في اتجاهه وان يكون نصيبهم الأقل من الحكم الذاتي. ودعا إلى تطوير وحدة وطنية حقيقية حول قرارات الدورة ال ١٩ وبرنامج السلام الفلسطيني وتطوير الانتفاضة الشعبية والتوجه إلى جميع قوى التضامن العربية والدولية لتأييد الموقف الفلسطيني.

وبعد فقد كانت جميع هذه الإجابات تعبر عن مطالب ومواقف محددة لممثلي قطاع واسع من جماهير الشعب الفلسطيني، وتطرح نفسها بقوة على اجتماعات المجلس الوطني وعلى صيغة قراراته. فالجميع الآن تقريبا بات يتحدث عن نقاط الحد الأدنى الضرورية التي تكفل ايصال الجماهير الفلسطينية إلى انجاز استقلالها الوطني، وتجمع مختلف الاوساط ايضا على ضرورة تحديد الضمانات والآليات التي تكفل اتخاذ القرارات بصورة تعكس الإجماع السياسي للشعب الفلسطيني وبدون ذلك ستبقى الورقة الفلسطينية عرضة للرياح الامريكية العاتية التي قد تعصف بها بعيدا عن الاهداف المطلوبة.



محاولة اغتيال "عمر الجاوي"

تفجر المخاوف من عودة التصفيات الدموية

سعيد أحمد الجناحي

لم يمض سوى شهر واحد منذ أن تعرض «الدكتور الأصبحي» أمين سر اللجنة الدائمة «للمؤتمر الشعبي العام» إلى عملية اغتيال، حين كان على وشك الدخول إلى مكتبه. فقد أطلق احد العاملين فى مقر المؤتمر النار عليه من مسدس أصاب الدكتور الأصبحي إصابة بالغة ولازال قيد العلاج فى إحدى مستشفيات الأردن، واتضح أن تلك العملية كانت بسبب خلاف شخصي وأن الجاني مصاب بمرض نفسي.!!

لكن ما حدث يوم الثلاثاء ١١/١٩/١٩٩١ كان عكس تلك الحادثة، لقد تعرض الاستاذ «عمر الجاوي» أمين عام «التجمع الوحدوي»، والمهندس حسن حريبي مسئول منظمة التجمع الوحدوي فى العاصمة صنعاء، وكان معهما نجل المهندس الحريبي، «فهد ٢٠ عاماً» إلى عملية اغتيال سياسي، فحين كانوا على وشك مغادرة سيارتهم أمام منزل صديق لهم فى أكبر شارع فى صنعاء، وقفت سيارة بمحاذاتهم وأطلق أحد ركابها النار عليهم من رشاش آلي أصاب عدد منها المهندس الحريبي الذى توفى فى الحال وجرح كل من الأستاذ الجاوي، ونجل الحريبي. ولاذ الجناة بالفرار.

لقد أحدث ذلك النبأ هزة عميقة ومؤلمة فى الأوساط السياسية، الحزبية والرسمية والشعبية، ففور وقوع الحادث أصدر الحزب **الاشتراكي والمؤتمر الشعبي** بياناً مشتركا أذيع عقب إذاعة النبأ من الوسائل الاعلامية، أدانا فيه عملية الاغتيال واعتبراها مساً صارخاً بالتجربة الديمقراطية، ومحاولة لزعزعة الأمن والاستقرار التى تسود البلاد، وإنذار المدبرين بأن فعلتهم تلك لن تمر بدون عقاب، كما أدانها مجلس النواب، ومجلس الوزراء.

لقد واجهت تلك العملية إدانة شعبية فى عموم اليمن وخاصة من قبل الأحزاب والمنظمات الجماهيرية عبرت عنها المظاهرات الصامته التى خرجت فى الشوارع عقب دفن المهندس الحريبي فى ٩١/٩/١٣ الذى أطلق عليه **الشهيد الأول للديمقراطية**، وفى صنعاء، تواصلت مسيرة الدفن إلى مقر التجمع الوحدوي فى الحصبة، حيث استقبلها الأستاذ **عمر الجاوي بخطاب** كشف فيه عن هدف العملية بقوله **إنها عملية اغتيال سياسي، استشهد فيها المهندس الحريبي «وقال» واضح ان الرصاص كان يستهدف الشرعية، والوحدة والديمقراطية والارهاب لايعنى سيئا إلا المزيد من النضال**. جاءت كلمة الجاوي رداً على بعض الصحف التى نشرت أن عملية الاغتيال استهدفت المهندس الحريبي الذى يعمل مدير مشروع المرتفعات الزراعي، بسبب اصطدامه مع بعض ملاك الأراضي، وخاصة بعد ان منع زراعة الحشيش، والمعروف ان الحشيش تعمل منه أكلة يمنية تسمى «الشفوت» واستندت تلك الصحف إلى قول نجل المهندس ان الثلاثة اشخاص الذين نفذو

العملية كانوا قد سألوا عن أبيه صباح يوم الحادث.

ومع ذلك فإن الوضع القلق والمشوب بالخوف الذي سببته عملية الاغتيال السياسي تلك واضحة تماماً لدى الاوساط الحزبية، إذ يخشى أن تكون عملية جس نبض أو «بروفة» لعمليات أخرى، قد تقود البلاد إلى مآسي العنف الذي عانت منه اليمن في الماضي، ووأداً للحياة الديمقراطية الفريدة التي يعيشها المجتمع اليمني تحت ظل الوحدة.

لقد مر الشعب اليمني بتجارب مؤلمة كان العنف السياسي سببها، كانت بدايتها في ١٧ فبراير ١٩٤٨، حين رأى الأحرار التخلص من **الأمام يحيى** بالقتل بإعتباره إماماً مستبداً، وإحلال إمام إصلاحي محله يحكم البلاد على أساس، قيام المؤسسات ودستور يهتدي به الجميع.

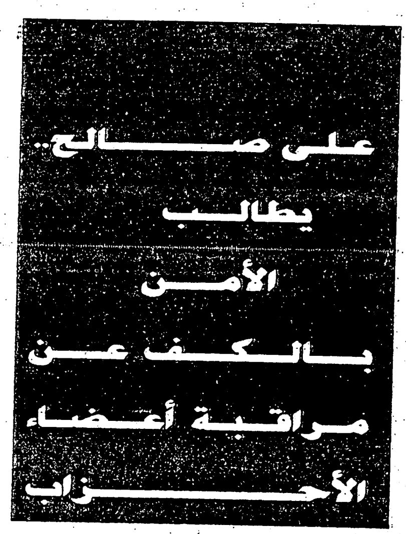
وعن تلك البداية يروي **أحمد محمد الوزير** في كتابه **«حياة الأمير»** قوله لما عرض قتل الأمام يحيى كنت معارضاً إلا أني قابلت **الفضيل الورتلاني**- (وهو عضو في جميعة الأخوان المسلمين نجح في تأسيس شركة في صنعاء لتشكل له غطاء حاجباً لنشاطه السياسي)- حين قابلت **الورتلاني** أدلى بمبررات كثيرة بضرورة قتل الإمام يحيى وضرب مثلاً بتجرم الصحابة رضوان الله عليهم في حكم الخليفة الثالث «عثمان بن عفان» وإن جماعة منهم قرروا اباحة دمه لأسباب هي أقل مما علية الإمام يحيى»

وهكذا أوكل **«الوزير»** إلى الشيخ **«علي القردعي»** القيام بعملية الاغتيال مستغلاً خلافه مع الإمام، ولما طلب الشيخ القردعي فتوى شرعية، أفتاه بها العلامة **حسين الكبسي**. وفي ١٧ فبراير ١٩٤٨م لقي الإمام مصرعه في منطقة «حزيز» عند مشارف صنعاء، وأقام الأحرار دولتهم بزعامة الإمام **عبد الله الوزير**، غيرأن حرباً ضارية نشبت بين الدولة الجديدة والأمير أحمد نجل الإمام يحيى، وبعد (٢١) يوماً تداعت سلطة الأحرار واستعاد نجل الإمام السلطة ليمارس ابشع عمليات القتل للثوار، وأباح صنعاء للقبائل لثلاثة أيام متتالية.

وبعد عملية الاغتيال الانقلابية هذه شهدت اليمن عملية اغتيال لكبح التأثير السياسي إبان الحرب بين الجمهوريين والملكيين، اثناء تواجد الشاعر **محمد محمود الزبيري** بين القبائل في منطقة (برط) محافظة صعدة المحاذية للسعودية



الجاوي يتهم الأصوليين بالجريمة



للقيام بحملة توعية بين أوساط القبائل الموالية للملكية، ودعا إلى إيقاف العنف، ونبذ القتال ودعى إلى مؤتمر شعبي لحل الخلافات، ولكي يوقف الملكيون تأثير **«الزبيري»** لصالح النظام الجمهوري **أقدموا على اغتياله في الأول من ابريل ١٩٦٥م، وبموته تعلت دعوة السلام لتستعر الحرب** حتى عام ١٩٦٨م.

وخلال عامي ٦٧، ١٩٦٨م شهدت اليمن موجة الاغتيالات بين الفصائل الوطنية، ففي صنعاء اغتيل **«الملازم محمد مهيوب الوحش»** أحد أبطال المقاومة لصد الحصار في صنعاء، وعضو الحزب الديمقراطي، من قبل مجموعة من جنود جبهة التحرير، وكانت تلك انعكاساً للصراع بين الجبهة القومية وجبهة التحرير وفي عدن لقي الفدائي **«عبد النبي مدرم»** مصرعه على يد جماعة من جبهة التحرير، بعد نجاح «القومية» في الإستيلاء على مدينة «كريتر» في يوليو ١٩٦٧م وعجز البريطانيون عن استعادتها الا بعد ثلاثة أسابيع، وتمكنت الجبهة القومية من إلقاء القبض على الجناة، كما اغتيل **عبد الله عبد المجيد السلفي** عضو اتحاد الشعب الناصري للجبهة القومية، والنقابي **علي حسين القاضي**، المناصر لجبهة التحرير من قبل عناصر مجهولة، ولقي أولاد المكاوي أمين عام جبهة التحرير حتفهم إثر انفجار عبوة ناسفة، من قبل مجهولين. واغتيل الفدائي «شمشر» عضو الجبهة القومية في ظروف غامضة **وإتضح فيما بعد أن استخبارات الجيش البريطاني دست مجموعة من عملائها للقيام بعمليات الاغتيالات بقصد تصعيد أعمال العنف بين الوطنيين مستغلة التناقضات بين الجبهتين» القومية- والتحرير، ونجحت في إشعال حرب أهلية بينهما خلال نوفمبر ١٩٦٧م، ولم تتوقف تلك الحرب المؤلمة التي** أودت بحياة المئات وشردت الآلاف الا بعد تدخل الرئيس جمال عبد الناصر الذي مارس ضغطا مباشراً على قيادة الجبهتين، وتوقف الاقتتال إثر إذاعة بيان من صوت العرب بصوت كل من **قحطان الشعبي** زعيم الجبهة القومية وعبد القوي مكاوي أمين عام جبهة التحرير.

وخلال العقدين الماضيين اتسم الصراع السياسي في اطار العمل السياسي بالعنف والتصفيات كان ضحاياه المئات من الشباب



علي عبد الله صالح/ رئيس الجمهورية اليمنية

والشخصيات السياسية والكوادر كما شكل العنف عاملا للتوتر بين الشطرين قبل الوحدة، فقد اغتيل المقدم ابراهيم المحمدي في ١٩٧٧/١٠/١٠ والمقدم أحمد الغشمي في ١٩٦٨/٦/٢٢م، ولم يتوقف العنف والتوتر نهائيا إلا بعد الاتفاق الوحدوي والتوقيع على منشور دولة الوحدة في ٣٠ نوفمبر ١٩٨٩م، الذي ضمن الحريات والتعددية السياسية وفصل السلطات الثلاث. ومنذ ذلك التاريخ نعمت البلاد اليمنية بالأمن والإستقرار أكثر من أي وقت مضى لقد جاء قيام الوحدة اليمنية واعلان الجمهورية اليمنية في مايو (١٩٩٠) لتزيح المخاوف بالاطمئنان والاحقاد بالتسامح، والقسر بالحرية، والوحدانية بالتعددية، والصراع السياسي بالحوار.

وأقدمت كل الفصائل الوطنية على تقييم تجاربها ونقد السلبيات. انسجاماً مع العهد الجديد، وتحول الصراع السياسي إلى الصحف، لتصبح ساحة للجدل والنقد وإن جنح بعضها للإثارة والاستفزاز، ودأبت بعض الصحف التقدمية على كشف القوى الداعية إلى العنف والمعادية للقضايا الوطنية، وتركز على أخبارهم وفحوى أحاديثهم المعبرة عن نواياهم، كنوع من كشفهم أمام الرأي العام.

وتأتي صحيفة **«التجمع»** التي يرأس تحريرها **الاستاذ عمر الجاوي**، **«وصوت اليمن»** التي يرأس تحريرها **الشيخ عبد الرحمن نعمان** زعيم حزب الأحرار الدستوري في مقدمة تلك الصحف، ولكن كلما احتدت المهاترات في الصحف فإن

سلسلة من أحداث العنف تجتاح اليمن منذ عام ١٩٤٨.. وتوقفها الوحدة

حيدر العطاس



الاتصال أو اللقاءات بين القادة الحزبيين تكون كافية لتخفيفها أو إيقافها. ولم يكن أحد في الوسط الحزبي والسياسي في اليمن يتوقع أي مسلك للنعف بعد أن سادت قناعة نبذه وتجريمه، لذا كانت تلك الحادثة كفيلة بأن تشيع القلق، والترجس، واستنفار الحالة الأمنية التي اصبحت مثار الاهتمام المباشر للرئيس علي عبد الله صالح الأمين العام للمؤتمر الشعبي العام. والذي التقى بقيادات الاجهزة الأمنيـة للإطلاع على الوضع الأمني، وبحث معهم وضع خطة أمنية شاملة. وفي حديثه في ذلك اللقاء، طرح الرئيس علي عبد الله صالح **«إن مهام الأمن السياسي لم يعد مراقبة المنتمين للأحزاب والتنظيمات السياسية، بل إن مهامها الحفاظ على أمن البلاد وأمن المواطنين والحفاظ عليها من التجاوزات غير القانونية أو أي عمل معاد يستهدف الاستقرار ويضر بالمصلحة الوطنية العليا.**

وعلى أجهزة الأمن وخاصة الأمن السياسي أن يقوم بدوره في مكافحة الفساد والمتلاعبين بالمال العام في المؤسسات العامة والأجهزة الحكومية وتقديمهم إلى أجهزة العدالة.

واكد على أهمية اليقظة تجاه الظواهر المقلقة للأمن والقوى المعادية لدولة الوحدة التي آمنت بالديمقراطية والتعددية السياسية كخيار وطني» ودعى إلى تنظيم حيازة الأسلحة.

ويظل السؤال عن هوية العناصر التي أقدمت على عملية الاغتيال التي استهدفت شخصيتين حزبيتين، ومن هي القوى الدافعة إلى ذلك العمل الخطير الذي لو استمر سيؤدي إلى مخاطر كبيرة يصفها البعض بـ «لبننة» اليمن وبهذا الصدد أشار رئيس الوزراء المهندس **حيدر العطاس** في حديث له أمام الصحفيين أن أجهزة الأمن قد أمسكت بطرف الخيط، ويقول **عمر الجاوي** الذي نجى من الموت باعجوبة رداً على سؤال لماذا أخفق القتلة في اغتياله أجاب **لأنهم لم ينفذو الجريمة على الطريقة الاسلامية»** وهي إشارة واضحة إلى الأصوليين.

اخيراً لقد صحت أجهزة الأمن في صنعاء من غفوتها ونفضت القوى الحزبية عن نفسها حالة الاتكال. إن إيقاف عملية نزيف الدم في اليمن مرهون بكشف الجبهة الحقيقية التي دبرت تلك العملية والقاء القبض على المنفذين وتقديمهم إلى العدالة، وهو الأمر الذي سيجنب البلاد حمامات الدم.

"علماء المسلمين" قوة معارضة جديدة للحكم السعودى

فريدة النقاش

لم تنته حرب الخليج..

بل إنها مستمرة بصور أخرى، لانحسب لأن تركيا اجتاحت شمال العراق واستباحته بحجة مطاردة حزب العمال الكردى وقد تجاهل المجتمع الدولى الأمر كأنه شئ عادى.. ولا لأن أمريكا تعد العدة تحت راية الشرعية الدولية التى سخرتها لأغراضها، لكى تقصف العراق من جديد لتدمير ما أخفاه من منشآت نووية على حد زعمها..لالكل هذا فقط والذى هو الإذلال والمهانة لكل العرب..

ولكن أيضا لأن شعوب الخليج والجزيرة العربية، ورغم كل آفات اللامبالاة التى جرها اليها الاستهلاك وعبادة النموذج الأمريكى للحياة، هى الآن، قلقة بل وغير راضية عن استبداد الشيوخ ولا عن الوجود الأمريكى الفظ على أراضيها، ورغم فقدانها الثقة تماما فى حاكم العراق وخوفها منه بعد تجربة اجتياح الكويت، إلا أنها لم تعترف ولم تقر فى العموم بأن العراق هو العدو وليس أمريكا واسرائيل.. ومازالت ترى أن امريكا واسرائيل هما العدوين الاصليين الشئ الذى يسبب حرجا بالغا للحكومات التى انضمت للتحالف الدولى بقيادة أمريكا.

ولمعارضة الوجود الأمريكى جذور قديمة بين الحركات السياسية والاجتماعية فى السعودية التى لم تعرف الاستعمار العسكرى المباشر أبدا الا أنها عرفت الهيمنة الأمريكية عبر شركات النفط وأخذت تعرف الاستعمار أكثر بعد أزمة الخليج بقسوة فى شكل احتلال يقلق كل القوى الحية، بما فيها حتى القوى الدينية التى كانت موضوعيا حليفا تاريخيا للنظام العشائرى. السلفى القائم على العقيدة الوهابية المتشددة والمدعوم أمريكيا والعقيدة الوهابية بنت القرن الثامن عشر التى اتبعت المذهب الحنبلى ورأى مؤسسها «محمد بن الوهاب» أن القرآن والسنة فقط هما أساس العيش والقانون الاسلامى، ورفض كل التأويلات والتفاسير التى طرحتها المذاهب الأربعة «الشافعية- المالكية- الحنيفة- الحنابلة» ونلاحظ أنهم رفضوا حتى تأويلات المذهب الحنبلى الذى يتبعونه هم أنفسهم «وبغية إنقاذ العالم الغارق فى الآثام، لابد من تنقية الدين واستعادة الشكل الذى كان عليه فى القرون الثلاثة الأولى من نشوئه» واستمد المذهب الوهابى حججه وقوة منطقه وهجومه العاصف على البدع وعبادة الأولياء من إبن تيمية وابن القيم. وطبقا لاصول الاسلام فى نظر الوهابية «فإن عذاب الجحيم سيكون من نصيب كل متمرد على الأمراء..»

هذه هى إذن الملامح الأساسية العقيدية التى يستمد منها الحكم العشائرى القبلى العائلى قوته، ويبنى قدرته على الهيمنة الروحية التى وفرت لآل سعود التبرير (الايديولوجى للسيطرة على الجزيرة العربية كما يقول الباحث الفلسطينى «أمين الياسينى»

لكن الدولة الحديثة الغنية التى تفجر فيها النفط لتصبح واحدة من أغنى دول العالم، كانت بحاجة لأدوات جديدة تديم سطوتها مع الوفرة فقامت استراتيجيتها على إدماج «علماء الاسلام» فى مؤسساتها، لتواجه بهم القوى التى كان لابد أن تخرج من أعطاف التعليم الحديث والبعثات لأوروبا وأمريكا، والوفرة النفطية والمنشآت الصناعية الضخمة، والجهاز الإدارى وتطلعات النساء للانعتاق، وأهم من كل هذا خطط الحكم نفسه للتنمية الطموحة..

«فقد أدرك ابن سعود ضرورة الاستعانة بنظام ادارى يتيح له مواجهة الحاجات الخاصة بالوهابية، وبالمثل يلائم أهدافه السياسية، وبالتالى تم وضع المؤسسات الدينية ليلائم تلك المستحدثات لمواجهة الحاجات الناجمة عن التطور. وهكذا أنشئت هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لتفرض تطبيق مبادئ الوهابية وأدمجت فى جهاز الدولة فضلا عن ذلك..»

وبالرغم من كل الجهود للإبقاء على الطابع الشخصى للحكم الذى يقوم على محور واحد هو الملك بمساعدة الأسرة، فقد أدت عمليات التحديث الى ذبول القيم التقليدية، وتهديد الطابع العشائرى للنظام وذبول الثقافة التقليدية، ونمت فى أحضان هذا التحديث قوى المعارضة التى يقسمها الباحث الفلسطينى الى معارضة علمانية ومعارضة دينية وقد جاءت أزمة الخليج لتكشف أيضا عن تنامى قوة النساء المتطلعات الى تغيير حياتهن، وتضاف قوتهن غالبا لقوة المعارضة العلمانية. وكانت مظاهرة النساء وتحديهن لسلطات المطوعين من رجال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وقيادة سياراتهن فى نوفمبر الماضى مؤشرا يكشف جانبا من القوة الكامنة للنساء فى السعودية.

وتقول رسالة «اليسار» عن «المرأة السعودية فى العدد الماضى بعد وصف مطول لأوضاع القهر الاجتماعى والفكرى وحتى الجسدى الذى يتعرضن له «أن المرأة السعودية تتميز بالذكاء الفطرى، وقوة الشخصية وامتلاك طاقات عقلية وروحانية وأحاسيس فنية وأدبية مدهشة وتثير الإعجاب والتعجب، ولكنها مواهب وطاقات كزهور الصحراء تتفتح لتندثر فى الخواء. فلو أن تلك الطاقات وجدت البيئة المناسبة ووجهت بأسلوب صحى وعلمى ودينى سليم على المستوى الفردى والجماعى ونظرا لما تتمتع به المرأة هناك من يسر مادى وطاقات لم تزل بعد فتية غير مستهلكة، لوحدث هذا لابدعت وأنتجت وتميزت وأحدثت نهضة مدهشة ليس على المستوى المحلى فقط، بل على المستوى العربى والعالمى...» ولكل من شاهدوا فيلم «موت أميرة» الذى أنتجه

الملك عبد العزيز آل سعود



محمد بن عبد الوهاب

التليفزيون البريطاني ذكرياتهم عن الطرق التي سلكتها النساء للتحايل على القهر المنظم.

أما القوة الاجتماعية الأخرى التي هي القاعدة المحتملة للمعارضة العلمانية بكل أشكالها فهي الطبقة العاملة التي نمت نموا كبيرا بسبب التوسع في الأنشطة القائمة على النفط، وقد شهدت منطقة الظهران حيث توجد شركة أرامكو عدة إضرابات كبيرة خلال ربع قرن، أدى بعضها إلى حصول العمال على عدد من المكاسب.

كذلك اندلعت عدة تمردات في صفوف الجيش قمعتها السلطات بوحشية غير مسبوقة رغم أن المؤسسة العسكرية هي «مستفيد بارز من النظام الملكي».

أما القوى الحزبية المنظمة المعارضة والتي يدرجها أنور الياسيني جميعا تحت عنوان «المثقفون» فقد ظلت محصورة - غالبا- في اطار هؤلاء..

«.. والمثقفون جماعة على درجة عالية من التسييس، ويلعبون دورا حيويا في صياغة السياسات القومية» وتتوزع أيديولوجيا بين «الشيوعيين» الذين يطالبون بالتغيير الشامل لكل ملامح الحياة في السعودية، والعمل على إقامة نظام دولة تعبر عن مصالح الشعب والنضال ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية.. والمطالبة بدستور ديموقراطي يكفل الحقوق الأساسية للانسان..»

وفي أعقاب حرب الخليج أصدر الحزب الشيوعي في السعودية عدة بيانات أدان فيها اجتياح صدام للكويت ولكنه حدد العدو الرئيسي للبلاد وللمنطقة في الغزو الأمريكي وطالب بخروج القوات الامريكية من البلاد وإقامة حياة ديمقراطية.

كذلك ينشط حزب البعث السعودي الموالي للعراق بين الطلاب بصفة أساسية بالإضافة إلى عدة منظمات يسارية صغيرة أخرى.

وفي البيان المشترك الذي أصدرته خمسة أحزاب تقدمية خليجية ووقع عليه الحزب الشيوعي السعودي عقب انتهاء الحرب في الخليج، كان واضحا تماما أن كل ما أثير حول عزم أمريكا على مساندة خطط تطور ديموقراطي في المنطقة بعد الحرب لايعدو أن يكون وهما، وأن مهمة إقرار الديموقراطية في هذه البلدان هي مهمة عاجلة لن تنهض بها إلا القوى الديموقراطية المحلية.. يقول البيان

«إذ تحمل الولايات المتحدة على عاتقها مسؤولية استمرار النهج السياسي لأنظمة الحكم المتخلفة في بلدان مجلس التعاون القائم على انعدام الديموقراطية، والعداء لها وانتهاك حقوق الانسان..» ثم «إننا في الوقت الذي نؤكد فيه، وقوفنا مع الشعب الكويتي وحركته الوطنية في نضاله من أجل العمل بدستور ١٩٦٢، وتحقيق الديموقراطية واحترام الحريات الشخصية وحقوق الأنسان في الكويت، فأننا نناشد الرأي العام العربي والعالمي الوقوف مع بلدان مجلس التعاون الخليجي في نضالها من أجل الديموقراطية وقيام دولة المؤسسات والقانون واحترام حقوق الانسان ومن أجل تصفية التواجد العسكري الأجنبي وتحويل منطقة الخليج الى منطقة سلام..»

أما المعارضة الاسلامية فهي أوسع قاعدة بكثير، لأنها تنطلق من نفس الأرض التي أسس الحكم شرعيته عليها طيلة قرنين أو يزيد، أي أرض العقيدة الدينية بصفة عامة والوهابية بشكل أخص.

وهناك في المعارضة الاسلامية جماعتان لهما أهمية خاصة كما يقول «أنور الياسيني» «منظمة الثورة الإسلامية» و«منظمة الاخوان الجدد». وتقتصر عضوية منظمة الثورة الإسلامية على شيعة السعودية خاصة في الاحساء والقطيف

وتتبنى رؤية الخوميني، وإيران هي مصدر إلهامها، وهي تدين دكتاتورية آل سعود وتطالب بدستور اسلامي، وتستنكر سياسة النظام الطائفية بإثارة السنة ضد الشيعة، وترفع شعارات العدل الاجتماعي والقضاء على بؤس الجماهير وتطالب بالغاء كل المعاهدات مع أمريكا، وتقف بطبيعة الحال ضد الغزو الأمريكي للخليج.

أما منظمة «الاخوان الجدد» فهي الجماعة التي قادت عملية اقتحام الحرم المكي سنة ١٩٧٩، وأعلنت ادانتها للنظام السعودي كما بشرت بظهور المهدي المنتظر، وقادها «جيهيمان العتيبي» وتعرض ٢٦ من قادتها للإعدام.. وهي منظمة للسنة ترث تراث جماعة الاخوان المسلمين التقليدية..

على هذه الخلفية الدينية القوية، والعلمانية الهشة، قامت ردود الأفعال الأخيرة للغزو الأمريكي لمنطقة الخليج والهيمنة الرأسمالية الغربية على المصير العربي كله.

وكان طبيعيا بسبب هذه التركيبة الخاصة للجزيرة العربية (السعودية) أن يصل عمق التغيرات ويسود القلق حتى بين الركائز التقليدية للحكم، وأن تقف السعودية على مشارف مرحلة انتقالية قد تطول أو تقصر لكن التغيير لابد أن يكون محتوما تو إنتهائها...

فهل سيكون تغييرا الى الأفضل أم الى الأسوأ؟

إن الاجابة على مثل هذا السؤال لن تكون ممكنة دون حساب دقيق لموازين القوى الدولية والاقليمية والمحلية، لكن الشيء المؤكد أن النظام القائم لن يستطيع أن يواصل الحكم لزمن طويل كما كان قد اعتاد قبل حرب الخليج.

يقول «ألكسندر بلي أحد مستشاري «شامير» رئيس الوزراء الاسرائيلي وهو مستشرق متخصص

• معارضة شيوعية وبعثية... وأخرى اسلامية

••

• السعودية على مشارف مرحلة جديدة

••

• العلماء يحتجون على غياب العدل وانفاق الملايين على أتفه الكماليات

••

• الحوالي... يطالب بإخراج القوات الأجنبية التي دنست بلاد الاسلام

في الشؤون العربية:

«.. إن العربية السعودية دولة مبعثرة جدا من ناحية تركيب سكانها ولذلك فان التقاء السعودي العادي مع قوات الحلفاء المسيحيين كان ضئيلا للغاية ، ولم يكن لدى هذا السعودي إحساس بأن أجانب هم الذين دافعوا عن الأماكن المقدسة للمسلمين.

وعلى العكس كان هذا الاحساس موجودا عند جارات السعودية وعلى رأسها العراق وايران. ظهربينهم اجماع من التفكير بأن قوات مسيحية هي التي دافعت عن الأماكن المقدسة للاسلام.

لذلك فإن الشرعية الدينية السعودية كحارسة للأماكن المقدسة الاسلامية قد تعرضت لضربة. ربما لايظهر الشعور بهذه الضربة على المدى الفوري، لكنها ستضاف لضربات أخرى تعرضت لها منطقة الخليج في الماضي مثل سقوط الشاه وماشابه ذلك»

ويأتي بلي الى أهم نقطة في حديثه الذي ترجمته نشرة «المعرفة في عددها الأول يوليو ٩١

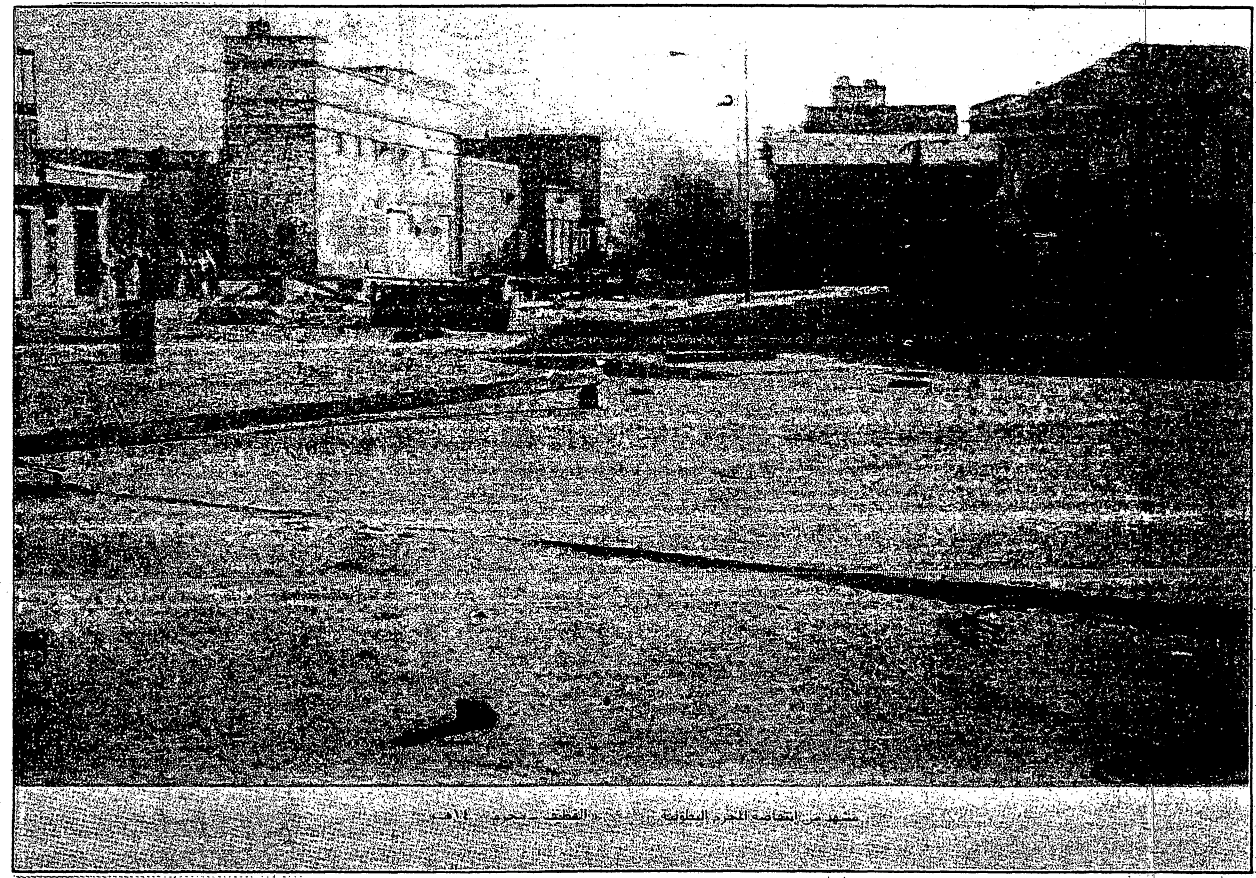
«السعودية موجودة الآن في مرحلة انتقالية ، سياسيا وايديولوجيا، حيث ستتعرض لضغط من أتباع الديموقراطية مثل الضغط الذي تعرض له الكويت..»

فماهي القوى السياسية الجديدة التي سوف تمارس مثل هذه الضغوط- وهي تمارسها فعلا- بالاضافة الى الأحزاب العلمانية محدودة الأثر ، وقوى المعارضة الاسلامية.. وبعض طلائع النساء؟

إن قراءة متأنية للمطالب المقدمة من علماء المسلمين الى عاهل المملكة العربية السعودية سوف تبين لنا أن روح القلق السائدة نتيجة لآثار الحرب وللتواجد العسكري الأمريكي في السعودية قد بلغت قلب المؤسسة الحاكمة ذاتها، لأن مطالب العلماء خرجت بموافقة بل وبتوصية من سماحة الشيخ «عبد العزيز بن عبد الله بن باز» الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد وهو واحد من أعتى المتشددين في الدفاع عن التقاليد القديمة، وإصدار الفتاوى ضد عمل النساء وضد الحداثة وضد الارتباط بأي شكل من الأشكال مع حضارة الغرب، وقد كان تقليديا ملاذ الأسرة الحاكمة اذا ماوجدت نفسها في حاجة الى فتوى تبرر تسلطها وانفرادها بالقرار على أسس دينية.

والبند الأول في مطالب العلماء يتمثل في انشاء مجلس للشورى يكون أعضاؤه من أهل الإختصاصات المتنوعة مع الاستقلال التام دون أي ضغط، وأن لايكون هذا المجلس صوريا، ويلتزم بالشريعة الاسلامية. ويطالبنا البند الرابع «بتحقيق العدالة والمساواة بين جميع أفراد المجتمع في أخذ الحقوق وآداء الواجبات كاملة دون محاباة للشريف أو منة على الضعيف. حيث إن هناك «كثيرين ممن يسيئون استغلال النفوذ»، ويتضمن البند الخامس تطهير أجهزة الدولة من كل من تثبت ادانته بفساد وترصد المطالب مظاهر غياب العدل في المملكة على النحو التالي **«يوجد في بعض سهول وجبال تهامة وبعض قرى المناطق الأخرى، بل في بعض أحياء المدن الكبرى في المملكة من**

مشهد من انتفاضة الحرم



لايجد مايكسو به أسرته. ومن لايملك قوت يومه فى حين أن هناك المئات وربما الألوف ممن ينفقون عشرات الملايين على أتفه الكماليات ومع ذلك تصرف لهم المخصصات وتقطع المنح.. كذلك شاعت حالات العمولة غير المشروعة..»

وتضمنت المطالب بندأ خاصا ببناء جيش قوى متكامل مزود بأنواع الأسلحة من مصادر شتى مع الاهتمام بصناعة السلاح وتطويره، ويكون هدف الجيش حماية البلد ومقدساته. وسوف نلاحظ هنا حساسية قضية الدفاع عن المقدسات التى قام بها فى حرب الخليج جيش النصارى طبقا للنظرة الدينية المتشددة.

كذلك طالب الموقعون بتوحيد المؤسسات القضائية ومنحها الاستقلال الفعلى التام وبسط سلطة القضاء على الجميع دون استثناء، فكم عانت المحاكم من عدم مثول بعض الهيئات الحكومية والخاصة أمامها..

كذلك طالبوا بكفالة حقوق الفرد والمجتمع، وإزالة كل أثر من آثار التضيق على ارادات الناس وحقوقهم بما يضمن الكرامة الانسانية حسب الضوابط الشرعية.

ولعل أكبر دليل على المقصود بهذا البند ماتعرض له موقعوا هذا الخطاب وهم أكثر من أربعمائة من العلماء والقضاة وأساتذة الجامعات.. من منع من السفر، فالمساءلة أمام الجهات الأمنية والمتابعة، ومنع بعضهم من الخطابة والكتابة وأصبحت حرياتهم وحتى أرزاقهم معرضة لخطر دائم..

ونتذكر هنا ماحدث للنساء اللاتى بادرن بقيادة سياراتهن فى الرياض حيث فصلن من اعمالهن وتعرضن للحبس والتشهير.

أما الرسالة الفردية التى كتبها الشيخ «سفر بن عبد الرحمن الحوالى» الى هيئة كبار العلماء فى المملكة العربية السعودية فهى رسالة سياسية خالصة، فيها تأملات ثاقبة وبعيدة النظر حول تطورات الوضع الدولى، وهى تدور أساسا حول كارثة الوجود العسكرى الأمريكى فى الخليج. وكان الشيخ الحوالى قبل نشوب الحرب وأثناءها قد سجل مجموعة من الخطب الدينية تندد بأمريكا وغزوها للخليج وقد راجت على نطاق واسع ضمن أدبيات المعارضة المتنامية للسياسة الحكومية المسئولة عن تفاقم الأزمة على هذا النحو.



غلاف مجلة الثورة الاسلامية

وتبدأ الرسالة بهذه الكلمات

«غير خاف عليكم مانزل بأمة الاسلام من فاجعة كبرى وكارثة عظمى لن ينساها التاريخ الى قيام الساعة..»

ويقول الشيخ الحوالى «إنه توقع شيئا كهذا منذ بدء سياسة الوفاق واستفاض- معتمدا على وثائق للمخابرات الأمريكية وخطب ومحاضرات لنيكسون وكيسنجر، وقصاصات صحف قديمة مطلعة- ليوضح كيف أن الاعداد لاحتلال الخليج والجزيرة العربية هو مخطط قديم للقوى الاستعمارية الامريكية التى نفذت خلال الأزمة ومع اشتعال الحرب..

«اكبر وأسرع وأدق عملية نقل للجنود فى تاريخ الولايات المتحدة الامريكية كان قد خطط لها بالمبنى رقم ٣٦٣ بقاعدة ماكفرسون بمدينة أطلانطا الامريكية..وبطالب الشيخ الحوالى باخراج القوات الاجنبية التى دنست بلاد الاسلام.

تدرك كل قوى المعارضة علمانية ودينية على نحو جلى أن أمريكا هى العدو وليس العراق، وإن كانت تتفق جميعا- باستثناء حزب البعث على إدانة غزو العراق للكويت.

وقد تبددت كل الأوهام القديمة التى برقت فى سماء الجزيرة كالشهب حين رأى الناس المجندات الامريكيات يجبن الشوارع بأسلحتهن وملابسهن المتحررة، فتصوروا أن بالإمكان استنادا على هذا الحدث الاستثنائى اقتناص بعض الحريات للشعب وزحزحة النظام التسلطى العشائرى التابع، واحداث تغييرات جذرية فى البناء السياسى بفتح الباب لديموقراطية وحياة سياسية عصرية..

صحيح أن هذه الأوهام قد تبددت لكن الزمن تغير ولم تعد الجزيرة العربية ولا الخليج هى نفسها قبل الحرب والغزو والاذلال وخطوة الديموقراطية قادمة لامحالة، لا لأن الامريكيين يريدونها أو أنهم انصار الديموقراطية كما يدعون، لكن لأن الحرب كشفت عورات النظم التى عجزت تماما عن سترها وهى آخذة فى التحلل...



رسالة واشنطن

الأبعاد الحقيقية للأزمة بين واشنطن وتل ابيب سلاسل كتب تجارية

سمير كرم

يستطيع المرء أن يقول بلا تردد أن المشهد- كما نراه من واشنطن- يبدو جديدا ومثيرا ومشحونا باحتمالات لم تكن واردة فى حسابات معظم الأطراف(*)

ونعنى بالأطراف أطراف الصراع العربى الاسرائيلى... ونعنى بصورة اكثر تحديدا الأطراف التي ستجمعها القاعة التى ستعقد فيها جلسات مؤتمر السلام الخاص بالشرق الأوسط.

ومن زاوية الرؤية من واشنطن أيضا يبدو أن ثمة «تصميما قويا» على عقد هذا المؤتمر فى شهر أكتوبر الحالى... ويبدو هذا المنظور لدى كتابة هذه السطور فى بداية الثلث الأخير من شهر سبتمبر الماضى) وتتردد فى تصريحات المسؤولين فى الادارة الامريكية عبارة «التصميم القوى على عقد المؤتمر» حتى فى أقصى لحظات التوتر بين هذه الادارة وحكومة إسحاق شامير الاسرائيلية حول سعى الرئيس الامريكى جورج بوش لتأجيل البت فى قرار منح اسرائيل ضمانات قروض لتنفيذ المشروعات اللازمة لإستيعاب المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفياتى. وكما هو معروف فان اسرائيل تطلب ضمانات قروض بقيمة ١٠ آلاف مليون دولار.

وإذن فمؤتمر السلام على بعد أيام أو أسابيع على الأكثر.. المشهد- كما قلنا- يبدو جديدا ومثيرا ومشحونا باحتمالات عديدة:- وكيف يمكن أن يبدو غير ذلك- وهو يحتوى على عناصر تصوره وكأن الصراع العربى الاسرائيلى قد أصبح فجأة الصراع الأمريكى -الاسرائيلى. ولو أن زائرا من كوكب آخر هبط على الأرض واتجه اهتمامه لمعرفة مصدر الصخب الشديد الصادر من واشنطن وتل أبيب لاستنتج على الفور أن على الكرة الأرضية صراعا لم يعرف به قبل الهبوط الى هذا الكوكب اسمه الحرب الامريكية الاسرائيلية.

فما هو الحقيقى وماهو الزائف فى هذه الصورة؟

أو بتعبير أكثر هدوءاً ماهو الصحيح والمبالغ فيه فى هذه الصورة عن الصراع بين إدارة بوش وادارة شامير.

وبداية لابد من التأكيد على نقطتين يمكن التقاطهما من واشنطن وبالنسبة الصحيحة لأهميتهما.

* أولاً أن ثمة صراعا حادا بين الإدارة الأمريكية وحكومة اسرائيل. وهو صراع حقيقى وليس مفتعلا، وهو ماقد تذهب اليه الأذهان من طول ما ألفنا افتعال الخلافات والأزمات بين واشنطن وتل أبيب، لنجد فى النهاية أنها لم تكن أزمات ولاخلافات وانما كانت مناورات ثنائية إما للتمويه على الأطراف الاخرى فى صراع الشرق الأوسط... أو لإرضاء هذه الاطراف نفسيا بإظهار قدرة واشنطن على الاختلاف مع تل ابيب.. وأحيانا لأهداف تتعلق بالسياسات الداخلية الأمريكية أو الاسرائيلية. وفى أحيان أخرى لأهداف لاتتضح أبدا.

* ثانيا إن الصراع الحاد بين إدارة بوش وحكومة شامير أوسع نطاقا بكثير من الموضوع الذى فجره ، إنه لايتعلق فحسب بتنفيذ طلب اسرائيل المتعلق بضمانات القروض الضخمة.. بل لايتعلق فحسب بتنفيذ رغبة الولايات المتحدة فى حمل اسرائيل على وقف التوسع فى إقامة المستوطنات اليهودية فى الأرض الفلسطينية. إن هذا الصراع الجديد والفجائى بين الحليفين العتيدين يتعلق بالتغيرات الدولية من جوانبها الاستراتيجية والسياسية والجيوبوليتيكية.- ويتصور كل منهما لما تقتضية هذه التغيرات ، وتصور كل منهما لدوره بعدها، ثم تصور كل منهما للعلاقات بينهما فى اطار هذه التغيرات.

ولاتعنى أى من النقطتين الأساسيتين السابقتين أن أيا من الدولتين- وبالأخص الولايات المتحدة خططت الصراع وأرادته وفرضته. الأغلب أن الصراع فرض نفسه عليهما بسبب ديناميكيات التغيرات العالمية.. ولعل كلا من الولايات المتحدة واسرائيل فوجئت.. على الأقل بالسرعة التى أحدثت بها هذه التغيرات تأثيراتها على طبيعة العلاقات بينهما.

ولهذا ينبغى أيضا أن لا ينظر الى الأزمة الناشبة بين واشنطن وتل أبيب، وبصرف النظر عن النتائج السريعة التى ستنتهى اليها، على أنها دليل على تحول فى أفكار الولايات المتحدة الاساسية حول الصراع العربى الاسرائيلى.. أى أنها دليل على أن الولايات المتحدة ممثلة فى الرئيس جورج بوش ووزير الخارجية جيمس بيكر اللذين يديران هذا الصراع الآن على الجانب الامريكى- نقلت مواقعها من الناحية الاسرائيلية الى الناحية العربية فى الصراع العربى الاسرائيلى ليس هذا هدفا امريكيا بأى حال. وأى تصور بأن الولايات المتحدة انتقلت الى «المعسكر الآخر» فى الصراع العربى الاسرائيلى بعيد كل البعد عن ادراك طبيعة.. الأزمة بين واشنطن وتل أبيب، وينطوى على إغفال أساسى للعناصر المكونة لسياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط وأهدافها ويركز فقط على لحظة الأزمة بينهما.

يميل معظم المحللين السياسيين والخبراء الاستراتيجيين الذين يتابعون الشرق الأوسط فى واشنطن الى رؤية التطورات المستجدة بما فيها مساعى السلام الامريكية الجديدة وجولات جيمس بيكر (السبع حتى الآن أو العدد متواصل) واحتمالات عقد مؤتمر السلام ثم المحادثات الثنائية بين اسرائيل وكل من

الدول العربية والفلسطينية فى أعقابه- فى ضوء نتائج حرب الخليج والتحالفات الجديدة التى نتجت عنها وصعود دور الولايات المتحدة فى المنطقة الى ذروة لم يبلغها من قبل وخروج اسرائيل من التركيبة فى وضع امتناع عن اداء دور عسكرى ويعتقد بعض هؤلاء المحللين والخبراء ان التوتر الحاد الراهن بين ادارة بوش وحكومة شامير بدأ فى أزمة الخليج وحربها وأخذ بالنمو من وقتها، وأن اسرائيل ارادت أن تمارس عادة الاستفادة ماديا من أية تطورات تحدث حولها.. حتى لو كانت هذه التطورات قد شملت حرمانها من لعب دورها الاستراتيجى الرئيسى، وهو دور القبضة المسلحة القوية فى المنطقة ضد من يتصدى لمصالح الولايات المتحدة. ولكن ظروف الولايات المتحدة لاتسمح لها. على الصعيد المالى والاقتصادى- بأن تلبى رغبات اسرائيل. وظروف الدور الأمريكى الواسع فى المنطقة- عسكريا ودبلوماسيا- تفرض عليها قدرا من التراجع عن مواقع احتضان اسرائيل ومصالحها وأهدافها.

وفى هذا التحليل قدر كبير من الصحة، فعلى الأقل من ناحية الوقت تزامنت النتائج العسكرية لحرب الخليج مع اتساع الدور الأمريكى فى المنطقة والاهتمام بتوطيد سلام يحافظ على اتساع هذا الدور فى الشرق الأوسط، وتزامنت أيضا مع ازدياد عمق الأزمة الاقتصادية الامريكية واضطرار ادارة بوش للتصرف بطريقة تنفى بها تهمة تبديد أموال دافعى الضرائب الامريكية على برامج المساعدات الآخرى والاستمرار فى جعل الاعتمادات لاسرائيل أعلى من الاعتمادات للبرامج الاجتماعية والتنشيط الاقتصادى لأمريكا نفسها.

ولاتغيب عن الملاحظة حقيقة أن الأزمة الحادة التى نشأت عن اصرار الرئيس بوش على تأجيل البت فى طلب ضمانات القروض لاسرائيل حدثت فى الوقت نفسه الذى تصاعدت فيه حدة الانتقادات الموجهة الى سياسته: اهتمامه المفرط بالقضايا الخارجية- من الخليج الى بنما الى الشرق الاوسط الى دول البلطيق ثم القليين.. الخ- فى وقت يبحث فيه الامريكيون عن برنامج سياسته الداخلية فلا يجدون شيئا.

والواقع أن تصعيد بوش لهجته ضد حكومة شامير وخوضه من أجل ذلك معركة ضارية ضد الكونجرس- الذى يوصف فى الكواليس السياسية الأمريكية بعبارة «خط الدفاع الأول عن اسرائيل». ولجوء بوش الى استخدام عبارات صريحة هجومية ضد «اللوبى» الاسرائيلى وضد أنصار اسرائيل فى الكونجرس الامريكى وخارجه يعد سابقة لا مثيل لها من رئيس أمريكى، حيث كان انتقاد جماعات الضغط اليهودية لا يأتى من جانب رئيس امريكى إلا بعد أن يكون قد أصبح خارج البيت الأبيض وتكون كلمة السابق قد لحقت بلقب الرئيس... وقد ينظر المراقب العربى إلى هذا «التحول» على أنه تطور هام فى السياسية الخارجية الأمريكية. لكنه داخل الولايات المتحدة أقرب الى مناورة ناجحة على صعيد السياسة الداخلية. وتتأكد صحة هذه النظرة حينما ندرك الى أى حد رفعت الأزمة بين بوش وشامير عن كاهل الرئيس الأمريكى كثيرا من عبء الانتقادات ضد غياب سياسته الداخلية.

ومرة أخرى لايعنى هذا أنه لم يحدث تغيير ما فى موقف «الرئاسة- والادارة الأمريكية الى حد ما- تجاه اسرائيل وشكل العلاقات معها. انما نريد أن نقول أن ثمة اعتبارات داخلية وذات بعد تكتيكى فقط وراء اكتساب المواجهة مع حكومة شامير هذه الدرجة من الحدة. فليس خافيا على أحد أن للنظرة المختلفة تجاه اسرائيل والعلاقات معها من جانب ادارة بوش بدايات أقدم من هذه المواجهة الأخيرة بمناسبة موضوع ضمانات القروض. اذ سبق لوزير الخارجية بيكر أن خلق «سابقة» هامة عندما أعلن من على منصة المؤتمر السنوى لأقوى تنظيمات اللوبى الاسرائيلى فى مايو ١٩٨٩،- وكان عمر ادارة بوش فى الحكم لايتجاوز خمسة أشهر- ان على قادة اسرائيل أن ينسوا ويتخلوا تماما عن أحلام اسرائيل الكبرى، وأن يتعاملوا مع أوضاع الفلسطينيين- جيرانهم- حسب تعبيره بطريقة أكثر موضوعية ومسؤولية ولم يكن قد سبق لمسؤول أمريكى بهذا المستوى أو أعلى أو أدنى منه أن جرؤ على اقتحام هذا الباب ودخول هذه المنطقة المحرمة من قناعات اليهود الأمريكيين وغير الامريكيين من أنصار اسرائيل والعقيدة الصهيونية. وزاد من وقع هذا الاقتحام أنه تم من باب «لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الامريكية «الايباك» الأقوى نفوذا من أى لجنة للعمل السياسى فى الولايات المتحدة على الإطلاق.

لكن الأمور مالبثت أن سارت فى مسارها المعتاد فى العلاقات الامريكية- الاسرائيلية سواء من ناحية التعاون الاستراتيجى أو المساعدات الاقتصادية والعسكرية وتبادل المعلومات فى مجالات المخابرات والتكنولوجيا.. فضلا عن الدعم الامريكى القوى لمشروعات التوسع السكانى الاسرائيلية. حيث لعبت ادارة بوش- كما أعلن الرئيس نفسه فى الأزمة الأخيرة- أكبر الادوار فى التمكين لهجرة اليهود السوفيات ويهود اثيوبيا (الفلاشا) إلى اسرائيل، وفى تحمل نصيب كبير فى نفقات استقبالهم.

ثم لاحت بوادر توتر مماثل إبان أزمة الخليج حينما كانت ادارة بوش تبذل أقصى جهودها لابعاد اسرائيل عن أى دور مباشر فيها.. واذا بحكومة شامير تحاول الاستعلاء على الامريكيين وحلفائهم معا بالتظاهر بأن منعها يعنى اسكات أكثر القوى مقدرة على التصدى للعراق عسكريا وكان هذا فوق احتمال «البنتاجون» (وزارة الدفاع الامريكية) التى أصدرت أكثر من بيان أكد أنه ليس باستطاعة اسرائيل عمل شئ لاتستطيع القوات الامريكية وقوات «التحالف» القيام به، لكن هذه البيانات ضاعت فى ضجيج الحرب. ورضخت اسرائيل لشروط الابتعاد عن أزمة الخليج، ووجدت

توتر واشنطن الحاد من مواقف اسرائيل لاينطوى على ميل امريكا إلى الجانب العربى فى الصراع فى الشرق الأوسط.

الأزمات السابقة بين إدارة بوش وحكومة شامير انقضت وعادت الأمور إلى مسارها المعتاد.. هل يتكرر هذا فى الأزمة الحالية؟

نفسها لأول مرة تحتمى بقوة الولايات المتحدة فى حرب جارية فى المنطقة.. لكنها لم تلبث أن قبضت، ثمن ذلك سياسيا وعسكريا وماليا، من الاشادة بـ «ضبط النفس» الذى مارسته اسرائيل الى تزويدها ببطاريات صواريخ «باتريوت» المضادة للصواريخ، الى تعويضها ماليا عن الخسائر التى لحقت بها من الصواريخ «سكود» العراقية.. ثم ضمها الى قائمة الدول التى تستحق تعويضات عن الأضرار التى ألحقتها بها أزمة الخليج اقتصاديا.

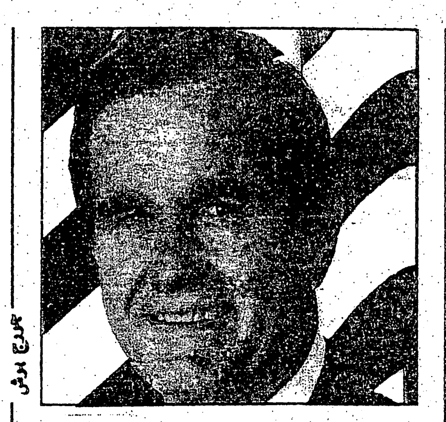
ونذكر أيضا أنه فى البدايات من عملية السلام التى بدأها الأريب الأمريكى بيكر بعد انتهاء حرب الخليج طفا التوتر على السطح فى واشنطن مجددا بسبب تعنت اسرائيل فى رفض فكرة مؤتمر السلام (وكان اسمه آنذاك المؤتمر الدولى للسلام، وظهر بيكر أمام لجنة العلاقات الخارجية لمجلس الشيوخ الامريكية ليعلن بوضوح أن اسرائيل باصرارها على الاستمرار فى التوسع فى المستوطنات تشكل أكبر عقبة فى طريق السلام. ويقول بلهجة امتزجت فيها السخرية بالغضب: اذا كان قادة اسرائيل يريدون السلام فعلا فها هو رقم تليفون البيت الأبيض وما عليهم إلا أن يتصلوا بنا (...)

ولقد طال انتظار واشنطن آنذاك لرد اسحاق شامير.. وعندما جاء كان مشروطا. مع ذلك فان شؤون العلاقات الأمريكية الاسرائيلية سارت مسارها المعتاد كما يقول التعبير الامريكى الشهير: business as usual

وها نحن نشهد آخر هذه التوترات يؤكد أن الخلافات والأزمات السابقة لم تكن تتبخر أو تختفى.. انما كانت تتراكم تحت السطح بانتظار ظروف تفجرها بحجم أضخم من المرات السابقة.

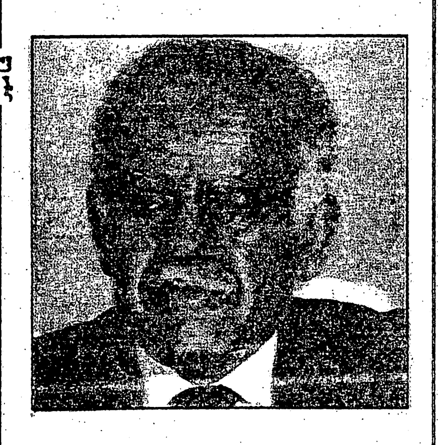
والتوترات الاخيرة التى اتخذت من مسعى بوش لتأجيل البت فى طلب اسرائيل ضمانات القروض مناسبة للخروج الى السطح، يربطها الخيط نفسه الذى ربط التوترات الأمريكية- الاسرائيلية السابقة.. وهو خيط الخلاف بين الرأى الأولى لإدارة بوش من موضوع المستوطنات- باعتباره عقبة فى طريق السلام- والرأى العقائدى- لحكومة شامير الذى يعتبر موضوع المستوطنات مسألة توراتية لاتقبل النقاش أو المساومة. كل ما فى الأمر أن الظروف الامريكية والاقليمية والدولية لم تسمح من قبل لهذا الخلاف أن يتحول الى صراع.

وهنا فان كلمة «صراع» تستخدم من جانبنا بصورة متعمدة، ويتعلق هذا بدوره



جورج بوش

بحقيقة أن هذه المواجهة أو الأزمة تتخطى بسبب التغيرات الدولية حدود العشرة مليارات من الدولارات قيمة ضمانات القروض المطلوبة- ولايكاد أحد يقول ان اسرائيل لن تحصل فى النهاية على هذه الضمانات- كما تتخطى حدود الخلاف بين موقف سياسى امريكى وموقف اسرائيلى يكتسب صفة العقيدة المذهبية أو الدينية بشأن المستوطنات فى الأراضى الفلسطينية. يتخطاهما الى أين؟ هذا هو السؤال. وهذا السؤال يتعلق بمحاولة ادراك الاختلاف بين مايحدث الآن وماسبق أن حدث بين هذين الطرفين اللذين يقال ان العلاقات بينهما لم يسبق أن ربطت أى



شامير

الصراع بين إدارة بوش وإدارة شامير حقيقى وليس مفتعلا.. وأسبابه تتجاوز مسألة ضمانات القروض لاستيعاب المهاجرين

دولتين فى أى عصر فى التاريخ ولهذا القول مايؤيده بالحقائق والأرقام والوثائق.

ليس كل مايجرى من الطرفين فى هذه الأزمة- وهو حتى هذه اللحظة ابداء أقصى درجات التشدد والعناد فى الرغبة فى كسر إرادة الطرف الآخر بأى ثمن وبأى طريقة متاحة- محسوبا ومقصودا. ومايحدث يوصف بأنه أزمة لأن الطرفين يدركان أن الأمور تفلت منهما، ولهذا يميل كثيرون إلى الاعتقاد بأن سبب الأزمة «شخصى» بحت. هو انعدام التفاعل الكيماوى» بين بوش وشامير. ولهذا يعتقد أصحاب هذا التفسير أن الازمة تزول إذا زال أحد الطرفين.. وهو فى هذه الحالة وفى تقديرات غالبية المراقبين اسحق شامير لأن اعادة انتخاب بوش تبدو لهم حتمية وعلى العكس من ذلك فان الحكومة التى يرأسها شامير معلقة بخيط رفيع من تأييد اثنين من أحزاب اليمين الدينى المتطرف ويمكن أن تسقط فى أى وقت.

لكن هذا التفسير ينطوى على مبالغة فى التبسيط فلا بوش يمثل نفسه فحسب فى هذه المجابهة.. ولاشامير يمثل نفسه فيها ان وراء كل منهما قوى تتصارع ومصالح واتجاهات مؤيدة وأفكارالها تأثيرها. ومن الواضح أن لكل من الطرفين حساباته بشأن الطريقة التى يخوض بها هذه الازمة. وقد بنى شامير حساباته على التقديرات التقليدية التى بنت عليها اسرائيل دائما حسابات قوتها داخل الولايات المتحدة وحسابات ضعف امريكا داخل اسرائيل. فهناك جماعات ضغط قوية يهودية تعمل من أجل اسرائيل- بحماس دينى ومصلحى معاً داخل أمريكا بينما لاتوجد جماعات ضغط امريكية أو لوبى أمريكى يعمل من أجل أمريكا بأى دافع داخل اسرائيل.

ولابد اذن أن تكون للرئيس بوش حسابات جديدة مختلفة عن هذه الحسابات التقليدية لاسرائيل، وكانت هى نفسها الحسابات التقليدية التى حكمت سلوك الرؤساء الامريكيين طوال العقود الاربعة الماضية.

خلال السنوات منذ ١٩٨٩- التى تعد فى التفكير السياسى الامريكى سنة «الثورة» التى بدأت فى أوروبا وانتهت بما يجرى الآن فى الاتحاد السوفياتى، وهى السنة نفسها التى مع بدايتها بدأت رئاسة جورج بوش- والولايات المتحدة تجرى حساباتها العالمية والاقليمية بمعايير وقياسات مختلفة. وفى ظروف غير ظروف هذه السنوات ماكان للولايات المتحدة أن تغزو بنما (ديسمبر ١٩٨٩) فقد واجهتها من قبل فى الثمانينات

أزمات مع كوبا ولم تقدم على غزوها. وأزمات مع نيكاراغوا الساندينية ولم تقدم على غزوها.. مع أن الدولتين تقعان فى اطار «المجال الاستراتيجى المباشر» بالنسبة للولايات المتحدة. وبالمثل فى ظروف غير ظروف هذه السنوات ماكان يمكن للولايات المتحدة أن تنقل من قواتها فى أميركا والعالم نحو نصف مليون جندى للقيام بعمل عسكرى ضخم وواسع الى الدرجة التى نفذتها فى عملية «عاصفة الصحراء» فى حرب الخليج.

الحسابات الجديدة لمابعد «ثورة٨٩» هى التى تفرض الآن على الولايات المتحدة نظرة جديدة تجاه دور اسرائيل وعلاقتها بها.. ليس فقط من زاوية تحرك اسرائيل من المركز فى الاستراتيجية الامريكية الى الهامش، بسبب تغير مفاهيم الأمن القومى الامريكى بتغير الاخطار الاستراتيجية التى يواجهها.. انما أيضا بسبب الدور الذى تريده أمريكا لنفسها فى عالم مابعد ١٩٨٩ أى فيما أسماه الرئيس الامريكى بوش نفسه بناء النظام العالمى الجديد.

أكثر من أى دولة أخرى فى العالم، وبسبب طبيعة العلاقة الخاصة- بالأحرى الخاصة للغاية- التى ربطت الولايات المتحدة واسرائيل، وقامت فى أهميتها ومركزيتها العلاقة التى ربطت الولايات المتحدة بأهم الأحلاف العسكرية التى قادتها- حلف الاطلسى- كان لابد أن تعيد واشنطن النظر فى حسابات هذه العلاقة لامن زاوية القضية العربية أو اهمية المصالح الامريكية فى المنطقة العربية، ولا من زاوية خطر استمرار المشكلة الفلسطينية على السلام فى الشرق الأوسط.. انما من زاوية العلاقة الامريكية - الاسرائيلية بحد ذاتها.

إن موضوع المواجهة بين الإدارة الامريكية والحكومة الاسرائيلية يتعلق بالدرجة الاولى بمفهوم الرئيس الأمريكى عن دوره والدور الامريكى فى النظام العالمى الجديد. ان الولايات المتحدة لاتملك أن تتقدم لدورها فى قيادة عملية بناء النظام العالمى الجديد، وتشكيل هذا النظام على صورة أمريكا ووفقا لمصالحها ولمقتضيات المنافسات والصراعات الجديدة التى ستحل محل المنافسات والصراعات بين الشرق والغرب بينما تترك لاسرائيل حرية العمل بالطريقة التى يرى فيها العالم الخارجى سيطرة المصالح الاسرائيلية على أكبر وأهم أجهزة صنع القرار الامريكى.

إن الرئيس الامريكى بوش وباقى مجموعة صانعى القرار الامريكيين فى الادارة يدركون جيدا مدى الخطر الذى ينطوى عليه فشلهم فى اخضاع اسرائيل للشروط الأمريكية أمام العالم الجديد من المنافسين وعلى رأسهم المانيا- وأوروبا الموحدة بعد ذلك- واليابان والصين وربما روسيا فى مرحلة لاحقة. لاتملك الولايات المتحدة أن تتصدى لدور القيادة المنفردة بالنفوذ العالمى وتترك فى الوقت نفسه سياستها فى منطقة حيوية وخطيرة استراتيجيا واقتصاديا مثل الشرق الأوسط خاضعة لما تراه اسرائيل وماتليه سياساتها وأهدافها.

يخشى الرئيس بوش أن تفقد ادارته وسياساتها العالمية مصداقيتها بشأن ماتحاول تحقيقه فى الشرق الأوسط اذا ظلت القاعدة السابقة قائمة.. ونعنى القاعدة القائلة بأن ارضاء الولايات المتحدة يكون عبر ارضاء اسرائيل. تلك القاعدة التى كثيرا مانفذتها دول عربية واسلامية (مصر فى عهد السادات. ايران فى عهد الشاه. تركيا فى كل العهود ثم مارستها دول أوروبا (الشرقية) بدرجات متفاوتة حتى قبل ثورة ١٩٨٩.. وبالأخص بعدها» وانضم الاتحاد السوفياتى الى الجميع فى العام الماضى.. وان كان لايزال يحتفظ بالورقة الاخيرة الخاصة باستئناف العلاقات الدبلوماسية الكاملة. وحتى هذه تردد فى واشنطن أن احتفاظه بها تم بناء على طلب جيمس بيكر فى جولاته فى المنطقة(...)

ان اخضاع مؤتمر السلام فى الشرق الأوسط- وبعده الأحداث التى ستوجه مسار المنطقة باسرها- لشروط اسرائيل لم يعد شأنا يخص الولايات المتحدة واسرائيل وحتى الدول العربية، وحدها، ان أوروبا واليابان والصين والهند ودول العالم الثالث ترقب المنطقة بانتظار خوض المنافسة عليها بعد زوال «الخطر الشيوعى»، بما لذلك من تأثيرات على مصالح هذه المجموعات من الدول.

وفى ضوء هذه الحقيقة الأساسية يصبح الصراع الدائر الآن بين ادارة بوش وحكومة شامير بمثابة «صراع إرادات» يتعلق بسلب واقع سياسى استمر طويلا هو واقع رضوخ القرار الامريكى لاعتبارات اسرائيلية (اسرائيل ويهود أميركا) بالنسبة لعدد هائل من القضايا والمصالح. الأمر الذى سمح لاسرائيل بأن يكون لها دور فى توجيه السياسة الخارجية الامريكية، ليس فى الشرق الاوسط فحسب.. إنما حتى فى نصف الكرة الغربى وفى أوروبا وآسيا. الامر الذى تكشف فى دور اسرائيل التوجيهى- إن لم نقل القيادى- فى دفع ادارة ريجان الامريكية السابقة الى فضيحة ايران جيت بجانبيها المتعلق بتزويد إيران بالأسلحة والتعلق بتمويل عصابات الكونترا فى نيكاراجوا (أيام حكم الثورة الساندينية) بأرباح هذه الصفقات.

والواقع أن اسرائيل فرضت هذه المواجهة على إدارة بوش أكثر مما فرضتها إدارة بوش. لكن الأخيرة وجدت فى عناد اسرائيل- بالنسبة للحصول على ضمانات القروض وبالنسبة للاستمرار فى التوسيع فى المستوطنات- فرصة لاتستطيع تفويتها لاخضاع حكومة شامير لهذا الاختبار. وخلاله انهارت أسوار كثيرة أمام أعين الرأى العام الامريكى. ولن يكون بالامكان- سواء بالنسبة لإدارة بوش أو أى إدارة تالية- أن تعيد بناءها لتحمى مركز اسرائيل الخاص والمتميز ضد النقد وضد الضغط وضد الشروط.

مع ذلك فالصراع طويل. وما المجابهة الحالية سوى خطوة البداية فيه.

*** فى رسالة واشنطن فى العدد السابق(سبتمبر ١٩٩١)، من «اليسار» وكانت بعنوان: «أمريكا بعد الانهيار السوفيتى» وعدت فى ختامها بالعودة لتناول الواقع الاجتماعى الأمريكى وقد آثرت تخصيص الرسالة فى هذا (العدد اكتوبر ١٩٩١) للأزمة الراهنة بين الحليفين أمريكا وأسرائيل فى ذروة وقت الاستعداد لعقد مؤتمر السلام الخاص بالشرق الاوسط.**
على أن اعود فى رسالة قادمة إلى الموضوع السابق.
س. ك.

كتب

لا.. للهيمنة الأمريكية..
«اليابان يمكنها أن تقول: لا»

تأليف: شينتارو ايشيهارا واكيو موريتا

ترجمة: السيد محرز خليفة/مختار مختار متولى

عرض: هويدا عدلى

يكتسب هذا الكتاب اهميته من مصدر نشره ومن توقيت صدور ترجمته. فقد ظهر ونحن على أعتاب نظام دولى جديد سيكون للقوة الامريكية فيه وضع الهيمنة. والكتاب يقول لا للهيمنة الامريكية، والغريب أنه قادم من اليابان، اليابان ذات العلاقة الخاصة مع امريكا بل والخاصة جدا.

والكتاب أول اصدارات **سلسلة افكار العالم الجديد** التى تضطلع لمسئولية ترجمتها ونشرها **الهيئة العامة للاستعلامات** وقد وزع مايقرب من مليون نسخة عند صدوره فى عام ١٩٨٩ . يطرح هذا الكتاب الذى يعد تحديا لمركز الهيمنة العالمية صورة صريحة وواضحة المعالم للعلاقات اليابانية الأمريكية بهدف إعادة توجيهها وجهه تقوم على الندية وليس التبعية ، خاصة وان اليابان تمتلك العديد من عناصر القوة التى تمكنها من ممارسة الضغط.

وفى تقديمه للكتاب أكد د. **أنور عبد الملك** المشرف على السلسلة انه بفضل تزييف المعلومات العالمية من خلال وسائل الاعلام المعادية لنهضة الشرق، ظلت اليابان فى نظر العالم قزما هامشيا لا وجه له الا الانتاج والمتعه، أما عن تفوقه الاقتصادى الخارق فإنه من باب تقليد الغرب او سرقة اختراعاته وابتكاراته.

يمكن تحديد ثلاثة محاور يدور حولها الكتاب، الأول يتعلق بدور اليابان فى التحكم فى التوازن العسكرى فى العالم، والثانى يحلل الأزمة الامريكية متعددة الابعاد والتى تلقى بظلالها على العلاقات اليابانية الامريكية، اما الثالث فيتصل بالفكر والممارسة اليابانية ذاتها.

وتعتمد الولايات المتحدة الامريكية على استيراد اشباه الموصلات او الرقائق (الديسكات) من اليابان وهى نوع من التكنولوجيا المتقدمة التى تحدد تصويب الصواريخ النووية بدقة شديدة بدرجة انحراف تصل الى الصفر. وهذا ماتفتقر اليه كلا من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى، اذ انه فى الوقت الحاضر تتيح التكنولوجيا الامريكية لهذه الصواريخ الاصابة بدرجة دقة تسمح بانحراف مداه ١٥ مترا يرتفع هذا المدى إلى ٦٠ مترا لدى الاتحاد السوفيتى. يعنى هذا ان اليابان اضحت قادرة على التحكم فى التوازن العسكرى النووى فى العالم. ويتضح ذلك جليا اذا افترضنا ان اليابان توقفت عن بيع هذه الرقائق إلى امريكا وباعتها الى الاتحاد السوفيتى. وقد اعدت لجنة العلوم فى وزارة الدفاع الامريكية مؤخرا تقريرا سريا يوضح عمق الاحساس الامريكى بالأزمة تجاه اليابان، اذ يقول التقرير ان صناعة أشباه الموصلات الامريكية تفقد تفوقها دقيقة بعد أخرى وسيصبح الدفاع عن امريكا معتمداً على مصادر الامداد من الخارج والمتمثلة فى اليابان وهذا يعد أمرا غير مقبول.

يسعى الكتاب ايضا الى تقديم تحليل لازمة المجتمع الامريكى بكافة أبعادها والتى تلقى بظلالها الكثيبة على العلاقات الامريكية اليابانية. فامريكا تدخل بخطى سريعة عصر التدهور، وسبب ذلك انها تفكر لمدة عشر دقائق قادمة فقط. فالاقتصاد الامريكى اقتصاد بلا جوهر، يقوم على أساس تحريك المال والمضاربات والربح السريع، ولايهتم بالانتاج.

ان الوظيفة الاساسية للنقود ليس إثراء المصارف وشركات الاوراق المالية ولكن تمهيد السبيل لانشطة الانتاج. ان اسطورة دخول امريكا عصر مابعد الصناعة وهو مايسمى بعصر صناعة الخدمات يعدوهما. فمعنى ذلك انها سوف تعجز عن توفير احتياجات شعبها الاساسية.

ومن ناحية اخرى فان أمريكا تفتقر للأبداع الصناعى، إذ إن الصناعة تحتاج الى ثلاثة أنواع من الابداع، الاول الابداع الاساسى اللازم للقيام بالابتكارات والاكتشافات التكنولوجية، والثانى يتعلق بكيفية استخدام هذه التكنولوجيا واستثمارها فى الانتاج، اما الثالث فيتصل بالتسويق. إن ماتملكه امريكا هو النوع الاول الابداع فحسب بينما تفتقر للنوعين الاخرين وهذا هو سبب الخلل التجارى بين امريكا واليابان.

وعلى صعيد حقوق الانسان، فان امريكا رغم ماتزعمه من انها حامية حقوق الانسان، فانها بعيده كل البعد عن ذلك وهذا يظهر بجلاء فى طبيعة العلاقة بين العامل وصاحب العمل. ففكرية العامل وصاحب العمل اليابانى تختلف عن الامريكى تماما، فالناس فى اليابان لايعملون من اجل الاجور وحدها، فالعمل له معنى اكبر من كونه مجرد وسيلة لكسب الرزق، فالعامل اليابانى يشعر انه من واجبه الاسمى الحفاظ على عمله طوال حياته وكذلك مساعدة المؤسسة التى تعطى معنى لحياته، وذلك غير قائم فى امريكا، فالعمال الامريكيون لايتوقعون سوى اجور طيبة مقابل عملهم ويتعرضون لتكرار الفصل والتشغيل مما يغرس لديهم الشعور بعدم الانتماء. فالعامل فى الفكرية الامريكية مجرد اداة لتحقيق الربح يتم لفظه عندما يسود الكساد. وبالنسبة للمديرين اليابانيين فانهم لايعيشون حياة البذخ والترف التى يعيشها اقرانهم فى امريكا. كما ان الفقر فى امريكا يظهر واضحا فى كافة انحاء البلاد خاصة بين السود والاسبان، والفجوة هائلة بين الفقراء والاغنياء اذ أن ١٪ من السكان يسيطرون على ٣٦٪ من الثروة القومية. واخيرا فان جذور الخلاف اليابانى الامريكى تكمن فى تربة التعامل العنصرى والذى يقوم على الاعتقاد بأن الحقبة الحديثة من صنع الجنس الأبيض. وينبغى التنوية الى أن النظام التعليمى الامريكى يكرس هذا الاتجاه لدى النشء اذ لايهتم بتعليمهم احترام الثقافات الاخرى. ويرى الكتاب ضرورة ان يدرك الامريكيون الواقع فالقوة فى العالم بما فى ذلك القوة الاقتصادية تتحول تدريجيا من الغرب للشرق، وان اليابان هى القادرة على حماية المصالح الامريكية فى هذه الحقبة الجديدة. وبذلك يمكن القول ان اليابان تملك العديد من مصادر القوة التى تفتقر اليها امريكا التى لاتقتصر فحسب على التكنولوجيا ولكنها ايضا مصادر معنوية ولهذا يمكنها ان تقول لا.



ولكن التساؤل المطروح ماالذى يمنعها من ذلك ؟

تكمن المشكلة فى خصائص الشخصية القومية اليابانية التى تجعل من الصعب على اليابانيين ان يقولوا لا، حتى فى نطاق العلاقات الانسانية الطبيعية ووفقا للتسلسل الهرمى التقليدى. فقد نشأ اليابانيون نشأة كونفوشيسيه فى مجتمع متجانس منذ الصغر دون ان يكون لهم تجارب عملية فى التناحر والتصادم مثلما يحدث فى البيئات متعددة الثقافات يعد هذا امراً سلبياً للغاية، فالخلاف الجدى لايدمر الصداقة. ولذلك يتعين على اليابانيين تصحيح مسارهم الثقافى والسياسى. فقد جندت امريكا تهديداتها مؤخرا خاصة بعد تحسن علاقاتها بالاتحاد السوفيتى واشار كثير من ساستها بانه لما كان الامريكيون والسوفييت على السواء من الجنس الابيض فانهم فى المواجهه النهائية سوف يتحالفون معا ضد اليابان غير البيضاء ولهذا فعلى اليابان ان تقف وقفة شجاعة وحاسمة وتقول لا ولماذ لا؟ انها الطرف الاقوى. ان مشكلة الساسة اليابانيين انهم لايدركون الاهمية السياسية لقدرات اليابان التكنولوجية المتقدمة، فمن المؤسف ان الدبلوماسية اليابانية تقوم على اساس مجموعة من التنازلات بدلا من المناورة الفعالة الماهرة.

وعلى صعيد الدفاع فقد حان الوقت لكى تقول اليابان لامريكا نحن لانحتاج لحمايتكم، اننا نستطيع ان نحمى انفسنا بمالدينا من قوة وحكمة ونستطيع تطوير قدرات دفاعية اكثر فعالية وكفاءة بتكاليف اقل فاليابان لاتحتاج الى نظام امنى امريكى يحول دون بنائها لنفسها.

وفى النهاية فان هذا الكتاب يعد بحق من اهم الكتب التى صدرت فى الفترة الاخيرة، بتقديم صورة للعلاقات الأمريكية اليابانية، صورة تعد جديدة وغير مألوفة فى إطار رؤية نقدية للذات وللغير بهدف احداث التغيير الضرورى وبناء علاقات اكثر ندية وتوازنا.

فكر

التحديث والتنمية: المفهوم والدلالة

خطيئة الربط بين التحديث والنموذج الصناعى الغــــربى

د. السيد الزيات

شغلت قضية التحديث حيزا كبيرا من اهتمام الباحثين فى علوم المجتمع على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم، فضلا عن صانعى السياسة والعاملين فى حقل العمل العام. وبالرغم مما طرح فى هذا المجال من رؤى واجتهادات نظرية.. تغص بها أدبيات الفكر التنموى المعاصر، وما أجرى من دراسات اختبارية وتطبيقات عملية تزخربها تجارب التنمية فى مجتمعات العالم الثالث(١)... فإن مايثير الانتباه والدهشة حقا، ولاتغيب دلالتـه عن فطنة الدارس المدقق أيضـا هو مادرج عليه معظم الباحثين العرب والغربيين من خلط- عفوى أو متعمد- بين مفهومى (التحديث modernization) والتنمية (development) وتعاملهم معهما وكأنهما تعبيران متطابقان أو مترادفان، على الرغم مما يوحى به منطوق كل منهمـا من اختلاف فى الدلالة، وتباين فى التوجه والغاية.

ودون حاجـة إلى الخوض فى جـدل فيلولوجى أكاديمى موسع حول دلالة ومضمون هذين المفهومين- نظريا وعمليا- بوسعنا أن نقرر فى هذا المقام- ولو بشكل انطباعى بحت- ماتواضع عليه الباحثون الثقاة من أن التنمية فى عمقها الاستراتيجى «عملية تغيير راديكالى تقدمى شامل ومقصود، قوامها التخطيط العلمى الرشيد والاعتماد الواثق على الذات والمشاركة الشعبية.. وصولا إلى تطوير وتجديد بنية المجتمع وثقافته وآلياته.. من أجل اجتياز فجوة التخلف الحضارى التى تباعد بينه وبين المجتمعات المتقدمة، وإزاحة أسباب المعاناة عن كاهل الجموع الكادحة» ، فى حين أن التحديث لايعدو أن يكون« عملية تغيير سطحى أو جزئى ، تتوخى اضفاء الطابع العصرى على بنية المجتمع وثقافته وآلياته..، وصبغ الحياة الانسانية- فى شتى قطاعاتها- بالصبغة العصرية التى يتسم بها كثير من المجتمعات التى قطعت أشواطا بعيدة على طريق النمو والتقدم المعاصر». (٢)

وفحوى هذين التصورين- فيما يبدو لنا جميعا- أن ثمة نوعا من الترابط أو التداخل- بل التـمَفْصُلُ- disarticulation- الشديد بين عمليتى التحديث والتنمية، بحيث يتعذر الفصل بينهما بشكل قاطع وحاسم، إذ من المحتمل جدا- والحال كذلك- أن يكون التحديث هو مدخل الأساس للتنمية، كما أنه من الجائز أيضا أن تكون التنمية هى السبيل الرئيس للتحديث. مما يعنى فى مجمله أن التحديث ليس مكافئا للتنمية أو بديلا عنها، كما أن التنمية ليست مطابقة للتحديث أو مرادفة له. (٣)

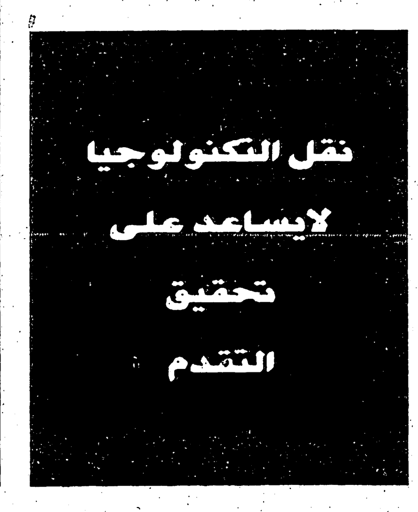
وتتجلى حجية هذا التصور، وتزداد وضوحا وجلاء- إذا ما صرفنا القول- فيما يلى- إلى مفهوم (التحديث) وحده- على نحو ما حددنا معالمه فى صدر هذا الحديث- من خلال مداخله تحليلية نقدية لدلالته المعرفية.. وأبعادها الأيديولوجية لدى مبتدعيه ومروجيه من المفكرين والباحثين الغربيين، ومن ينسج على منوالهم من العاملين فى حقل التنمية، إذ سيبدو لنا على الفور أنهم وإن كانوا يتفقون مع مضمون التصور النظرى الذى سقناه فيما سبق ويشددون عليه فإنهم يضيفون إليه ويقررون كذلك أن التحديث «هو تلك العملية التى صاحبت الثورة العلمية، ومن خلالها أصبحت كافة النظم التى تطورت على مدى التاريخ مهيأة لمواجهة التغييرات الوظيفية المتسارعة التى نجمت عن تزايد معرفة الانسان ببيئته وسيطرته عليهـا». (٤) وبما أن الثورة العلمية- كالثورة الصناعية تماما- نتاج غربى.. فلا مشاحة إذن فى أن الدول الصناعية الغربية هى رائدة التحديث فى كافة مجالات الحياة الانسانية وشتى قطاعاتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية... الخ. ومن ثم.. فانه يتعين على أى من الدول النامية التى تتطلع إلى تطوير

مجتمعاتها وتحديثها أن تأخذ بتجربة الدول الصناعية الغربية وتتأسى بها بوصفها أنموذجا مثاليا ينبغى محاكاته وترسم خطاه، كيما يتسنى لها النهوض من وهدة التخلف التى ترسف فيها، وتحقيق ماتصبو إليه من نقلة كيفية وقيم تقدمية وغايات استراتيجية، والاقتراب من حدود هذا الأنموذج أو التفوق عليه (٥)

وتلكم- فيما نرى- دعوى باطلة ومضللة، تنم عن التزام أيديولوجى صارم، مفعم بالانحياز الدوجماطيقى للتجربة الأوروبية، والشطط فى الاعتداد بالهوية الغربية والتمركز حولها westercen- trism إلى درجة تقرب أن تكون نزعة شوفينيه chuvinsm مغرقة فى التطرف، أو ضربا من التعصب العنصرى المقيت Ethno-centrism (٦) ومن ثم فإن قصارى ما ترمى إليه وتشجع عليه هو إضفاء الطابع الغربى على بنية المجتمعات النامية وثقافتها وآلياتها وصبغها بالصبغة الغربية، دونما حفل أو اعتداد بضوابط ومحددات الزمن والمكان والثقافة، ومعطيات التجربة التاريخية الوطنية والقومية... وما إلى ذلك من عوامل موضوعية ثابتة ومقررة..، تحدد خصوصية أوضاع البلدان النامية ومشكلاتها من ناحية، وتشكل من ناحية أخرى قوام هويتها المميزة وقسماتها. مما ينم فى مجمله عن ابتزاز مجحوج لنضال هذه البلدان، وابتذال رخيص لجهودها المضنية من أجل اقتحام حاجز التخلف، والانطلاق إلى آفاق التقدم الانسانى المعاصر، يؤكد هذا ويدعمه كثير من الحقائق والقرائن الموضوعية- التاريخية والواقعية- حسبنا منها إشارات موجزة.

وبادىء ذى بدء نقرر أن التحديث ليس- فيما يزعمون- عملية جديدة أو مستحدثة بل انه- على العكس من ذلك- عملية تاريخية قديمة متواصلة. حدثت وتحدث على امتداد فسحة الزمن واتساع رقعة المكان، ولا يتوقف مداها عند حد معين أو مستوى محدد من التطور والتجديد. كما أنها لاترتبط تاريخيا بحدث بذاته حتى وإن كان هذا الحدث هو الثورة الصناعية التى غيرت وجه الحياة فى المجتمع الغربى. ذلك أن هذه الثورة وإن كانت قد اقترنت نشأتها.. بالاكتشافات العلمية والتطورات التقنية التى انبثقت فى المجتمع الأوروبى منذ القرن الثامن عشر، فإن هذه الاكتشافات وتلك التطورات ذاتها لم تصدر عن فراغ.. بل كانت- فى بعض جوانبها- ثمرة جهود العلماء والباحثين الأوروبيين الذين جهدوا فى استخدام وتطبيق المنهج التجريبى الذى ابتدعه فلاسفة وعلماء المسلمين الأوائل، وانتقل الى أوربا- عبر أسبانيا وصقلية- وكان هو أساس النهضة الأوربية الحديثة، ومابلغه المجتمع الأوربى من تقدم حضارى محسوس. ومن ثم يقال- وبحق-: «أن ما ندعوه بالعلم قد ظهر فى أوربا نتيجة روح جديدة فى البحث، ومناهج مستحدثة فى الاستقصاء... أدخلها العرب إلى العالم الأوربى، مما أعاد الحياة إلى أوربا بعدما غشى ربوعها من جهالة طوال خمسة قرون كاملة، وجعلها مدينة بكل مقومات حضارتها إلى معطيات العلم الاسلامى وإضافات مبدعيه». (٧)

يضاف إلى ذلك- وهو أمر ثابت ومحقق تاريخيا- أن تقدم الصناعة فى أوربا، وما ترتب عليه من تطور اقتصادى واجتماعى وثقافى، وما انتهى إليه كذلك من تحديث حضارى عام، لم يكن فقط ثمرة مباشرة للمنجزات العلمية والتقنية التى تعاظمت فى أوربا بقدر ما كان محصلة ونتيجة منطقية لازمة عن حركة المد الاستعمارى الأوربى، التى اجتاحت بلدان آسيا وأفريقيا- منذ بدايات القرن التاسع عشر- بحثا عن مصادر الخامات اللازمة لاستمرار الصناعة، والأسواق اللازمة لتصريف منتجاتها. ذلك أن الصناعة- فيما يقال- «لاتخرج من حمى البحث عن الخامات وموارد الخامات، إلا لتدخل فى حمى البحث عن الأسواق لتصريف ما قد أنتجت. لذا فهى محمومة أبدا بتركيبها الذاتى، وترياقها كما تصورت وما تزال تتصور هو الاستعمار» (٨)، مما لم يعد له وجود، أو احتمال وجود مرة أخرى فى عالمنا المعاصر،



ويمثل فى الوقت ذاته تجربة تاريخية- فريدة وبائدة- ليس ثمة مجال قط لتكرارها.

ومما لاخلاف عليه فى هذا المجال- أيضا- أن التجربة الصناعية الحديثة وإن كانت قد انطلقت أساسا من أوربا الغربية.. فإنها لم تعد اليوم وقفا عليها وحدها، أو مقصورة عليها دون سواها من بقاع العالم، إذ أصبحت ثمة تجارب أخرى ناجحة غيرها فى كل من أوربا الشرقية، وشرقى آسيا، وأمريكا اللاتينية. وكل من هذه التجارب يمثل- فى واقع الأمر- أنموذجا قائما بذاته، ومميزا عن غيره سواء من حيث أساسه الأيديولوجى وقوامه التكنولوجى، أم من حيث انعكاساته وتأثيراته- الايجابية أو السلبية- فى البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية للمجتمعات التى نشأ فيها وتطور فى أحضانها. ناهيك عن تلك التجارب الصناعية التى ازدهرت فى عديد من الدول، وحققت نجاحات ملموسة من خلال قيم وممارسات سياسية واجتماعية لا أخلاقية وغير انسانية (كما هى الحال مثلا فى كل من: ألمانيا النازية، وجنوب أفريقية، واسرائيل) مما لايمكن اعتبارها نماذج مثالية يمكن للدول الآخذة فى النمو أن تقتدى بها. وهو ما يعنى فى مجمله أن الدعوة إلى محاكاة التجربة الغربية، أو احتذاء خطوطها وحدها إنما هى دعوة مضللة، ومردودة. لاتعكس رؤية موضوعية محايدة يعتد بها، وتجافى تماما الطابع الارادى لجهود التنمية- وكذلك التحديث- لما تنطوى عليه من قسر واكراه وتعسف. (٩)

يكمل هذا ويدعمه.. أن عمليات التحديث الحضارى التى شهدتها المجتمعات النامية، وعايشت خطوات تطبيقها لم تكن فى معظمها نتيجة لازمة عن جهود التصنيع وآلياته بقدر ما كانت- فى أغلب الأحوال- انعكاسا لتداعيات بناء الدولة القومية والأعمال الفعلى للأساليب والممارسات السياسية الحديثة، ومحصلة أيضا لجدليات العمل بالتجارة Commercialization وتطور الأجهزة البيروقراطية. (١٠) كما كانت مظاهر هذا التحديث وتجلياته أحيانا ثمرة لمعطيات الاحتكاك الثقافى بالتجارب والخبرات الأوربية إما عن طريق المستعمرين مباشرة وما تطلبته السلطات الاستعمارية من تنظيمات ومؤسسات وآليات وتقنيات حديثة لإدارة شئون مستعمراتها وإحكام قبضتها عليها، وإما استجابة للتحدى الأوربى بعامة وفى مجالات الاقتصاد والسياسة والثقافة بوجه خاص.

وفضلا عن هذا وذلك على الرغم من أن بعض البلدان النامية اتجه مؤخرا إلى اصطناع سياسة التصنيع مدخلا رئيسا لبناء التنمية.. فإن تجربة التصنيع فى تلك البلدان- وما ترتب عليها من تغييرات بنيوية فى هياكلها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية- لم تشكل فى معظم الأحوال إلا جانبا ضئيلا من الجوانب العديدة لعملية التنمية الشاملة التى تضطلع بها والجهد من أجل تحقيقها، ولم يكن لها تأثير كبير أيضا فى تنمية اقتصاديات تلك البلدان وتطوير أوضاعها الاجتماعية والحياتية، ولم تكن بالتالى هى العامل الرئيسى فى تحديث مجتمعاتها واضفاء الطابع العصرى على بنائها الكلى. وعلة ذلك- بوجه عام- أن اقتصاديات تلك البلدان- باستثناء دول البترول- ماتزال تعتمد إلى حد كبير على الزراعة. كما أن معظم المشروعات الصناعية التى أنشئت على أرضها أما مشروعات لانتاج السلع الاستهلاكية، واشباع احتياجات السوق المحلية من هذه السلع، أو مجرد مشروعات لاستخراج المواد الخام وتصديرها إلى السوق العالمية. ومن ثم.. لم تضف هذه المشروعات كثيرا إلى الدخل القومى والثروة الوطنية، بقدر ما هيأت فرصة زيادة التراكم الرأسمالى بالنسبة لكبار المستثمرين- الوطنيين والأجانب- الذين يملكونها ويتحكمون فى آليات السوق. ولذا كانت هذه المشروعات- فى معظم الأحوال- من أسباب اتساع الهوة بين من يملكون ومن لايملكون، وعاملا مساعدا أيضا على ظهور كثير من الفئات والطبقات الطفيلية، وتفاقم الأزمات الاقتصادية والاجتماعية أكثر منها وسيلة لتحقيق العدالة والمساواة.. وتقريب- أو تذويب- الفوارق الطبقية، وتهيئة المناخ الملائم لتطوير وتحديث البنية الكلية لتلك البلدان.

وهكذا لم تكن جهود التصنيع فى معظم البلدان النامية مصدرا أوليا أورئيسا لتحديث مجتمعاتها. لم تكن مظاهر التحديث التى تتحلى بها نتيجة لازمة عن فعاليات التصنيع التى شهدتها وعايشت خطواتها. وبالتالى فلا مجال إذن للزعم بأن ثمة علاقة طردية بين عمليتى التحديث والتصنيع، ولايسوغ الجزم كذلك بأن الثانية علة للأولى، لأن قولا من هذا القبيل لن يكون ذا مغزى أو معنى فى كثير من الأحوال، ان لم يكن بالفعل مجرد ضرب من التصورات الذهنية المفارقة لأرض الواقع العملى، ولاتتسق كثيرا مع حقائق وتداعيات التطور التاريخى لعديد من الدول المتقدمة والنامية. فضلا عن أن ثمة شواهد وقرائن عملية وعيانية كثيرة تفيد وتؤكد أن عملية التحديث لم تقترن دائما بجهود التصنيع ولم تنجم عنها، ولكن عملية التصنيع ذاتها هى التى اقترنت بفعاليات التحديث وتمخضت عما هيأته من ظروف وأوضاع مواتية.. وملائمة لتنشيط وتحريك الاقتصاديات الراكدة فى كثير من التجارب التاريخية والحديثة والمعاصرة. (١١)

ولايعنى هذا - على أية حال- انكار مابين عمليتى التحديث والتصنيع من ارتباط وثيق، وارتباط هاتين العمليتين أيضا بجهود التنمية كما أن الاقرار بذلك لايعنى أيضا أن هذا الارتباط لايعدو أن يكون ضربا من العلاقات الخطية

Linear Relationship

أحادية الاتجاه ذات النتائج المباشرة التى يتداعى حدوثها على نحو آلى بدعوى أن التصنيع- فيما يقال- هو محصلة التغييرات الاقتصادية الناجمة عن التقدم التقنى، فى حين أن التحديث هو التغييرات الاجتماعية والسياسية والثقافية المصاحبة للتصنيع، أما التنمية فهى ثمرة هاتين العمليتين، ونتيجة لازمة لزوما منطقيا وطبيعيا عنهما.(١٢)

وحجتنا فى ذلك.. أن الارتباط بين هذه العمليات الثلاث لاينفى امكانية ترتيبها على نحو تنازلى وفق درجة عمومية كل منها. ولاينفى كذلك امكانية المفاضلة والاختيار بينها، أو التركيز على إحداها دون الأخريين، أو البدء فى تحقيق أى منها وإرجاء الاهتمام بما عداها. ويتأتى هذا كله من أن التنمية فى حد ذاتها عملية تغيير هادفة، متعددة الأبعاد والزوايا.. قوامها التخطيط العلمى الرشيد.. والجهد الانسانى المنظم، تنجم عادة- وبصفة عامة- عن تعاظم الأدوار الوظيفية وتكاملها داخل المجتمع ككل. أما التحديث فهو مجرد حالة خاصة ومحدودة من حالات التنمية التى يعتبر التصنيع أحد جوانبها الأساسية. وهو يتمثل من ناحية فى قدرة البناء الاجتماعى على تقبل فكرة التغيير بوصفها قيمة اجتماعية، وقابليته أيضا للتجدد المستمر دون أن يفقد تماسكه وتضامنه الداخلى. ويتوقف هذا كله- بطبيعة الحال- على توافر الأبنية الاجتماعية المتخصصة والمتمايزة، ذات المرونة والكفاءة العالية، والقادرة- أيضا- على التكيف والتوافق مع الظروف المتغيرة والأوضاع الجديدة. فضلا عن توافر سياق اجتماعى كفء من شأنه كفالة المهارات والخبرات والمعلومات اللازمة لتصريف شئون الحياة وتيسيرها فى عالم يتسم بالتقدم التقنى السريع، أما التصنيع فهو لا يعدو أن يكون مظهرا من مظاهر عملية التحديث أو بعدا وحيدا وفريدا من أبعادها المتعددة. وهو يتجلى عادة- وبوجه خاص- إبان تلك الحقبة التى يمر بها المجتمع وتترابط خلالها الأدوار الوظيفية الرئيسة بعمليات الانتاج الصناعى. وحيث أن الأمر كذلك فلا حجية إذن للقول بأن علاقات خطية آلية مباشرة بين عمليات التنمية والتحديث والتصنيع ولاغرابة كذلك أن يدأت عملية التحديث فى أى من المجتمعات دون أن يكون هذا المجتمع على درجة عالية من التصنيع، ولو أنه من المتعذر تماما أن تبدأ عملية التصنيع دون أن يكون البناء الكلى للمجتمع قد تعرض لعملية تحديث واسعة النطاق، أو أن تكون بعض جوانب هذا البناء قد تم تحديثها على نحو أو آخر. (١٣)

ويزداد وضوح مابين التنمية والتحديث من فوارق معرفية وتمايزات بنيوية إذا علمنا أيضا أن التحديث مفهوم موجه قيميا، يثير كثيرا من الجدل والخلاف، ويطرح عديدا من التساؤلات والتحفظات. كما انه- فيما يقول فرنون اسباتوريان V.V. Aspaturian≠ مرادف للتقدم. والتقدم بطبيعته مسألة نسبية ومعيارية. كما أنه مثار خلاف بين العلماء والباحثين، إذ أنهم لم يستقروا بعد على تحديد، عناصره وما إذا كانت له حدود يتوقف عندها أم أنه مستمر استمرار الحياة فى المجتمع. وهو فوق هذا كله يرتبط بمفهوم) التغريب Westernization أو التأريب Europeanization ولاينفك عنه. ومن ثم يفرض تحديده ضرورة التمييز بين ما هو غربى What is Western† وما هو حديث What is modern?† ونظرا لأن ثمة إرتباطا وثيقا بين مفهومات: التحديث والتقدم، والتغريب، وبما أن كلا منها يفسر الآخر فنحن إذن ندور فى حلقة مفرغة لانهاية لها، ولسنا بالتالى ازاء مفهوم محدد واضح. (١٥)

وإذا ضربنا صفحا عن هذه الملاحظات جميعا، وأنعمنا النظر مليا فى مقولة أن المجتمع الصناعى الغربى هو الأنموذج الرائد للمجتمع المتقدم الحديث، وأن كل جهد تنموى لابد وأن يمضى فى اتجاهه.. لاتضح لنا خطل هذا الادعاء وفجاجته. إذ من المتفق عليه، وأثبتته التجارب العملية أيضا، أن التنمية فى جوهرها عملية غرضية إرادية تعتمد على قوانين نابعة من واقع المجتمع ذاته، وتتمشى

مع وقائع ومعطيات المرحلة التاريخية التي يعايشها، أكثر منها عملية نقل آلي.. أو اقتباس حرفي.. أو محاكاة فجة لتجارب وخبرات قيض لها النجاح في هذا المجتمع أو ذاك لعوامل وأسباب مجتمعية معينة، أو لظروف وملابسات سياسية وتاريخية محددة. كما أن القول بأن كل جهد تنموي لابد أن يسير في اتجاه المجتمع الصناعي الغربي إنما يعني ببساطة أن التنمية عملية تخص المجتمعات النامية وحدها ولاشأن للبلدان المتقدمة بها، ويسلم في الوقت ذاته بتخلف المجتمعات النامية دون أن يقدم تفسيرا علميا مقبولا لمصادر هذا التخلف ومسبباته. وتلكم جميعا دعاوى مردودة وغير مقبولة. إذ مما هو ثابت ومؤكد اليوم أن البلدان المتقدمة- شرقية كانت أم غربية- لاتني عن السعي إلى تطوير اقتصادياتها وآلياتها ونظمها الاجتماعية، فضلا عن مراجعة وتعديل انساقها القيمية وعاداتها وتقاليدها.. لتواكب تلك التطورات الجسيمة التي غشيت مجالات التقنية، ولتتواءم كذلك مع متطلبات النظام الدولي المعاصر بما ينطوي عليه من صراعات أو ترتيبات جديدة. (١٦)

كما أن هذا الزعم يقترب كذلك من نظريات الحتم الجغرافي - Geographic De-terminism Theories† تلك التي عفا عليها الزمن، وتربط- على نحو آلي- بين خصائص الموقع الجغرافي وبين مظاهر تقدم المجتمع ودرجة تخلفه. وتخلط في سياق تحليلاتها المتعسفة بين ثوابت المكان ومحدداته وبين تأثير هذه الثوابت وتلك المحددات في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي تتسم بالحيوية والمرونة وقابلية التغير المستمر، إما استجابة لمعطيات السياسة الدولية وتداعياتها، أو نتيجة للتطورات العلمية والتقنية المتلاحقة. (١٧)

وفضلا عن هذا كله فإن القول بأن المجتمع الصناعي الغربي هو الأنموذج المثالي THE Ideal Type† الرائد للمجتمع المتقدم والحديث إنما يفترض بالضرورة تمتع هذا المجتمع بدرجة عالية من الديمومة والثبات. وهذا في واقع الأمر ضرب من الأوهام والخيالات. إذ ما من مجتمع من المجتمعات الانسانية الا وقد خضع للتغير على امتداد تاريخه، ويعايش على الدوام قدرا من التغير النسبي المستمر في كافة أبعاده البنيوية والوظيفية والثقافية على حد سواء. وبالتالي فلا مجال للزعم- قط- بأن ثمة مجتمعا ما على هذا النحو من الثبات والصلابة. وإن تصادف وجود مثل هذا المجتمع- وهو افتراض جدلي بحت- فإنه لابد وأن يكون مجتمعا جامدا متخلفا، لايمكن اعتباره أنموذجا رائدا أو مثاليا لغيره من المجتمعات. ومما لاخلاف عليه في هذا الصدد أيضا أن ترسم خطى المجتمع الصناعي الغربي- أو أي من المجتمعات المتقدمة غيره- ومحاكاة أو اقتباس تجربته الناجحة في أي من القطاعات ليس مطلبا سهلاً أو ميسورا، إن لم يكن متعذر التحقيق تماما. وعلة ذلك- في واقع الأمر- هو اختلاف التجارب والخبرات التاريخية من ناحية، وتفاوت مستويات التطور العلمي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي ومعدلاته من ناحية أخرى، ناهيك عن تباين الأطر الثقافية والأنساق القيمية في كل من المجتمعات المتقدمة والنامية، ومن ثم كان من صائب الرأي أن يقال: «أن النموذج الأمريكي (والغربي بعامة) فريد في نوعه. حدث مرة واحدة ولايقبل التكرار... كما أنه مليء بالعيوب الذاتية... ولايصلح لأي بلد في العالم الثالث». (١٨)

ورب قائل بعد ذلك... أن الدعوة إلى الاقتداء بأنموذج المجتمع الصناعي الغربي الحديث لاتعني بحال من الأحوال نقل أو اقتباس أو محاكاة تجربة هذا المجتمع برمتها، بل قصارى ماتعنيه وترمي إليه هو الاسترشاد بخبراته وممارساته، والإفادة من تجاربه ونجاحاته في هذا المجال أو ذاك، فضلا عن اكتساب طرف من خصائص هياكله ووظائف آلياته، دون إغفال أو إهدار للسمات الفارقة للمجتمع أو مساس بجوهر هويته الحضارية المميزة. وقد لايعترض أحد على هذا الرأي كثيرا. وربما يسلم آخر به تماما. لكننا بالرغم من ذلك، وبغض النظر عن حجية هذه الوجهة أو تلك، نعتقد- وبعمق- أن التنمية في جوهرها، ومن حيث طبيعتها الديناميكية، إنما هي عملية تفاعل حيوي خلاق ومستمر.. بين منظومة العوامل والمحددات المجتمعية المحلية وبين مايعرض للمجتمع من مدخلات ومتغيرات اجتماعية واقتصادية وسياسية وعلمية وثقافية غريبة عليه. ومن خلال جدليات هذا التفاعل، واستنادا إلى فعاليات التخطيط العلمي الرشيد وآلياته وديناميكياته يمكن للمجتمع أن يعيد صوغ بنائه الكلي وتشكيله، وتطوير- أو استحداث- ما يتطلبه من هياكل وميكانيزمات جديدة، تيسر له المضي قدما على طريق التطور والنمو والتقدم المطرد والمستمر.

ومما يؤكد ذلك ويدعمه أن الدعوة إلى نقل أو استيراد التقنيات المتقدمة.... Technology Transfer.. في المجال الاقتصادي مثلا- لم يعد المقصود به استجلاب تقنيات المجتمعات المتقدمة وتطبيقها على ما هي عليه في المجتمعات النامية، أو نقل أو تقليد بعض الخبرات والأساليب العلمية والفنية الحديثة التي أثبتت كفاءة وفعالية- في الشرق أو الغرب- نقلا حرفيا أو تقليدا أعمى. ولكن ماتقصده هذه الدعوة وترمي إليه هو استيراد ما هو ملائم من تقنيات متطورة حديثة appropriate technology† أو تحليل تقنيات العالم المتقدم ومراجعتها بهدف اختيار ما هو ملائم منها وتطويعه وفق ظروف المجتمع الذي يستوردها وأوضاعه، فضلا عن تطوير التقنيات التقليدية للمجتمع ذاته، والعمل على إدماجها ضمن سياق النسيج التقني الخاص بهذا المجتمع. (١٩) والسبب في ذلك أن التقنية وإن كانت في مظهرها المادي لاتعدو أن تكون طاقما a set - أو منظومة- من الامكانات والقدرات العلمية- الفنية التي يستخدمها الانسان، ويتوسل بها من أجل تحقيق غاياته.. فإنها في جوهرها وحقيقة أمرها منتج اجتماعي a social product يرتبط بسياق المجتمع الذي أفرزه. ولا يمكن فهمه خارج هذا السياق. ويعكس في الوقت ذاته مستوى التقدم العلمي والتعليمي وتراكم الخبرات البحثية والفنية لهذا المجتمع. ومن ثم يقال: «أن كل منتج من منتجات التكنولوجيا هو ظاهرة اجتماعية. يحمل في ثناياه طابع المجتمع الذي أفرزه، أو رمزه الوراثي Genet-ic Code ولذلك فإن فعاليته تقترن بتوافر البيئة التي نشأ فيها، وتتدهور إذا اختلفت معالم تلك البيئة». (٢٠)

ومن هنا كانت تقنيات البلدان المتقدمة

الاعتماد التقني المستمر على الغرب... نوعاً من التبعية

تعبيرا عن تقدم طبيعى، وتتضمن أيضا نوعا من الاتساق والتوافق بين هذا التقدم وبين الأنساق الفكرية والعلمية والثقافية والسياسية السائدة فى هذه البلدان. فى حين أن استيراد أو نقل تلك التقنيات إلى المجتمعات المتخلفة أمر مفتعل. لاينم عن تطور طبيعى، وقد لايساعد كذلك على تحقيق التطورات المنشودة، وعلة ذلك أن توافر هياكل التقنيات المتقدمة فى مجتمع متخلف لم تتحقق فيه الديمقراطية بعد قد يزيد قبضة الحكام قوة وصرامة على جموع المواطنين، ويعوق بالتالى امكانات التطور السياسى لهذا المجتمع واحتمالاته. كما أن تقنيات المجتمعات المتقدمة لاتعكس فى أغلب الأحوال الاحتياجات الفعلية للبلدان النامية ولاتتناسب مع قدراتها. وهى بوجه عام باهظة التكاليف. وتتطلب درجة عالية من الدراية، فضلا عن توافر الكوادر البشرية المؤهلة علميا وفنيا. كما أن استيراد التقنية المتقدمة دون تطويعها أو اخضاعها لمقتضيات المجتمع النامى وخصوصياته ومتطلباته يقلل عادة من فائدتها وفعاليتها، ويشكل فوق ذلك عبئا جديدا يضاف إلى رصيد أعبائه، وربما يخلق أيضا حالة من الاعتماد التقنى المستمر على الدول المتقدمة، لاتلبث أن تصبح نوعا من التبعية لتلك الدول التى لاتسمح- عادة- إلابنقل صنوف محددة من التقنيات تقادم بها العهد، وتجاوزها التطور العلمى المعاصر. (٢١)

وليس من شك قط فى أن التقدم التقنى إنما يفصح بذاته عن قدرة المجتمع على الابداع، وكفاءته فى تجديد امكاناته العلمية والفنية وتطويرها وزيادة فعاليتها ولا يقتصر فقط على نجاحه فى نقل أو محاكاة، أو استخدام وتطبيق ما ابتدعه الآخرون فى ظل معطيات مجتمعية خاصة، وظروف وملابسات وتطورات تاريخية مغايرة. وهذا ما يعنى بجلاء أن العمل التنموى الكفء الجاد لايمكن بحال أن يعول تماما أو دائما على جلب وتوظيف ما أنتجه وينتجه الآخرون وحسب. بل لابد وأن يتجه أولا وقبل كل شىء إلى بناء القدرة الذاتية للمجتمع، ودعم هذه القدرة وتطويرها باستمرار، دون انقطاع حضارى فى مسار تاريخه، ودون انعزال أو عزوف عما يجرى حوله من أحداث وتطورات، سيما وعالم اليوم- فيما يقال وتؤكده وقائع العصر- قد أصبح قرية الكترونية صغيره. تربطها وسائل الاتصال والمواصلات من كافة أطرافها، وتتبادل التأثير فيما بين جهاتها الأصلية الأربع. (٢٢)

وأخيرا.. فلعله- بعدما سجلنا فيما سبق ما عنّ لنا من ملاحظات وتحفظات، وأوضحنا من خلال ذلك ما نعتقد أنه رؤية علمية لمفهومى التحديث والتنمية ودلالتهما- لعله قد بات واضحا للعيان أننا لانرفض مقولة التحديث تماما، ولا نقدح كذلك فى ضرورته وأهميته وجدواه بالنسبة لحاضر المجتمع النامى ومستقبله سواء بسواء. ذلك أننا نؤمن- بيقين- أنه ما من مجتمع يتطلع إلى تحقيق قدر محسوس من التطور والتقدم الحضارى العام إلا وتعين عليه أن يكتسب كثيرا من الخصائص المميزة للمجتمعات المتقدمة. وأن يتحلى فى الوقت ذاته بالعديد من سماتها وقسماتها المستحدثة. وأن ينجح فوق هذا كله فى تحقيق درجة عالية من التوافق والاتساق والتكامل بين كل من هذه المتغيرات وبين خصائص هويته القومية ومحدداتها. وبالتالى يتسنى له النجاة من مغبة التورط فى العلاقات الخطية أحادية الاتجاه التى تنطوى عليها دعوى التحديث- بمفهومه الغربى- وما قد تفضى إليه تلك العلاقات من تشويه لخصوصية هويته، أو تبديد لقدراته وإهدار لفعالياته الذاتية. مما يعنى فى مجمله أن التحديث وحده لا يكفى ولا يغنى عن التنمية. كما أنه لاينهض بديلا عنها، ولايعتبر مكافئا لمفهومها أو مرادفا لمضمونها. بل إنه فى حقيقته وفحواه مجرد عملية جزئية محدودة. ترتبط بجهود التنمية الشاملة على نحو ما، وتمثل فى التحليل الأخير بعدا واحدا- إن كان أساسيا- من أبعادها العديدة. وهو بوجه عام يقتصر على مظاهرها الشكلية ولايتجاوز حدود ملامحها الخارجية، ولا شأن له بلبها وجوهرها الحقيقى.

ومؤدى هذا كله أن جهود التنمية إن كانت تفترض فعاليات التحديث وتتطلبها، فان ديناميات التحديث لاتستتبع بالضرورة بناء التنمية أو تفضى إليها،

الحواشى والاحالات المرجعية:

(١) انظر تفاصيل ذلك فى المؤلفات التالية على سبيل المثال:

- D.APTER, THE POLITICS OF MODERNIZATION, UNIVERSITY OF CHICAGO PRESS, CHICAGO,1965.

-C.E.BLACK,THE DYNAMICS OF MODERNIZATION, HARPER & ROW, NEW YORK,1966.

-M.WEINER, (ED.), MODERNIZATION: THE DYNAMICS OF GROWTH, VOICE OF AMERICA FORUM LECTURES,1966.

S.N.EISENSTADT, MODERNIZATION: PROTEST AND CHANGE, ENGLEWOOD CIFFS, PRENTICE-HALL,NEW JERSEY,1966.

THADITION,CHANGE AND MODERNITY, JOHN WILEY& SONS, NEW YORK,1973.

-D.LERNER, MODERNIZATION: SOCIAL ASPECTS, IN:D.L.SILLS,(ED.).INTERNATIONAL ENCYCLOPEDIA OF THE SOCIAL SCIENCES, VOL.10, THE MACMILLAN COMPANY,NEW YORK,1972,PP.386-394.

-A.WEBSTER,INTRODUTION TO THE SOCIOLOGY OF DEVELOPMENT, MACMILLAN PUBLISHERS LTD, LONDON,1984,PP.41-63.

(٢) حول التفرقة بين مفهومى (التحديث) و(التنمية) انظر على سبيل المثال:

-C.LEYS, (ED.),POLITICS AND CHANGE IN DEVELOPING COUNTRIES:

STUDIES IN THE THEORY AND PRACTICE OF DEVELOPMENT, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, LONDON,1969,PP.36-38.

- P.LENGYEL,(ED.), APPROACHES TO THE SCIENCE OF SOCIO-ECONOMIC DEVELOPMENT,UNESCO,PARIS,1971,PP.9-13.

- عبد الهادى محمد والى، التنمية الاجتماعية: مدخل لدراسة المفهومات الأساسية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،



أزمة اليسار العربي ومحنة الكويت

عامر دياب التميمي

عندما غزت قوات النظام العراقي الفاشي الكويت، وتررت ضمها، لم يفكر الكويتيون، وخاصة قواهم الحية، أن يتآلف خليط من التيارات السياسية العربية على مختلف اتجاهاتها من اسلام سياسي وقومي عربي ويساري ويقرر هذا التآلف اتخاذ موقف معاد للكويت وشعبها ويقف مع النظام الديكتاتوري في بغداد بالرغم من كل التحفظات التي حددتها تلك التيارات ضد النظام العراقي قبل ١٩٩٠/٨/٢......

ولقد استغرب شعبنا في الكويت هذا الموقف غير المنطقي وغير الأخلاقي، وكيف يمكن لقوى سياسية واعية أن تقف مع نظام اعتدى على استقلال بلد عربي مسالم لم يتقاعس يوما من الأيام في الوقوف مع القضايا العربية وفتح أبوابه للعرب للعمل وكسب الرزق وساهم في برامج التنمية بكل الامكانيات المتاحة في مختلف الأقطار العربية.. كما أن هذا البلد «الكويت» بالرغم من كل التحفظات التي قد يبديها هذا الطرف أو ذاك على نظامه السياسي، يتيح قدرا من الحرية الفكرية لاتتوفر في عدد كبير من البلاد العربية، ويشجع الانتاج الفكري العربي بمختلف صوره............

ولو افترضنا أن القوى السياسية العربية بمختلف فصائلها، لديها مواقف تجاه النظام السياسي في الكويت، فهل ذلك يبرر السكوت على الجرائم التي ارتكبتها القوات العراقية الغازية والمحتلة ضد أبناء الشعب الكويتي؟... فالشعب الكويتي وقف دائما ومنذ زمن سحيق مع كافة القضايا الوطنية والقومية في الوطن العربي بدأ من قضية فلسطين عام ١٩٣٦، وعام ١٩٤٨ ومرورا بالثورة الجزائرية والعدوان الثلاثي على مصر وتفاعل مع ثورة ٢٣ يوليو في مصر وثورة ١٤ تموز في العراق وتمرر هذا الشعب من هزيمة ١٩٦٧... وعندما نشبت حرب ١٩٧٣ ساهم أبناء الكويت في الحرب في جبهتي سيناء والجولان ودعم موقف المقاطعة النفطية... ثم لما انتفض الشعب الفلسطيني في الضفة وغزة. للكويتيين موقف ثابت في دعم هذه الانتفاضة معنويا وماليا..... ولم تكن مواقف الشعب الكويتي تعبيرات لفظية بل اتسمت دائما بالدعم المالي وكان الكثير من الكويتيين يقدمون الدعم المالي بشكل منتظم... الكويتيون، بطبيعة الحال، لايعتبرون مواقفهم تلك منّة منهم على العرب بل هي مواقف حتمية وطبيعية نتيجة لحقيقة انتمائهم العربي.....

من جانب آخر يعتبر الشعب الكويتي من أكثر الشعوب العربية تمسكا بالديمقراطية، بل أن نضالات هذا الشعب كانت دائما تصبو لتحقيق المزيد من الحرية والعدالة واحترام حقوق الانسان.......

ولقد ساهم عدد كبير من مثقفي الكويت في مجالات حقوق الانسان في الوطن العربي والعالم..... وقد كان لموقف اهل الكويت

تأثيرات مباشرة على السياسة الرسمية الكويتية حيث كانت مواقف حكومة الكويت في المحافل الدولية تناصر القضايا العربية وقضايا شعوب العالم الثالث المناضلة من اجل حريتها السياسية وانعتاقها الاقتصادي...

ولايهمني في هذه المقالة أن أبحث في مواقف قوى الإسلام السياسي أو القوى القومية العربية، حيث أن تكويناتها الفكرية والتنظيمية تتسم بالفكر البابوي والنزعة للإرهاب الفكري وهي بذلك قريبة من تكوينات وأساليب النظام العراقي الحاكم وليس من المستغرب أن تتناغم مع اطروحاته...

لكن المهم في الأمر هو تفسير مواقف بعض القوى التي يمكن احتسابها على التيار الديمقراطي والتقدمي والتي تضع نفسها في خانة اليسار العربي... فهذه القوى كنا نفترض أن لديها قدرة أفضل على التحليل السياسي وتستطيع أن تتخذ المواقف المناسبة تجاه الأحداث المصيرية، وهذه القوى لابد أن تعرف طبيعة النظام الحاكم في بغداد وهي افضل من غيرها من خلال علاقاتها الوطيدة مع أركان المعارضة العراقية والتي عانت الكثير من اضطهاد هذا النظام منذ أن تولى السلطة عام ١٩٦٨ وحتى يومنا هذا... كما أن هذه القوى اتخذت مواقف محددة ضد النظام العراقي إبان الحرب العراقية الايرانية ولم تتوهم كثيرا باطروحات النظام المذكور حول الحرب التي دامت ثمان سنوات عقيمة...

إذا الخلل في الموقف من احتلال الكويت؟

وعندما يناقش المرء موقف عدد من القوى اليسارية من «محنة الكويت» لايجد سوى تبريرات سياسية غير مقنعة... منها على سبيل المثال أن تلك القوى كانت من حيث المبدأ ضد غزو واحتلال العراق للكويت وكذلك ضد قرار ضم الكويت.. الا أن موقفها تغير بعد قرار دعوة قوات اجنبية وأساسا أمريكية للدفاع عن المملكة العربية السعودية ومن ثم تحرير الكويت من قوات نظام صدام حسين... وتدعي تلك القوى بأنه كان بالامكان حل النزاع واقناع العراق بالانسحاب من الكويت من خلال المفاوضات والحوارات العربية أو في أصعب الاحوال استخدام قوات عربية لتحرير الكويت.. وبذلك تطرح هذه القوى بإن المشكلة الكبرى أصبحت ليس احتلال الكويت ولكن ذلك التواجد الاجنبي، الأمريكي بالدرجة الأولى، الذي يستهدف استقلال الوطن العربي ويؤدي إلى تبعيته للنظام الرأسمالي.. وبطبيعة الحال يبدو هذا الموقف سطحيا وغير مقنع.. ذلك أن الولايات المتحدة والنظام السياسي في الغرب يعتبر منطقة الخليج، حتى الان على الاقل، منطقة استراتيجية ولابد من توفير استقرارها وعدم وقوعها تحت هيمنة قوى تهدد المصالح الغربية وبالدرجة الاساسية استمرار تدفق النفط للعالم الصناعي... ولذلك فانه يصبح من غير المسموح أن تتجاوز قوى اقليمية الخطوط الحمراء المرسومة للمنطقة والتي تحدد طبيعة العلاقات في هذه المنطقة الحيوية في العالم.. ولاشك أن تجاوز القوات العراقية للحدود الكويتية وقرار النظام العراقي ضم الكويت، شكل انتهاكا صارخا للنظام الدولي وتحديا لمصالح القوى الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة.... وبطبيعة الحال حاول النظام العراقي كسب ود الغرب من خلال اطروحاته بأنه سيضمن تدفق النفط وبأسعار معقولة، لكن السماح بذلك كان سيؤدي إلى مقدرة النظام العراقي بعد حين من السيطرة على ٢٥٪ من أحتياطي النفط في العالم وقدرته على رسم السياسة النفطية في دول الخليج من دون أن تخطو قواته خطوة اضافية إلى الجنوب من الكويت.....

لذلك لم يكن غريبا أن تقرر الولايات المتحدة وحلفاؤها التدخل لانهاء الوضع الشاذ وإعادة الأمور إلى نصابها وكبح العدوان العراقي... لكن السؤال هو كيف يمكن للقوى اليسارية العربية أن تنحرف وتتخذ مواقف في جوهرها مناصرة للعراق بحجة رفض التدخل الاجنبي في منطقة الخليج في حين أن الذي سبب ذلك التدخل والتواجد هو قرار العراق بغزو وضم الكويت؟ لماذا تهرب من اتخاذ موقف واضح وصريح وتدعو لانهاء الاحتلال ورفع الظلم عن الشعب الكويتي؟ ثم هل كان يعقل أن قرر النظام العراقي أن ينسحب من الكويت نتيجة لضغوط سياسية أو عسكرية عربية في الوقت الذي يعلن الرئيس حسني مبارك بأن مصر ذاتها لايمكنها أن تواجه مثل ذلك العدوان بامكاناتها الذاتية؟ إذاً ألا يعني «الحل العربي» نهاية الكويت كدولة مستقلة والتسليم بإطروحات النظام العراقي...

موقف بعض قوى اليسار من الأزمة سطحي غير مقنع!

هناك خلل حقيقي في بنية التنظيمات اليسارية سياسيا

كما نتساءل:..

إذاً لماذا تتخذ القوى اليسارية العربية موقفها التعيس.. ولماذا يتعرض «يعقوب زيادين» الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي الأردني لحملة شعواء في الاوساط التقدمية الاردنية بسبب اتخاذه الموقف الصحيح من عدوان النظام العراقي ضد الكويت؟.

هل المسألة كما بسطها «جورج حبش» لبعض الاخوة الكويتيين الذين عاتبوه على موقفه بانه دائماً في الجانب المعادي لامريكا مهما كانت مساوىء أطرافه هل بلغ الأمر بالفكر العربي لان يتسطح بهذا الشكل وتصبح القضية ابيض واسود؟.. ومن المحير أن معظم قوى اليسار العربي كانت لها مواقف مشرفة ضد النظام العراقي أساسها مناصرة القوى الديمقراطية المناهضة للنظام القائم في بغداد ومنذ عشرات السنين... فما الذي تغير في النظام بعد احتلاله للكويت؟... هل هي اطروحات النظام من العزم على تحرير فلسطين أو اعادة توزيع الثروة العربية؟

ولا أستطيع أن اناقش مثل هذه الاطروحات لان من راقب النظام العراقي الحالي منذ نشأته لابد أن يكون مقتنعا بعدم مصداقية النظام المذكور في القضيتين المذكورتين...

فهل اصاب قادة اليسار العربي داء فقدان الذاكرة ليتعاموا عن تشخيص الموقف الحقيقي للنظام العراقي من كل من قضية فلسطين ومسألة عدالة توزيع الثروة العربية؟

وبتقديري أن هناك خللا حقيقيا في بنية التنظيمات اليسارية سياسيا وفكريا.. فالتنظيمات اليسارية في فلسطين هي امتداد لتنظيمات قومية نشأت في الخمسينيات من هذا القرن... فالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطية كانتا نتاج للتطورات السياسية والفكرية التي حدثت لحركة القوميين العرب منذ مطلع الستينيات بعد تبنيها للفكر الاشتراكي على أثر تبني النظام الناصري في مصر لذلك الفكر....

وبالرغم من تبني الجبهتين للفكر الماركسي إلا أنهما لم تستطيعا أن تتغلبا على شوائب

الفكر القومى وأطروحاته الشوفونية.. لذلك فان قرار العراق بغزو واحتلال الكويت أحيا فى نفوس قادة الجبهتين واللذين كانوا من مؤسسى وقادة حركة القوميين العرب، روح التعصب لفكرة الوحدة تحت كل الظروف وبدون اعتبار لمن يقوم بها وهل تتم ضمن اطار ديمقراطى وشعبى أم بأسلوب قهرى.. فالفكر القومى لدى حركة القوميين العرب كان يقبل الوحدة تحت كل الظروف حتى لو قامت على أسس رجعية أو فاشية.. لذلك فان تبنى الفكر الماركسى لم يغير من طبيعة القناعات القومية الحقيقية لدى التنظيمين المذكورين....

كذلك جاء موقف التنظيمات الفلسطينية المختلفة المساند لاحتلال العراق لدولة الكويت ليشكف عن تناقض مبدئى واضح... حيث أن تلك التنظيمات قامت أساسا لمقاومة الاحتلال الصهيونى لفلسطين فكيف بها تندفع لمساندة الإحتلال العراقى مقرة بذلك مبدأ احتلال القوى للضعيف ومضفية شرعية لاغبار عليها على الاحتلال الاسرائيلى لفلسطين والأراضى العربية المحتلة... فكيف يمكن أن يستقيم هذا الموقف مع فكر المقاومة الفلسطينية الذى يفترض أنه معاد للاحتلال فى كل مكان؟ ومن العجيب أن يفلسف ذلك الموقف على أساس مبادىء القومية العربية، وبذلك يوسم تلك المبادىء بالفاشية المعتمدة على الضم القسرى بدون مبالاة بمشاعر الشعب الكويتى المعنى بالامر اساسا...

وفى حين وقف الحزب الشيوعى الفلسطينى موقفا متميزا من قضية الكويت وشجب العدوان العراقى وقرار الضم إلا أنه لم يتمكن من مواجهة الشارع الفلسطينى المحموم، وشجب استدعاء القوات الاجنبية لتحرير الكويت... وكأن تحرير الكويت يتم تلقائيا وبدون عناء عسكرى وما على الكويتيين الا أن ينتظروا الرحمة من سادة بغداد.....

وفى الاردن كانت القوى اليسارية تابعة فى مرقفها للموقف الرسمى وموقف الإسلام السياسى والقوى القومية... وتعتبر حالة الاردن فريدة فى مسألة دعم الموقف العراقى حيث الحماس المحموم والمعادى لكل كويتى او خليجى وكذلك فى تأليه صدام حسين وعبادته لدرجة أن أحد الاخوة العراقيين ممن تابعوا الوضع فى الاردن قال لبعض اصدقائه فى الاردن «بانكم اذا كنتم تعتقدون بأن نظام صدام حسين هو المنقذ لكم فان العراقيين مستعدون للتنازل عنه لكم» ولم تشذ قوة سياسية واحدة عن موقف الدعم للعراق والعداء للكويت وشعب الكويت. وحتى الحزب الشيوعى الادرنى الذى حاول التميز فى بداية الأمر اضطر أن يوبخ أمينه العام «يعقوب زيادين» لانه طرح الامور كما يجب فى تقريره للجنة المركزية وحلل الأزمة كما يجب أن يكون التحليل وحدد المخاطر الناجمة على الامة العربية نتيجة لسياسات النظام العراقى ونتائج المواقف المساندة لتلك السياسات....

أما حزب التجمع التقدمى الوحدوى فى مصر فلم يكن موقفه بعيدا او مختلفا عن مواقف القوى الفلسطينية والاردنية بل جاء متناغما مع تلك المواقف ومساندا، فى المحصلة النهائية للعدوان العراقى على الكويت.. واتبع سياسة «نحن ضد الغزو والاحتلال... ولكن... » أى أن الحزب يشجب العدوان والضم ولكنه يشجب التواجد الاجنبى الذى جاء لتحرير الكويت... وموقف كهذا يصب فى خانة المواقف المؤيدة للنظام العراقى.. هناك بطبيعة الحال عدد من المفكرين الشرفاء فى حزب التجمع الذين رفضوا ذلك الموقف وقرروا اصدار بياناتهم المستقلة وعملوا بكل مافى وسعهم من أجل تحرير الكويت وجمدوا عضويتهم فى المواقع القيادية فى حزب التجمع وعلى رأس هؤلاء وهم كثيرون: **د. ابراهيم سعد الدين، ود. اسماعيل صبرى عبد الله، ود. عمرو محى الدين...** وغيرهم

بيد آن سياسات حزب التجمع خلال الشهور السبعة من الاحتلال كانت متوافقة مع توجيهات النظام العراقى وكانت جريدة الحزب «الأهالى» ترفض التواجد المصرى فى الخليج، وتطالب بسحبه. وفى كافة الافتتاحيات كانت مساندة العراق واضحة وكأنه المعتدى عليه... وعندما قامت حرب تحرير الكويت اقامت الجريدة المذكورة الدنيا واقعدتها متباكية على العراق وشعب العراق، وكأن العراق لم يعانى شعبه من اضطهاد وبطش النظام البعثى خلال السنوات الثلاث والعشرين الماضية، وكأن الحرب لم تكن نتيجة لسياسات النظام الحاكم ومغامراته.

ولم تكتف جريدة «الأهالى» بدعم الموقف العراقى من خلال الافتتاحيات والمقالات وطريقة نشر الأخبار، بل إنها عمدت إلى استخدام سلاح «الكاريكاتير» للسخرية من الشعب الكويتى.. ولقد حاولنا أن نفهم موقف التجمع ومن ثم موقف أسرة تحرير جريدة الأهالى ولم نتمكن الا ان نكتئب ونصاب بخيبة الأمل من موقف هذا التيار الهام من اليسار المصرى الذى توقعنا أن يتفهم محنتنا ويقف معنا ضد الفاشية... وقد حاول



من صور العدوان الأمريكى على العراق خلال حرب الخليج

معظم قوى اليسار العربى كان لها مواقف مشرفة من النظام العراقى قبل الغزو فلماذا غيرته؟!

بعض الاصدقاء المصريين أن يفسروا لنا موقف التجمع بانه لدرء الحرج حيث أن معظم أحزاب المعارضة وقفت مع العراق، كما ان هناك لبعض القيادات في التجمع علاقات مع النظام العراقي.. كما فسر بعض هؤلاء الاصدقاء بأن الموقف ينبع من الحرص على معارضة موقف النظام المصري الذي وقف منذ البداية ضد الاجتياح والضم... وهذه التفسيرات لاتخلو من المغالطات الموضوعية ولانستطيع أن نستشف منها موقفا مبدئياً واحدا... حيث إن محاولة الانجراف مع تيار المعارضة المصرية الموالي للعراق لايمكن قبوله من حزب اعتمد المواقف المبدئية وآمن بالديمقراطية وحارب الفاشية فكيف يستقيم مثل هذا الموقف؟...

اما مسألة علاقة عدد من القياديين بالنظام العراقي، فهذه لاتحسب لهم حيث إن النظام العراقي كان منذ قيامه معاديا للتقدم والفكر الاشتراكي العلمي وحارب دعاته في العراق، كما أنه كان معاديا للديمقراطية منذ زمن سحيق فكيف يمكن لتلك القيادات أن تبنى علاقات معه.. واذا افترضنا أن القياديين المذكورين لهم علاقات مع النظام المذكور أو بعض أطرافه فهل يغفر لهم ذلك تخاذلهم في اتخاذ الموقف الصحيح من غزو الكويت وضمها...؟ اما التبرير الاخير وهو معارضة موقف النظام المصري فهل المطلوب هو اتخاذ موقف معارض بالرغم من خطأ الموقف ذاته، بسبب أن النظام يتخذ الموقف المضاد؟..

لم يختلف موقف قوى اليسار في شمال افريقيا عن موقف الفلسطينيين والمصريين ماعدا موقف حزب التقدم والاشتراكية والذي كان له موقفا جريئا ومبدئيا منذ بداية الغزو، بيد أن هذا الموقف اصابه الوهن عند اندلاع الحرب الجوية لتحرير الكويت حيث تغير الموقف للمطالبة بوقف الحرب... ويبدو أن محاولات الابتزاز من قبل القوى المغربية الاخرى اثرت على موقف الحزب المذكور... اما بقية الاحزاب فانني لم استغرب موقفها، حيث هناك معلومات محددة عن العلاقات الوثيقة ذات الابعاد المصلحية التي تربط تلك الاحزاب بالنظام العراقي.....

في منطقة الخليج لم يكن موقف اليسار متماسكا في الوقوف ضد الاعتداء العراقي كما يظن الكثيرون... فقد وقف جناح من الجبهة الشعبية في البحرين موقفا مؤيدا للنظام العراقي في دعواه بشأن الكويت.....

أما الأطراف الأخرى التي شجبت العدوان فقد غلفت مواقفها بدعوى ان هناك مؤامرة امبريالية على العراق والوطن العربي وتمادت في تفسيرها للأمور على اساس «نظرية المؤامرة» هناك ايضا شخصيات كانت محسوبة على التيار التقدمي في منطقة الخليج في

موقف القوى اليسارية في الأردن كان تبعية للموقف الرسمي

البحرين وقطر والامارات وقفت موقف اللامبالي من احتلال الكويت وضمها، وقفزت على هذا الحدث الجلل إلى دعاوى التواجد الاجنبي وما إلى ذلك من أحاديث لاجدوى منها.

ماذا يمكن للمرء أن يستنتج من تلك المواقف المؤسفة لقوى اليسار العربي؟ ان الاستنتاج الاساسي والمهم ان تلك المواقف لاتمت للفكر اليساري الاصيل بصلة، حيث إن مواقف اليسار تتسم دائما بتأييد الحرية والديمقراطية والعداء للفاشية ونبذ الاحتلال والضم القسري وتأيد حقوق الانسان ومبادىء تقرير المصير لكافة الشعوب وكافة الشعوب تعني مهما كان حجمها بما في ذلك الشعب الكويتي، والذي سخر من حجمه عدد من مفكري اليسار المصري، ومنهم استاذ جليل نقدره هو د. **فوزي منصور**، والذي قال بأن حي شبرا في القاهرة يحوي حجما سكانيا اكبر من حجم السكان الكويتيين... وقد يكون ذلك الحجم السكاني الكويتي صغيرا، فهل هذا مبرر لتأييد العدوان والسكوت عليه؟ أين الموقف المبدئي والأخلاقي من هذا التبرير؟

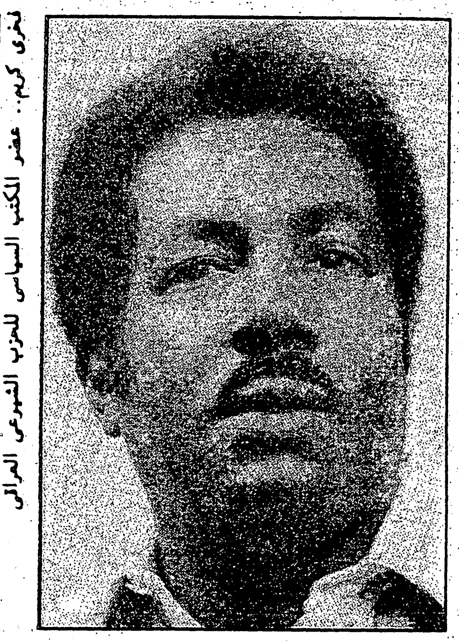
الاستنتاج الآخر أن قوى اليسار انجرفت في مواقفها من القضية الكويتية مع اطروحات التيارات القومية المتعصبة مثل التيار الناصري والتيار البعثي وزايدت عليه، ويبدو انها كانت تحاول ان لايسجل عليها موقف يكون متناقضا مع موقف تلك القوى التي تجيد الابتزاز السياسي مثل ما فعلت مع الاحزاب الشيوعية العربية عندما اتخذت موقفا متميزا من قضية تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧.

هناك استنتاج هام وهو ان قوى اليسار لم تمارس الأصول الديمقراطية عند اتخاذ مواقفها من مسألة الاحتلال العراقي للكويت والدليل على ذلك ان هناك الكثير من اعضاء التنظيمات الذين طرحوا افكارا مختلفة ولم تتح لهم الفرصة للتعبير عن ارائهم من خلال الهياكل التنظيمية... وهذا يعني بأن الديمقراطية لاتمارس داخل تلك الهياكل الحزبية وهناك هيمنة مستبدة للقيادات... ولو كان هناك حد ادنى من الممارسة الديمقراطية ضمن تلك التنظيمات لما وقفت مع نظام مستبد، ولما بررت الاحتلال بدعاوى التواجد الاجنبي.....

هناك مسألة هامة لم تضعها القوى اليسارية في عين الاعتبار تلك المسألة هي السابقة التاريخية عندما وقفت جميع القوى

جنود فرنسيون يستخدمون الاقنعة الواقية





محمود البراهيم: نائب سكرتير الحزب الشيوعي العراقي

فخري كريم: عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي

الديمقراطية فى العالم ضد دول المحور بقيادة ألمانيا النازية، وبتقدير يرى أن ماحدث للكويت هو شبيه إلى حد بعيد باجتياح القوات النازية لتشكوسلوفاكيا وبولندا والنمسا وفرنسا وغيرها من دول اوروبية وفى ذلك الحين وقفت كل القوى المحبة للسلام مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفيياتي وبريطانيا فى محاربة النازية وحلفائها... وكان يجب على قوى اليسار العربية أن تنضم للتحالف الدولى الكبير الذى تم تطويره من خلال الأمم المتحدة لدعم تحرير الكويت من قوات الفاشية العراقية.

والان وبعد نتائج غزو الكويت واحتلالها لابد أن يتساءل المثقفون العرب وخاصة اليساريين منهم، عن ماجنته الامة العربية من تلك المغامرة... فاذا كنا نحارب التبعية الاقتصادية والسياسية قبل ٢ أغسطس ١٩٩٠ فنحن الآن نكرسها بشكل عملى لا لبس فيه... وأصبح العرب فى حالة سياسية ميؤساً منها لاتبشر بمستقبل وطنى وقومى تتحقق من خلاله طموحات التنمية العربية المستقلة، ويتحرر من خلالها الوطن العربى من تبعات الاعتماد على الاقتصاديات الصناعية المتقدمة.

ان الانفاق على المجهود العسكرى خلال السنوات الاربعين الماضية والتى تسارعت خلال عقد الثمانيات اهدرت الكثير من الامكانيات التى كان يجب ان توجه نحو التنمية المدنية التى كان من الممكن لها أن تضع اقطار عربية كثيرة فى مصاف الدول المتقدمة... ولاشك ان العراق بانفاقة الاموال على عسكرة المجتمع العراقى، ومن ضمن تلك الأموال اموال خليجية، عطل قدرات العراق التنموية وأضاع امكانيات المجتمع للتطور الصناعى والزراعى..... بل ان تلك النفقات والمغامرات العسكرية ادت إلى تحطيم البنية التحتية الاساسية والبنية الصناعية فى ذلك البلد... كما ان تلك المغامرات اوجدت فزعا فى منطقة الخليج بحيث وجهت أموالا ضخمة للانفاق العسكرى بدلا من توجيهها للتنمية الوطنية أوالمساهمة فى مجهود كبير للتنمية العربية.....

ثم أن نتائج مغامرة غزو الكويت أن اصبح الحديث عن الالتزامات العربية داخل المجتمعات الخليجية نوعا من السفاهة خصوصا عندما يتذكر أبناء هذه المجتمعات موقف الحكومات والشعوب العربية من غزو العراق للكويت... ويقول هؤلاء بانه كان على طلائع الشعوب العربية ان تقف ضد عمليات البطش والتقتيل والاغتصاب وعمليات النهب والتدمير والتى تعرض لها ابناء الشعب الكويتى وممتلكاته ولكننا لم نسمع صوتا عربيا يدافع عن الكويتيين... وعندما بدأت الحرب لتحرير الكويت انشقت الارض وخرج المثقفون العرب، بمختلف تياراتهم، مطالبين بوقف الحرب لانقاذ العراق من الهجمة الاستعمارية وتناسوا بأن المسؤولية الأساسية لنشوب تلك الحرب تقع على عاتق النظام العراقى، ولم يكن امام العالم تجاه تزمت ذلك النظام إلا شن تلك الحرب لإعادة الاوضاع إلى نصابها وتحرير الكويت....

المنظمات العربية اليسارية لم تتبع الأصول الديمقراطية عند اتخاذ مواقفها

ان محنة الكويت تحتم على قوى اليسار العربية، اذا ارادت ان يكون لها مكان تحت الشمس فى ظل التغيرات الجديدة فى عالمنا المعاصر، أن تنتهج مسلكا مبدئيا ينتقد كافة المواقف التى اتخذتها واتسمت تلك المواقف بعدم الوضوح أو تلك الداعمة للموقف العراقى من احتلال الكويت... وعلى هذه القوى ان تعيد ترتيب اوضاعها معتمدة على الديمقراطية الشاملة، وتعيد تقييم مناهجها الفكرية والسياسية هادفة إلى كسر الجمود الفكرى والعقائدى..... وفى نفس الوقت يجب على هذه القوى أن تنتهج مواقف فكرية لاتخضع للابتزاز القومى او ابتزاز قوى الاسلام السياسى... فمتى ما حاولت هذه القوى ان تهادن فكريا اطروحات تلك القوى المتخلفة المعادية للديمقراطية تفتقد مصداقيتها الفكرية.....

وفى الوقت الذى يحز فى نفس المرء مواقف العديد من القوى السياسية لابد أن نؤكد بأن هناك قوى يسارية عربية مثل الحزب الشيوعى السودانى والحزب الشيوعى العراقى، وقفت بكل قوة واقتدار فكرى ضد الغزو والاحتلال والضم ولم تهادن احدا عندما طرحت آراءها ومواقفها... ولقد وعت تلك القوى حجم الكارثة منذ بدايتها بل ان تلك القوى كانت تعلم بحجم الكارثة منذ زمن بعيد والتى يمثلها النظام العراقى بحد ذاته....

ان نتائج الاحتلال على الأمة العربية يحتم على القوى التقدمية أن تعيد النظر فى كافة أطروحاتها وتقيم احتمالات المستقبل بشكل جريء، على ان تبحث عن الخلل الحقيقى فى اوضاعها وذلك من اجل صياغة منهج فكرى وسياسى بديل لكل ماهو قائم.... فهل تستطيع هذه القوى ان تتصدى لهذا التحدى آخذة بالاعتبار ماحدث خلال السنوات القليلة الماضية والماضى القريب جدا فى عالمنا العربى وفى المعسكر الاشتراكى والعالم اجمع.....؟.....



فن

الحرية هذه الكلمة الحلوة حتى فى برامج الشباب

ماجدة موريس

* أغلق التليفزيون أبوابه أمام المشاهد، وحذر عليه الالتقاء به، وأصدر الفرمان الأشهر بأن يكون المواطن المصرى مستقبلاً ومتلقياً فقط وليس مرسلاً وفاعلاً، فابتعد الناس بوجدانهم عنه، ولم يتبق لهم فيه إلا قلة من المؤدين الجيدين فى برامج قليلة بينما انخرطت الغالبية فى السلوك التليفزيونى السائد والبعيد عما يزيد المشاهد معرفة وثقافة وتنويرا.. أما ساحة الدراما فقد انصرفت إلى روايات ومسلسلات أغلبها مفتعل ردىء يزيد هموم الحياة، وأقلها واع أو متأرجح بين ادعاء الوعى إلى مداراة الوعى حتى يمر بسلام من أبواب الرقابة، ناهيك عن المستويات الفنية البادئة من الصفر غالباً، ومع ذلك فنحن نهنىء أنفسنا إذا وجدنا فى حصاد العام ٤ أو ٥ مسلسلات جيدة فكراً وفنا، ونعتبرها كسباً ضخماً ننتزعه من أنياب جبهة التجهيل.

ولكن حدث الجديد منذ شهر يوليو الماضى، ونفذت طاقة أمل إلى المشاهد قادمة من طريق غير متوقع، وفى وقت ميت (بلغة الاعلام) وعلى القناة المتميزة بالثبات والجمود، وبالتحديد فقد أعيد النظر فى خريطة القناة الأولى وأسلوبها بعد تولى كوثر هيكل رئاستها وأسفر هذا عن تقرب السيدة العجوز- أى القناة الأولى- من النزلاء المقيمين لديها فبدأت- للعجب- تجذب إليها غير النزلاء أيضا، وبدأت القناة الأولى تحظى بمشاهدة فئات لم تكن تشاهد فيها غير نشرة الاخبار، وربما برنامج نادى السينما، ناهيك عن ملايين الشباب الذين كانوا قد قطعوا علاقتهم بها، وببرامج الشباب فيها بالتحديد، والتى تميزت بطرد مشاهديها لسنوات طويلة إلى برامج أخرى أو استغناؤهم عن التليفزيون نفسه..

* قد يكون من غير المصدق أن سبب كل هذا التغيير عاملان، الأول هو مبدأ الحوار مع المشاهد، والثانى هو حرية مقدم البرنامج نفسه، أى أن إطلاق حرية كل من المشاهد والمذيع. أحدث هذا التغيير المحسوس فى مجتمع يغلق دوائر الحرية والحوار باستمرار. والطريف أنه ليس برنامجاً سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً الذى فعل هذا وانما أسمه (أمانى وأغانى) وهو اسم بسيط، يميل إلى الخفة والبعد عن أى تحديد، بل ومن الممكن اعتباره، فى إطار التقسيمات الكلاسيكية، برنامجاً خفيفاً. ولكن الحقيقة أن كل شىء نسبى، وأنه فى إطار الحرية المفتقدة والحرية المنشودة وحديث النفس للنفس، والرغبة فى الفضفضة، أصبحت رؤية الشباب والشابات يتحدثون عن أنفسهم وأرائهم فى الحياة ورغباتهم، متعة فى حد ذاتها.

وأن يتم هذا بلا حرص أو حذر أو قطع للصوت فهو (انفتاح) فى الاتجاه الصحيح. فقد قطع (رأى الجماهير) مشواراً طويلا مع التليفزيون انتهى باختفاء كل البرامج التى يؤخذ فيها رأى الناس مثل (لو كنت المسئول) و(قضية للمناقشة) فى عهده الأول و(صورة) و(الكاميرا تفكر) و(على الطريق)، ولم تبق إلا اراء المسئولين فقط، خصماً وحكماً على آراء المواطنين، وهو مايحدث من خلال (ريبورتاج) و(الرأى العام يسأل).. ومع ملاحظة أن هذه البرامج السابقة تنتمى للبرامج السياسية وبرامج (قضايا الجماهير)، أما آراء الناس فى حياتهم الطبيعية أو استقراء تفكيرهم بصوت عال للوصول إلى قدر من المشاركة الجماعية والتجانس الاجتماعى فقد كان غير مطروح من المسئولين عن وضع السياسات الاعلامية.

* ومن ناحية أخرى، فإن إطلاق حرية المشاهد لازمة لإطلاق طاقات وكفاءات موجودة ومعطلة، إلى أن جاءت هذه الفرصة لنر فريقاً من المعدين والمقدمين للبرامج والمخرجين ينطلق لتقديم برامج مدروسة، مبتكرة، قد لاتكون نموذجية، لكنها مجتهدة تبحث عن الجديد فى الفكر والفورم وتخلق ابداعاً شبيهاً بعمل الورشة أو وحدة الانتاج. وعلى سبيل المثال فقد قدموا حلقة عن (الالوان فى حياتنا)، كان ضيفها مصمم أزياء غير معروف فى أبواب المجتمع والعلاقات العامة، لكنة شخصية مثقفة وراقية فرضت نفسها من خلال أسلوب دقيق فى الرد والاقناع لتضيف إلى المشاهد الكثير حول كيفية اختيار الألوان التى تناسبه وطبيعة الارتباط بين اللون والشخصية وتأثير الالوان فى سلوكياتنا..وقد يكون من الأفيد أن تتعدد شخصيات الضيوف فى الحلقات التى تناقش موضوعاً محدداً، لكن الجهد الكبير فى الاعداد والتقديم والمونتاج وتقديم المعلومة جعلنا نقضى وقتاً ممتعاً مفيداً وجديداً بعد وقت العودة من العمل وامتلاء النفس بمشاكل الحياة وهكذا تحددت اهتمامات البرنامج بين (الموضوع) و(المشاهد) دائماً ليرى الناس نبضاً جديداً يتوقفون امامه وينتظرونه بعد أن كان الوقت من الثالثة إلى الخامسة هو وقت ملغى من اهتمامات المشاهد العادى، أما المشاهد المدمن فهو من رواد الحلقات الاجنبية على القناة الثانية.



سوزان حسن



سهير الاتربى



درية شرف الدين

ومن الانصاف أن نشير إلى تميز مقدمىْ البرنامج جمال الشاعر وأحمد مختار، وهما موجودان منذ زمن فى التليفزيون، ومجمدان فى ثلاجة برامج الشباب القديمة، وإن كان جمال قد أفلت إلى البرامج الثقافية ليقدم برنامج (الاوبرا) الاسبوعى بالاضافة لبرنامج (رمضان) السنوى، وبهذا أصبح له تميزه بعيدا عن برامج الشباب. أما أحمد مختار



عائشة البحراوى

الذى لم يذهب لأى اتجاه برامجى آخر برغم انخراطه الفعلى فى العمل الثقافى (كمخرج وممثل مسرحى) فقد قفز وانطلق وكأنه كسر قيوداً حديدية كبلته سنوات طويلة لنرى امكانياته كمقدم برنامج ذكى، ومحاور بارع ومناور لأستخراج الرأى الحقيقى لضيفه، وإضاءة جوانب الإيجاب والسلب فى آرائه، ودفع المشاهد للخروج من دائرة جاذبية



جمال الشاعر

الكاميرا والخوف منها. كل هذا يفعله أحمد مختار فى هدوء وأدب طبيعى غير مفتعل ليوصل إلينا حالة بناء انسانى متوازن، وحضور يأخذ لياقته من استعمال العقل وجدية السلوك واحترام الضيف والمشاهد معا. ومن المهم دراسة هذه الحالة التى أثرت بالفعل على المشاهدين، حتى لو جزء صغير منهم، فالمذيع ومقدم البرنامج ليس كياناً استفزازياً لأنه نجم اعلامى، وإنما هو كيان عقلى ووجدانى متسق، ولقد نجحت مقدمات برامج كثيرات من قبل فى إثارة اهتمام المشاهد بالشكل الخارجى، سواء فى الملبس أو التسريحة أو الماكياج والآن نسأل أنفسنا كم واحدة منهن ننتظر حوارها وتقديمها فيبدو العدد مثيرا للخجل، وحتى لانظلم احداهن، فإننا نتحدث عمن أتيحت لهن فرص عديدة فى تقديم البرامج، وليس فقرات الربط فقط. ومن هنا تبدو الحقيقة البديهية القديمة مازالت صحيحة، وهى أن «العقل» هو الزينة الاساسية، وأن التليفزيون بأرسائه أو مساعدته فى إرساء هذه القيمة وانهاضها وبفتحه أبواب البرامج ليتنفس المشاهد ويتحرك مقدم البرنامج بلاخشية» من امور كثيرة فهو يدفع نفسه من جديد إلى بؤرة الاهتمام الحقيقى للناس، لأن (امانى واغانى) وبرغم كل ماقلته هو الخطوة الأولى فقط فى مسار جديد للجهاز الاعلامى العملاق.



داود عبد السيد في الكيت كات عاشق السينما والحياة



منذ بداياته الأولى التى دلف بها الى عالم الفن السينمائي، ظل داود عبد السيد مهموما بلاحدود بالسينما والواقع معا، حتى أن أفلامه جميعا تعكس علاقة جدلية عميقة بين الطموح لتحقيق أشكال سينمائية ناضجة. والنفاذ إلى أعماق الوجود الإنسانى داخل السياق الاجتماعى الراهن. وفى رحلته السينمائية القصيرة الطويلة، القصيرة بالقياس على عدد أفلامه، والطويله بالقياس على حجم تأثيرها، استطاع داود عبد السيد أن يشق بنجاح مذهل دربا خاصا من دروب السينما المصرية الجديدة، وأن يشعل شمعة متوهجة تلقى الضوء الكاشف على الواقع الحى، بكل غموضه واضطرابه وثرائه.

وبدءا من أهم أفلامه التسجيلية: «وصية رجل حكيم فى شئون القرية والتعليم» (١٩٧٦)، بدا أن هذا الهم المزدوج، بالفن والواقع معا، سوف يترك بصماته على مسيرته الفنية. فعلى شريط الصورة من فيلمه التسجيلى يتفجر شوق عارم للكشف عن الواقع المصرى المتردى لقرية مصرية، هى فى جوهرها نموذج لآلاف القرى على أرض مصر، بينما تسمع على شريط الصوت تعليقا متناقضا تماما، مقصودا وواعيا من صانع الفيلم، ليفضح الصورة الرسمية الزائفة التى تطنطن بشعارات جوفاء، ليست فى حقيقتها إلا تعبيرا عن نظرة رجعية ظلت- يوما بعد يوم- تكسب أرضا جديدة فى ميدان الاعلام.

لذلك لم يكن غريبا أن ينعكس طموح داود عبد السيد فى تنوع المعالجات الفنية لأفلامه الروائية، حيث يمزج فيلمه الأول «الصعاليك» (١٩٨٥) بين الملحمية والمأساوية، بنفس القدر الذى يقدم فيه شهادة واقعية على حقبة تاريخية تمتد الى عقدين كاملين من الزمن، بينما يدور فيلمه الثانى «البحث عن سيد مرزوق» (لم يعرض جماهيريا حتى الآن) خلال أربع وعشرين ساعة من حياة رجل، فى رحلته لاكتشاف الواقع بعد انسحابه الإرادى من الحياة لمدة عشرين عاما، وهى الفترة ذاتها التى كان «الصعاليك» ينفردون فيها وحدهم بلعب الأدوار الرئيسية على مسرح المجتمع المصرى.

وإذا كان «البحث عن سيد مرزوق» يكاد أن يقف على مشارف السيريالية، فإن تلك السيريالية ذاتها كانت وسيلته لسبر أغوار الواقع، الذى لم يتخل عنه داود عبد السيد أبداً.

أما فيلمه الثالث «الكيت كات» (١٩٩١)، فيمثل ذروة فنية حقيقية لصانعه، ينصهر فيها استيعابه الفائق لرواية «مالك الحزين» لابراهيم أصلان، مع تمثله العميق للعالم الروائى عند تشيكوف ونجيب محفوظ، وعشقه الحميم لموسيقى باخ وسيد مكاوى، وانطلاقته الحرة من فوق أرض الواقعية السينمائية كما مهدها أمامه ڤيسكونتى وصلاح أبو سيف وتوفيق صالح.

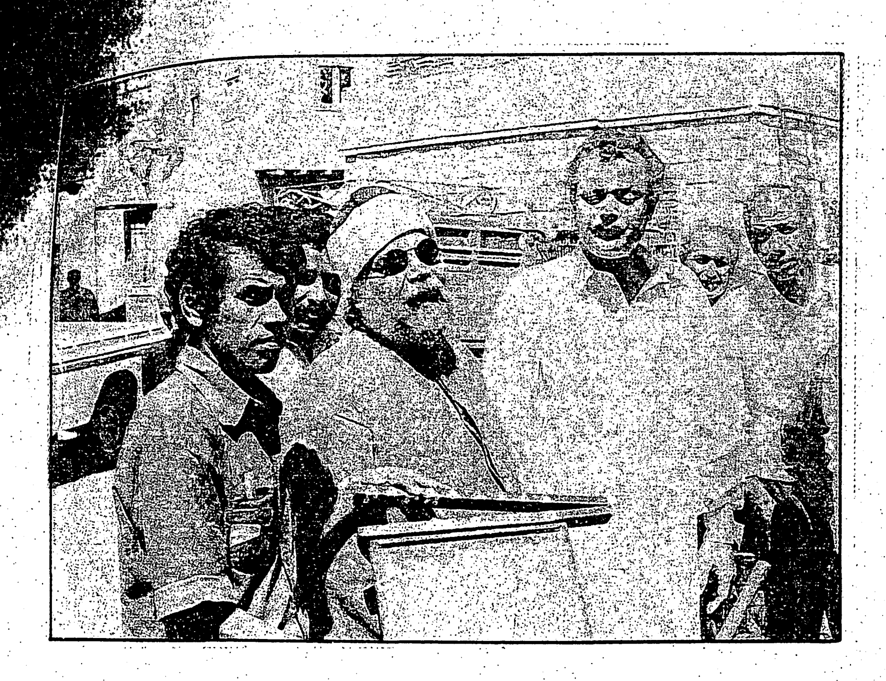
لكن «الكيت كات» فى جوهره ليس أبدا (توليفة) من تلك العناصر، وانما هو عمل فنى متكامل متماسك البناء، شديد العذوبة، لأن وراءه فنانا حقيقيا عاشقا للفن والواقع.

إنه الواقع الحى المتدفق، الذى يتوقف عن الجريان أمامك من خلال الفيلم، وهو يرصد أياما من حياة حى «الكيت كات»، ويكاد يجسد فى شخصيته المحورية الشيخ حسنى (محمود عبد العزيز) شخصية (الفهلوى) كما عرفها التراث الشعبى المصرى، وساهمت فى تحديد معالمها بعض دراسات علم الاجتماع فى مصر، (ولعل من أهمها دراسة الدكتور حامد عمار التى طورها علماء آخرون).

فالشيخ حسنى، الكهل الضرير، يضطر إلى أن يبيع منزله القديم إلى الهرم (نجاح الموجى)، الذى اشتراه بثمن بخس مستغلا حاجة الرجل الضرير إلى الغياب عن همومه، فأصبح عبدا لمرتب المخدرات اليومى.. لكن

الشيخ حسنى، بعد مواجهة مفعمة بالأسى والشجن مع ابنه يوسف (شريف منير) يقرر أن يواجه مستقبله. وهو فى الحالين، الاستسلام والتمرد، يلجأ إلى (الفهلوة)، فتراه أحيانا يصطنع المكر الذى يختفى تحت قناع البراءة، وإن كان يبدو فى أحيان أخرى وكأنه يتسم بالبراءة التى تختفى تحت قناع المكر. ولأن (الفهلوة) فى الأغلب هى حيلة العاجز البائس، يحاول الشيخ حسنى أن يستخدم الأساليب الملتوية، التى تضفى على الفيلم كثيرا من الحيوية والبهجة، وإن لم تخف- كما هو الحال فى الواقع اليومى- المأساة فى قلب الملهاة.

إن ذلك التزاوج بين الدمعة والضحكات فى حياة الشعب المصرى، تتردد أصداؤه فى الفيلم كله، من خلال المواقف الطريفة التى يخوضها الشيخ فى محاولته للتكيف مع عالمه، حين يواجه عجزه عن الإبصار بقدرته الفطرية على قراءة نفوس الآخرين والغوص فيها، حتى أنه يلجأ لخداع العميان من أمثاله، فتراه يصحب الشيخ عبيد (على حسنين) العجوز الذى تنطلى عليه الخدعة بأن الشيخ حسنى ليس إلا رجلا مبصرا يقوده إلى مباهج الحياة: يصف له النساء العابرات، ويصحبه فى نزهات نيلية فى قارب يرسو على شاطئ النهر، ويذهب به الى دار السينما ليحكى له ما (يراه) على الشاشة، وبالطبع فإن الشيخ حسنى يستطرد فى حكايات لا علاقة لها بمايدور أمامه على الشاشة، لكن حكاياته تكون أكثر سحرا وجمالا، حتى أن المشاهدين من حوله ينصتون له باستمتاع



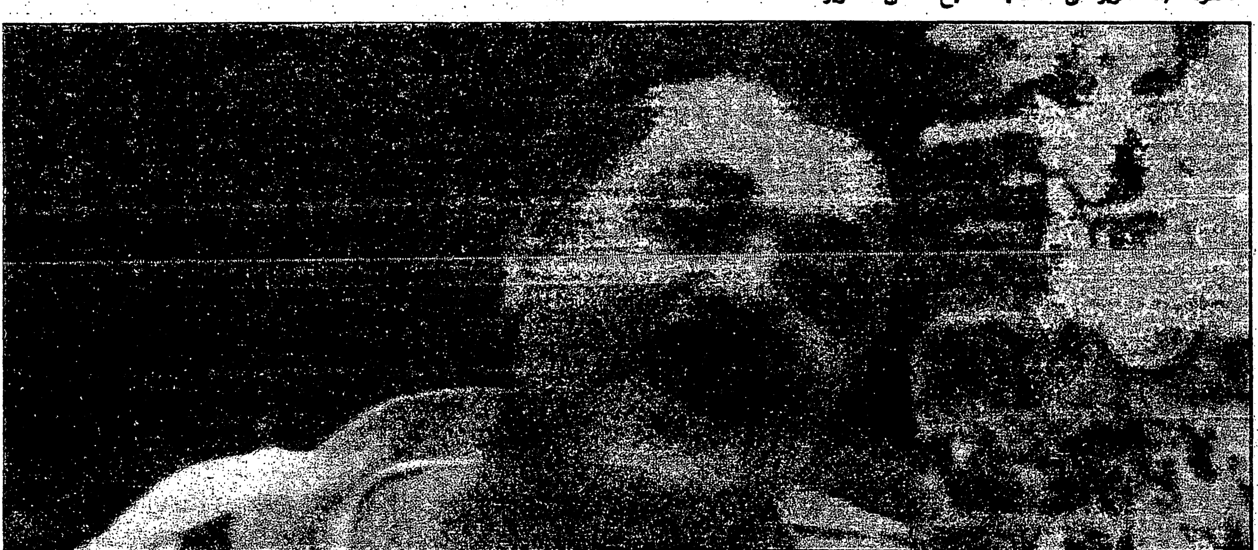
لقطة أثناء بروفات «مالك الحزين»/ «الكيت كات»

شديد، فى إشارة ذكية ساخرة من فيلم «الكيت كات» لتلك السينما الرديئة التى تعرض للجماهير.

كما أن الشيخ حسنى يستغل حاجة الآخرين له حتى يحقق مآربه، فعندما يلجأ إليه سليمان الصائغ (أحمد كمال) لكى يتوسط له ليعيد زوجته الهاربة، يغتنم الشيخ حسنى الفرصة بأن يحقق حلمه بركوب الدراجة البخارية الجديدة التى يملكها سليمان، وطالما تحسسها الرجل الضرير فى شبق. ولأن سليمان لايصدق أن الرجل يستطيع حقا أن يقود الدراجة، يحاول الشيخ حسنى- فى أكثر مشاهد الفيلم طرافة- أن (يكلفته)، ويضع ذيل جلبابه بين أسنانه، ويعتلى الدراجة وهو يردد: (عيب ياراجل!)، لينتهى الأمر: الى كارثة صاخبة، تختلط فيها الضحكات بالدموع.

ربما كان هذا المشهد- رغم البهجة التى يبعثها فى نفوس المشاهدين- هو المرة الوحيدة التى انزلق فيها الفيلم إلى إغراء إثارة الضحكات عند الجمهور، على حين كانت الكوميديا تتفجر فى الفيلم كله من قلب

محمود عبد العزيز فى شخصية الشيخ حسنى الضرير





لقطة من الفيلم

الواقع الحى. ففى المشهد الصاخب لارتطام الشيخ، من فوق الدراجة المسرعة، بكل الأشياء من حوله، تظهر بعض اللقطات وكأنها من وجهة (نظر) الشيخ الأعمى، وهو مايستحيل أن يتطابق واقعيا مع الإدراكات البصرية للرجل الضرير، علاوة على أنها اللقطات الوحيدة التى تخلى فيها الفيلم عن (أسلوبه) ، الذى يتبنى فى لقطاته الكاميرا الموضوعية، وإن لم تكن فى حقيقة الأمر كاميرا باردة محايدة، لكنها كانت تنحاز دائما، من خلال زوايا التصوير، وحركة الكاميرا وحجم اللقطات، الى الشخصيات وأعماقها الانسانية.

ومع كل شخصيات الفيلم الأخرى سوف تشعر بقدرة داود عبد السيد على تحقيق الواقعية الناضجة، التى لا تسعى أبدا إلى أن تصدر أحكاما أخلاقية على العالم، فلا تقع فى مأزق تقسيم البشر الى أخيار وأشرار، بل على العكس، تبدو كل شخصيات الفيلم الأخرى تنويعات على شخصية الفهلوى ذاته، الذى تضطره الحياة الاجتماعية القاسية إلى اقتراف ماتحكم عليه النظم الأخلاقية الصارمة بالإدانة.

فلن تستطيع إلا أن تتعاطف مع شخصيات الفيلم جميعها، أو على الأقل تدرك الظلال الدقيقة التى تحرك دوافعها نحو الخير أو الشر. ففاطمة (عايدة رياض) المرأة التى هجرها زوجها ليسافر الى بلاد مجهولة، تبحث عن العشق فى يوسف، وتلجأ الى أضرحة الأولياء تتشفع لديهم أن يجعلوا الفتى يقع فى هواها، وتعود إلى منزلها الفقير، تحبس نفسها فى دورة المياة، وتبكى. (من الاختلافات ذات الدلالة، بين الفيلم والرواية، أن «مالك الحزين» نظر الى فاطمة على أنها امرأة تتسم بالكثير من السوقية، حتى أنها تكاد أن تحترف البغاء).

وعلى حين يبدو المعلم عطية (عثمان عبد المنعم)، صاحب المقهى، متشددا فى البداية مع الشيخ حسنى وهو يلومه على تفريطه فى المنزل، فإنك سوف تدرك دوافعه عندما يوافق صاغرا على إخلاء مقهاه، بعد أن تلقى طعنة مطواة من أحد صبيان المعلم صبحى تاجر الدواجن الذى يرمى إلى أن يهدم البيت القديم ليقيم مكانه عمارة شاهقة.

إنها النظرة الانسانية ذاتها التى ينظر بها الفيلم إلى عواطف (أمل ابراهيم)، الأرملة الفقيرة التى تسعى لتزويج بناتها وكأنها تتخلص منهن، مثلما تخلصت من ابنتها زوجة سليمان الصائغ الهاربة، وهاهى الأرملة لاتبدى اليوم اهتماما بهرب ابنتها من زوجها. لذلك، سوف يملؤك الأسى والسخرية معا عندما تضرب المرأة موعدا للشيخ حسنى، يعيدان فيه ذكرياتهما المشتركة القديمة. كما سوف يغمرك الإحساس ذاته فى علاقة فتحية (جليلة محمود) زوجة الأسطى حسن المريض، بالهرم تاجر المخدرات، بل إنك سوف تشعر بانسانية الهرم المتدفقة عندما يرفض أن يعمل مرشدا للمباحث ، حتى فى ظل تهديدهم له بتلفيق بعض القضايا.

وهكذا تبدو الشخصيات جميعا وهى تضرب بجذورها فى سياقها الاجتماعى، بكل أبعاده الانسانية الرحبة. لذلك يمكنك أن ترى شخصية سليمان الصائغ بدورها، وهو الرجل

متيسر الحال، بكل أبعادها الواقعية، بل إنها تكاد. تمثل لحن القرار فى تلك التنويعات، بانسحاقه تحت وطأة المذلة والهوان. إنه الرجل الذى يحقق مستوى طيبا من الحياة. لكنه يكتشف فجأة أن امرأته تخونه وتهرب منه مع عشيقها. وفى محاولته لاستعادتها، يستسلم لابتزاز الشيخ حسنى ومقالبه الطريفة، وتقوده قدماه إلى ملتقى شاربى (البيرة)، فى الشارع، ويجد نفسه للمرة الأولى، وهو على حافة فقدان وعيه، يسامر رفاق الصدفة، ويحكى قصته فى خجل، فينسبها الى صديق له، متيسر الحال مثله، اكتشف بعد خمسة عشر عاما من الزواج أنه لم يتبادل مع زوجته حوارا، وأنه لم يكن يشاركها إلا الطعام والفراش. وفى لحظة يلتقى فيها ندمه على الطريقة التى عامل بها زوجته الهاربة. وحلم يقظة محبط عن نهاية أخرى لقصته، يستطرد فى الحديث عن صديقه المزعوم، الذى أحس أن زوجته تبدى تذمرا، فأعطاها (علقة سخنة، مشيت بعدها زى الساعة!) وعلى حين يعلن رفاقه المخمورون عن إعجابهم (راجل جدع صحيح)، يطوى سليمان هزيمته المريرة بين جوانحه، ويمضى مترنحا وهو يكاد أن ينفجر بالبكاء.



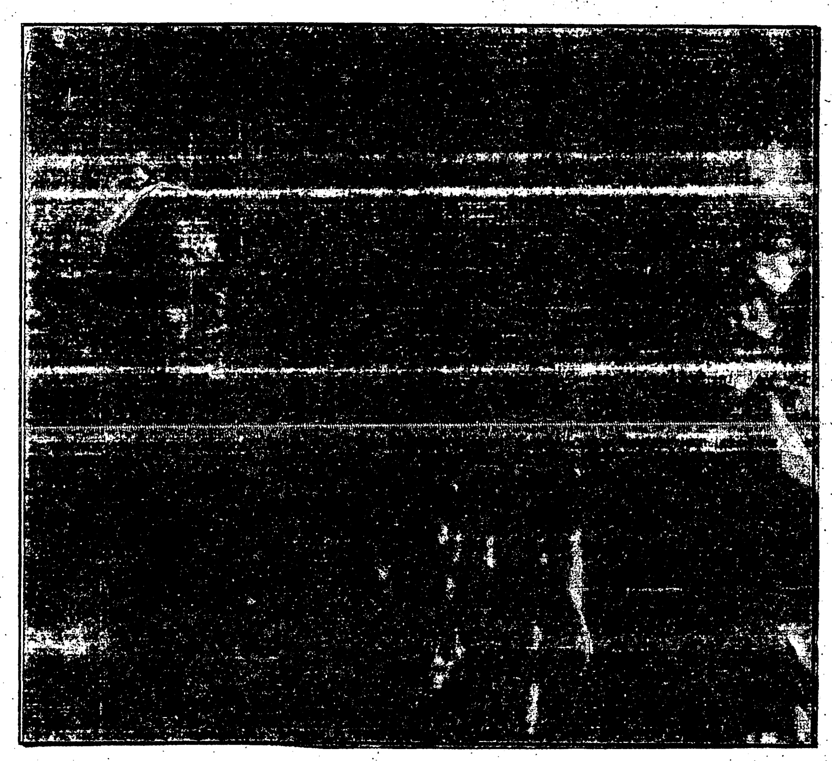
المخرج داود عبد السيد مع محمود عبد العزيز

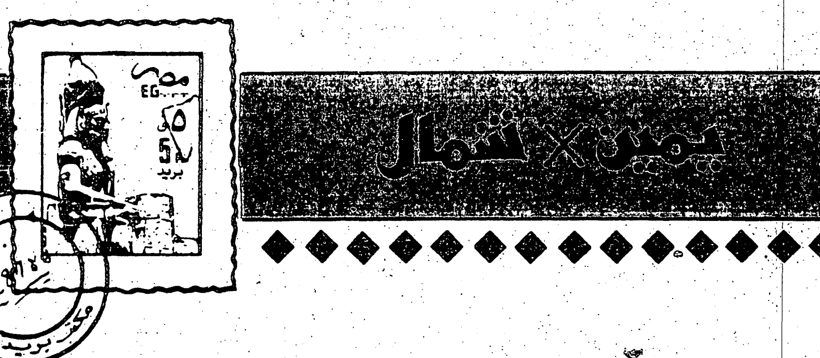
ولن يقع فيلم «الكيت كات» أبدا فى مأزق التقريرية والمباشرة، بل سيظل - كالحياة - ينسج فى نسيجه السينمائى الراقى ذلك المزيج من التفاؤل والتشاؤم، التمرد والاستسلام، ولن يكون للفيلم نهاية تحكى لك مصائر شخصياته، فلا تدرى إن كان الشيخ حسنى سوف يسترد منزله، أو اذا كانت روائح سوف تعود لزوجها، فالفيلم، بأسلوبه الواقعى الناضج، يجعلك تشعر على الدوام أن أحداثه قد بدأت قبل بداية عرض الفيلم، وسوف تمتد بعده.

إن فيلم «الكيت كات» استطاع أن يحقق المعادلة الصعبة التى عجزت السينما المصرية - فى الأغلب الأعم - عن أن تجد لها حلا، باقترابه الحميم من الجماهير، وإحساسه الصادق العميق بهم، دون أن يقدم تلك التنازلات التى عرفتها السينما المصرية وتعودت عليها، وسوف ينعكس الايمان بالجماهير فى المشهد الأخير من الفيلم، حين يحتضن الشيخ حسنى وجه ابنه، ويغنيان معا أنشودة للحياة والحلم: (يمكن نلاقى الغلابة فى أول الصفوف).

ومن المؤكد أن جماهير السينما سوف تحتضن بدورها فيلم «الكيت كات»، لأنه يقف الى جانبهم، ويؤمن بهم وبقدرتهم على صنع المستقبل، حتى فى أحلك لحظات الحاضر. لقد كانت آخر كلمات الشيخ حسنى لابنه يوسف، ولنا، ردا بليغا موجزا على اتهام بعض المثقفين للجماهير بالعجز والسلبية: (أنا أعمى؟!... أنا باشوف أحسن منك فى النور والضلمة كمان!).

محمود عبد العزيز ويسرا فى فيلم «الصعاليك»





مرحبًا بالسم اذا كان من يدك

الأستاذ الدكتور/ رفعت السعيد
تحية طيبة وبعد

طالعت بسعادة غامرة ماكتبته الأخت غادة عكاشة فى باب يمين فى شمال عدد أغسطس الماضى من اليسار. وسعدت أكثر بردك السريع على شكوك الأخت ومخاوفها وخصوصا وهى تحاول الدخول الى عالم ثعلب خطير مثلك فأنا أوافقها الى آخر مدى، أنك فعلا من النوع الخطر لكنى.. فى نفس الوقت- أختلف معها فى نوع أو طبيعة خطورتك.. فلقد عرفناك مؤرخا عظيما وسياسيا «داهية» ومن أخطر من أنجبتهم مصر طوال تاريخها الطويل.

واسمح لى أستاذى الفاضل أن ألتمس العذر كل العذر للأخت الفاضلة غادة فهى قبل كل شئ «معذورة» شأنها شأن كثيرين من أبناء جيلنا.. ذلك الجيل الذى عصفت به كل الأشياء واكسبته كمية الصدمات و«البطحات» التى تعرض لها شكوكا ومخاوف- هى أقرب ماتكون للفوبيا- من كل شئ.. فنحن ياسيدى جيل بلا اساتذة وجيل بلا قدوة ولاهدف جيل ضائع وخائف من كل شئ حتى من نفسه فلقد قتلوا كل شئ جميل فينا، براءتنا وأحلامنا وذكرياتنا.. سرقوا عقولنا.. وعلمونا أن نفكر «بالريموت كنترول» وأن نتحاور بالقنابل المسيلة للدموع والرصاص المطاطى فكيف لنا أن نعقل الاشياء.. لاتطلب ياسيدى منا الكثير..

أما بخصوص ماتقوله الأخت غادة عن كتاباتك عندما صورتها بالسم المنقوع فى العسل فأنا أقول أهلا بالسم اذا كان من صنع يديك واليك عنوانى ولاتخش شيئاً ياسيدى فالمعدة التى تهضم ثلاث وجبات من الفول المدمس يوميا لايمكن أن يؤثر فيها أى نوع من أنواع السموم حتى لو كان «ميدإن أميركا» أما اذا كان كلامك مجرد كلام جرايد أو من النوع الموجه فقط للجنس اللطيف- وإن كنت أشك فى ذلك- فأنا أحملك ياسيدى المسئولية كاملة فسوف أسرق معظم كتبك الموجوده فى المكتبات ولدى الباعة وأعدك أنك ستكون أول من يجرى الى قسم الشرطه لدفع الكفالة وإخراجى..

أحمد أبو المعاطى
الاسماعيلية


د. رفعت السعيد

الانضمام للحزب

أهنئكم على صدور مجلتكم الوطنية الشعبية «اليسار»، والتى جاءت كبصيص من النور فى ليلة حالكة الظلمة لتكون لسانا فصيحا ويدا قادرة لأغلبية الشعب المصرى المقهور.

وعلى قدر فرحتى بصدور المجله والموضوعات الجيدة الذكية إلا أننى لى بعض ملاحظات أرجو أن يتسع صدركم لها وهى:

(١) ارتفاع سعر المجلة وهو «واحد» جنيه وأنا أعرف أن جنيها لايعتبر سعرا مرتفعا فى وقت تباع المجلات الفنية إياها بجنيهات والرياضية كذلك، ولكن ارتفاع سعرها يأتى من ناحية القراء الموجهة اليهم أليست هى «راية المستضعفين فى الارض» فكيف يشتريها المستضعفون بهذا الثمن ومن الممكن حل المشكلة بتخفيض عدد أوراقها قليلا والتنازل بعض الشئ عن شكلها الإخراجى الرائع ليكون سعرها مناسبا للمستضعفين فى الارض.

(٢) قلة انتشار المجلة فالمجلة لا أجدها الا فى القاهرة وطبعا لا أجدها فى قريتى أو المركز التابع أو حتى المحافظة «القليوبية» فلا أعرف سر عدم توزيعها فى المراكز والقرى بجميع انحاء الجمهورية فهذه هى أماكنها الطبيعية حتى يستنير بها جميع أفراد الشعب

(٣) عدم وجود صفحات داخل المجلة تلتقى بافراد الشعب وتحاوره عن مشاكله ورأيه فيها فلابد من وجود صلة ترابط بين افراد الشعب وهذه المجلة العظيمة.

انتهت ملاحظاتى واتمنى أن تأخذوها فى الاعتبار وفقكم الله لخدمة مصر والشعب العربى كله.

وفى نهاية خطابى أريد أن أعرف من سيادتكم كيف يمكن لى أن ارتبط بحزب التجمع الوطنى رجاء إرسال العنوان لى الذى يمكننى الذهاب به الى مقر الحزب للانضمام إليه.

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته

حمدى عليوة محمد
طالب بكلية التجارة- جامعة عين شمس

ملحوظة
يمكنك التوجه الى مقر الحزب

للبيع..!؟

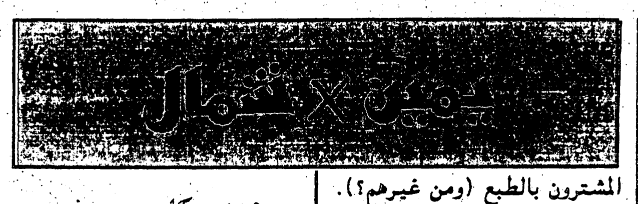
دائما مايتردد على السنة كبار صحفيى الصحف القومية- لاسيما ابراهيم سعدة- خصوصا عندما يسود التوتر العلاقات بين منظمة التحرير والقاهرة أن الفلسطينيين باعوا أرضهم لليهود ولايفوت احدهم أى فرصة لمعايرتهم وتبخير ماء وجوههم.

والمقارنة أو محاولة إيجاد وجه شبه بين بيع الفلسطينيين لأراضيهم وقانون قطاع الاعمال لاتجوز أساسا فمع أن الموقف الاول تم بواسطة السذج والقصر فكريا وثقافيا- اذا كان قد تم اصلا- نجد ان بيع القطاع العام يتم من خلال الحكومة نفسها ولك أن تتخيل ذلك!!؟ ومع علم واحاطة كاملين بابعاد الموقف، أوقل المؤامرة، وبرغم وجود الديون التى تبيح التدخل فى شئوننا الاقتصادية فى أى وقت شاء الدائنون الذين هم فى نفس الوقت المشترون بالطبع (ومن غيرهم؟). الا اننى اردت لفت الانتباه الى أن أحداً من هؤلاء الكتاب لم يتجه بكلمة اعتراض واحدة ضد هذا القانون وكأنه صادر بشأن القطاع العام لدولة جنوب افريقيا.

ولا استهدف من رسالتى تنبيه الحكومة فهى فى غير حاجة لذلك لانها احد اطراف التواطؤ) وانما ارجو العمل على احداث صدى واسع قوى يوضح هذا القانون العبثى ومدى خطورة تطبيقة للعامة من الشعب واستثارة الحس الوطنى بتكثيف المقالات فى هذا الموضوع قبل أن يقع المحذور فتجد من يعيرنا من حيث نستحق أن نعير

وشكرا

محمد ابراهيم
مصطفى الفيوم



درس كامب ديفيد

أى سلام نريده.. وهل حقيقة سوف يتحقق السلام فى الشرق الأوسط.. فالصورة غير واضحة.. كان هناك شبه اجماع عربى يرفض كامب ديفيد.. وجاءت حرب الخليج.. ودحر العراق بمساعدة العرب بكل أسف عسكريا واقتصاديا.. وكان الاكثر تطورا فى ترسانة العمل العسكرى العربى..

ولكن شرب قادة العرب الطعم الامريكى.. من ماركة الكوكاكولا فى تسوية الصراع العربى الاسرائيلى.. فهل تراجعت اسرائيل عن أحلامها.. ام سوف تفرض علينا حدوداً جديدة بعد الهجرة اليهودية السوفيتية والفلاشا ويهود الهند.. والهجرة السوفيتية مهد لها ريجان فى قمة ١٩٨٦ بآيسلنده مع جورباتشوف .. وتحققت.. ولم نر تحركا عربيا لمواجهة ماحدث.. ولم تستعد السياسات العربية للتصدى لها أو احتوائها او تخفيف مضاعفاتها فماذا حدث؟.. نزوح يهود لارض العرب .. نزوح يتصاعد.. يتحرك.

يقوى ..يستقر.. ثم يتسلح ويعتدى بالسلاح الامريكى.. وبهذا تفرض بالقوة قيام دولة يهودية.. ومن غير سند تاريخى.ياقادة عالمنا العربى ارتباط امريكا باسرائيل ارتباط ابدى. وهم لايتراجعون عن اهدافهم وقد باعوا الاوهام لكم فى أزمة الخليج.. وفقدنا كل شئ.. حتى الكويت المحررة أصبحت تقدس «بوش»..

والسيناريو مع باعة الاوهام واحد كارتر.. والممثل ريجان وبوش ونظامه الجديد.. والنظام الجديد هو امريكا..

فهل من المعقول أن نترك الفلسطينيين... يقاومون..لاتجف لهم دماء وهم يعانون الامرين ونرى صحافة واعلاما عربيا يخادع..لايملك ان يقول الحقيقة..

..قولوا لنا هل حق القرار ان ٢٤٢ و٣٣٨ شيئا للعرب .. وشتان بين هذين القرارين والقرارات التى اتخذت ضد العراق.. وانهار الدم والدمار لما حدث بالعراق.. لايراه القس بوش ونظامه.. فهو صامت.. ولايسمع ولايرى.. انظروا مثلا الى مايسمى تدمير اسلحة الدمار الشامل فى العراق ويسعون لضرب العراق مرة اخرى.. إما إسرائيل فهى الحمل الوديع حتى الجماهيرية الليبية لم تسلم من نظام الممثل ريجان والقس بوش.

وسيناريو الاحداث.. واضح الدور والهدف.. فيبدون حريصين على صالح وحاضر ومستقبل تلك الأمة.. بصورة تفرضها طبيعة مشاكلنا.. وكيف نعيد للحق العربى حقه بعد غزوهم لبلاد العرب والمسلمين وبكل الوان الغزو... وقد اسقطوا من قبل



يمين × شمال

الدولة والخلافة.. وغرسوا الكيان الصهيوني في قلب الأمة العربية..

هل لانعي درس كامب ديفيد.. والصهيونية تسعى لبناء الهيكل وهدم المسجد الاقصى قبل عام ٢٠٠٠.

فكيف نقيم لهم سفارة.. وهناك صلف شامير.. فهل عجزنا على مواجهة اليهود ؟!. واسرائيل ترسم بدقة مستقبلها على حساب العرب.. بل تحسب كل صغيرة وكبيرة.. وهي تبحث عن المياه سواء من النيل او الفرات ليصبا في بطن يهود اسرائيل.. بل يهود الارض..

والعقل الصهيوني يدبر ويخطط.. وعقولنا ساكنة... جامدة.. فمن يحدد اتجاهات العرب.. هل نحن أم القس بوش ونظامه الجديد..

يحيى السيد النجار
دمياط

الكرامة.. أولا

ابعث لك برسالتي هذه وهي لاتتعلق بسياسة خارجية فقط ولاسياسة دولة ولكنها تتعلق في المقام الاول بكرامة الشعب المصري واتخاذها كتجارة في الجرائد الحكومية..

فمثلا اذا حدثت مشاده بسيطة بين اثنين في الشارع أحدهما مصري والاخر يحمل جنسية احدى الدول العربية الاخرى وكان هذا العربي «خليجياً» و«مخموراً» نشرت جرائد الحزب الوطني القومية- المتعدده الجنسيات- الخبر في فقرة بسيطة في عمود جانبي داخلي بأن سائحاً «عربياً» اعتدى على مواطن مصري (انتهى)

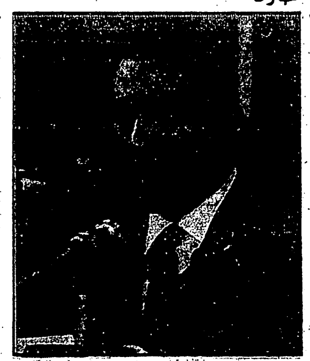
وأما..

(والويل كل الويل بعد «أما» هذه) اذا كان هذا المواطن عراقي او اردنيا او يمنيا اوفلسطينيا اوسوداني نشر الخبر في صدر الصفحة الاولى تحت عنوان الارهاب العراقي أو اليمني أو.. ونشرت صور مفصلة عن الحادث وزد فعل الشارع المصري ويمتلىء العمود الاسبوعي لرئيس مجلس الادارة بصور للبكاش الهباش وبأنه ارسل فرق لزعزعه استقرار الشارع المصري الذي سيظل آمنا رغما عنه بفضل السياسة الحكيمه والانحياز للحق ومبادئ الرئيس «بوش» .. واذا كان الحظ العاثر قد جعل هذا المواطن يعمل منذ عدة سنين كعامل نظافه في سفارة احدى الدول السابق ذكرها فانه احد اعضاء البعثه الدبلوماسية ونطالب وزير الخارجية بطرد هذا البلاء

القذافى



مبارك



وعشرة مثله من على ارض مصر الحبيبة

ياساده...

كفاكم متاجرة بكل شئ حتى كرامتنا. فهذا مالا نقبلة فكرامتنا لا يحميها سوانا

عبد الله ابو زيد ابو القمصان
الشرقية- الحسينية- سعود

... ليبيا التي رأيت...

قرار السيد الرئيس، بالخطوة الوحدوية التاريخية، تجاه الشقيقة ليبيا، هو ولاشك قرار معبر عن آمال الجماهير وأحلامها وأمانيها.. ولاريب في أن تلك الجماهير طالما تاقت إلى إزالة الحدود والبوابات، تطلعا الى الحرية والتكامل والإلتقاء مع الاشقاء في شتى ربوع الأمة العربية الواحدة من المحيط الى الخليج..

* بيد أن ماأود أن أطرحه الآن.. هو أولا وقبل أي شئ أن نكون من الصدق مع أنفسنا بالدرجة التي تسمح لنا باستبيان الحقائق، وتفهم الجدوى والفحوى.. كي نستطيع أن نتوقع الأثر من جراء تلك الفرحة العارمة التي غمرت العديد من المتعطشين الى حياة أفضل!!

إن الأثر المباشر الملموس لهذه الخطوة هو إندفاع العديد من الشباب وغير الشباب إلى عبور البوابات السابقة، أملا في الحصول على وضع مادى أفضل بعد طول معاناة وقنوط أصابهم في الداخل.. وهم في ذلك محقون بقدر ليس بقليل.. لكنهم بالقطع يغفلون ماهو في انتظارهم من أهوال وأهوال! وهذا بالتأكيد ليس من قبيل التشاؤم أو القنوط، بل هو الواقع وللأسف الشديد.. فالشعب الشقيق في الجماهيرية الليبية العظمى- مع عظيم احترامي وجليل تقديري- لايرغب في التعايش مع أي شخص آخر من أي جنسية أخرى حتى وإن كان من الشقيقة الكبرى التي طالما بات يحلم بالوحدة معها! وإنه لمن دواعي الأسف أن أقرر- وذلك نتيجة للواقع المرير الذي يتبين بجلاء لكل من وطأت قدمه أرض الجماهيرية العظمى- أقرر أن التصور العام لدى جميع أفراد الشعب الليبي، أن المصري الذي أتى الى بلادهم جاء للحصول على ثرواتهم ومشاركتهم قوت يومهم، فقد ضاقوا به الى حد ليس بقليل، ودليلهم على ذلك الارتفاع الهائل في الأسعار والذي ماشهدته بلادهم من قبل نتيجة لهذا التدفق الغزير من أبناء الشقيقة الكبرى..

إنني أربا بإخوتي وأشقائي أبناء مصر الخالدة، أربأ بهم أن يصير حالهم، حال أخوتهم هناك.. ومن لا يصدق عليه بالتجربة فهي خير دليل وأجل شاهد.. فهناك في بنغازي وتحديدا في شارع جمال عبد الناصر- وهو شارع رئيس هناك- المصريون بعدد لايحصى ولايعد، يملأون الأرصفة والميادين، بلاعمل ولامأوى، في انتظار الفرج.. وهذا الفرج المنتظر ماهو إلا فرد ليبي يأتي إليهم لابشئ سوى انه يريد فرداً أو اثنين على الأكثر لعمل لايستغرق سوى ساعات، مثل نقل بضائع أو تحميل سيارة أو ماشابه ذلك. وأخيرا.. أرجو كل مصري يريد الذهاب الى هناك.. أن يتريث وأن يعيد التفكير وأن يبحث عن أحوال من سبقوه، وأن يتأكد أن حاله مهما كان بالسوء هنا، فهو أفضل بكثير من أن يلقى بنفسه الى.. ليبيا العظمى..

أسامة البارودى





محمود العسكري
نقابي ابن نقابي
مفصول ابن مفصول

د. رفعت السعيد

الإسم: محمود محمد العسكري
تاريخ الميلاد: ٣٠-٧-١٩١٦
المهنة: عامل.. مفصول دائما.
تاريخ الوفاة: ١٩-٣-١٩٨٧

.. حاول محمود العسكري أن يسجل تاريخ حياته الأولى في رواية أسماها إسما غريبا «لماذا أنا مجنون؟» بدأ في كتابتها عام ١٩٤٤، ثم لم يمنحه زحام الحياة، ولم يمنحنا متعة استكمالها..

يتحدث العسكري عن نشأته.. «خيري» (الاسم الذي أطلقه على نفسه في الرواية) ولد لأبوين فقيرين نزحا من الريف المصري الى القاهرة. وكان والده يشتغل في ورش سكك حديد الحكومة المصرية.. رفت أبوه من العمل.. لاشتراكه في الثورة لتحرير بلاده من العبودية والاستعمار».

وظل الأب مفصولا.. حتى مات.

وكعادة أهل زمانه يدخل الفتى محمود الى الكتاب، لكنه لايلبث أن يتمرد على تقاليده، «فالألفة» وهو أحد تلاميذ الكتاب ينوب عن شيخ الكتاب في ضرب التلاميذ.. ويرفض محمود أن يهان، ويجتمع مع عصبة من التلاميذ ليضربوا «الألفة» علقة ساخنة.. وينتهي عهده بالكتاب.

ويدخل المدرسة الابتدائية... وكان حلم أبيه أن يصبح محمود ضابطا، شأن كل البسطاء.. كان يحلم بإبن يقفز السلم الاجتماعي من أسفله الى منتصفه وربما الى أعلى، والسبيل الأقرب أن يصبح الإبن ضابطا..

لكن الفتى الذي يكمل الدراسة الابتدائية يكتشف أن الاسره تحتاج لقمة الخبز التي يتعين عليه أن ينتزعها بيديه..

.. وتفرض على الفتى معركة ساخنة بين الحلم الذي يفرض نفسه على الأب، وبين الفقر الذي يفرض نفسه على الاسرة كلها.. ويحاول جاهداً أن يجمع بين الاثنين.. يعمل في ورشة للخراطة نهارا ويدرس بالقسم الليلي في مدرسة ثانوية... وإذ تستقر الاسرة قليلا يتجدد الحلم ليفرض نفسه فيخلع محمود العسكري ملابس الورشة ليعود إلى المدرسة..

لكن الفتى لايعود كما كان.. كانت حياة العمال وشقاؤهم تفرض نفسها عليه وعلى أحاديثه مع طلاب المدرسة الثانوية.

.. ويبقى الفتى المتمرد كماهو، وإن كان احتكاكه بالآلة وتعرضه للاستغلال قد زاده تمردا. وكما اصطدم بالألفه في الكتاب، اصطدم بأحد المدرسين في المدرسة لأنه حاول أن يفرض على الطلاب الفقراء شراء كتاب خارجي غالي الثمن..

وكما ترك الكتاب.. ترك المدرسة الثانوية، وتبدد حلم أبيه، فالفتى لن يصبح ضابطا، بل هاهو وبعد جولة طويلة يعود كما كان أبوه.. عاملا.

وفي شركة النسيج والحياكة المصرية كانت علاقته الاولى بالمصنع الكبير.. ففي البداية كانت ورشة خراطة صغيرة ثم مطبعة.. هو الآن في مصنع.. آلات وعمال ورأسمال واستغلال واضح..

والفتى المتمرد دوما لايمكن أن يهدأ.. وكان الإضراب، وكان هو على رأسه.

وإلى الحركه النقابية اتجهت أبصاره وتعلق بالنضال النقابي كأمل لخلاص العمال من الفقر والقهر والاستغلال..

- واصبح عضو مجلس إدارة لنقابة نسيج الحرير والنسيج اليدوي (١٩٣٧)
- واسهم في تأسيس الاتحاد العام لنقابات المملكة المصرية (١٩٣٧)
- وانتخب عضوا بمجلس إدارة النقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكي وملحقاته بالقاهرة (١٩٣٨)
- وفي ١٢ يونيو ١٩٣٩ فوجئ سكان القاهرة بمجموعة من العمال تفترش مساحة من ميدان العتبة الخضراء معلنين إضرابا مفتوحا عن الطعام احتجاجا على تأخير صدور التشريعات العمالية وفي مقدمتها قانون الاعتراف بالنقابات.. ومن بين هؤلاء المضربين كان محمود العسكري.

.. هنا التقط الأمن اسم محمود العسكري واعتبره واحدا من النقابيين الخطرين..

وفي عام ١٩٤٣ اعتقل محمود العسكري.. اعتقلته حكومة الوفد بسبب إضراب أعلنه عمال النسيج احتجاجا على

تعيين فؤاد سراج الدين وزيرا للشئون الاجتماعية بدلاً من عبد الحميد عبد الحق، وتجرى الانتخابات النقابية وهو فى المعتقل ويتحدى العمال الجميع... وينتخبون العسكرى سكرتيرا عاما للنقابة (زنزانات العسكرى- حياة محمود العسكرى: مناضلا ، نقابيا، سياسيا، اشتراكيا مخطوط)

ويفرج عنه ليخوض بحر النضال من جديد..

- ١٩٤٤: أسهم فى تأسيس مؤتمر نقابات عمال الشركات والمؤسسات الأهلية.

- ١٩٤٥: عضو اللجنة التحضيرية لمؤتمر نقابات عمال مصر

وفى ذات العام ١٩٤٥ تصدر الحكومة قرارا بحل نقابته «النقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكى وملحقاته بالقاهرة وضواحيها» وأيضا فى ذات العام يصدر قرار من اتحاد الصناعات المصرى بوضع إسم محمود العسكرى فى قائمة سوداء بحيث لايجوز لأى صاحب عمل أن يقبله عاملا عنده..

وهكذا فصل محمود العسكرى كما فصل أبوه فصلا أبديا.. وظل مفصولا حتى آخر أيام حياته.. لكن العمال لم يتخلوا عن واحد من قادتهم البارزين فقرروا منحه «تفرغا نقابيا».. وربما كان العسكرى أول من حصل على هذا اللقب «متفرغ نقابى».

***

وفى ذلك الحين كان شاب آخر... محام اسمه يوسف درويش يقتحم أبواب الحى الذى يعيش فيه محمود العسكرى.

وفى بولاق يلتقى يوسف بمجموعة من الشبان المتحمسين للخدمة العامة، وقرروا افتتاح مدرسة لمحو الأمية... ويشاركهم المحامى الشيوعى نشاطهم وسرعان مايتحول منزله (٧ سكة جلال الملك أمام حوش فايد- بولاق) الى مقر لجمعية أسميت «جماعة الشباب للثقافة الشعبية» معلنة أن هدفها هو محو الامية فى صفوف العمال والفلاحين وتفتح الجماعة فرعاً لها فى السبتية بشارع ورشة القطن لمحو أمية العمال وفرعاً آخر فى ميت عقبة للنشاط بين الفلاحين» (د. رفعت السعيد تاريخ الحركة الشيوعية المصرية- المجلد الثالث- محضر نقاش مع يوسف درويش)

.. ولم يكن بالإمكان أن تفلت جمعية كهذه تستهدف محو الأميه بين العمال من مجال إهتمام محمود العسكرى.. الذى ينشط لدى سماع كلمة عمال...

والتقى الرجلان.. النقابى المجرب

أرشيف اليسار

والشيوعى المتحمس، وأصبح النقابى شيوعيا ليبدأ صفحة نضال طويل وليتخذ عمله النقابى بعدا جديدا، وعمقا ووعيا طبقيا لم يكن يحلم به من قبل..

وبهذا البعد الجديد والوعى الجديد انطلق محمود العسكرى ليصبح واحدا من قادة الحركة العمالية، وليرتبط اسمه بحركة عمال شبرا الخيمة ارتباطا لايمكن لمنصف ان يتجاهله...

ويسهم محمود العسكرى فى إصدار مجلة «الضمير» وفى تكوين «لجنة العمال للتحرير القومى- الهيئة السياسية للطبقة العاملة»

.... «ايها المواطنون: ان لجنة العمال للتحرير القومى رأت ان من واجب الطبقة العامله وهى فى طريق اكتمال مميزاتها أن تقدم لكم برنامجا وطنيا يهدف الى تحرير الطبقات الشعبية وهى الغالبية الكبرى من سكان مصر.. من نير الاستعمار ومن طغيان الاستغلال الداخلى.

لذلك وضعت اللجنة نصب أعينها ان تحصل بسعيها الى تحقيق برنامجها.. الى تحرير مصر من الاستعمار والى تحرير الطبقات الشعبية من قبضة الفئات المستغلة الطاغية، وهى أقلية ضئيلة من سكان مصر.

وهذا البرنامج برنامج شعبى يتجه الى الشعب المصرى ويهدف الى تحقيق مصلحته، وهو برنامج شعبى لأنه لايمكن تحقيقه بمناورات الساسة الرسميين أو من وراء الستار، برنامج سيحققه الشعب المصرى نفسه وعلى رأسه الطبقة العاملة مؤيدا من الشعوب الاخرى»

(د. رفعت السعيد- المرجع السابق)

هكذا اكد البرنامج الذى أصدرته لجنة العمال للتحرير القومى والتى تصدى لقيادتها الثالوث الذى لم يفترق عن بعضه «محمود العسكرى» - يوسف المدرك- طه سعد عثمان».

- واذا كان النشاط النقابى قد منح العسكرى وسام «المفصول ابدا» فقد منحه النضال الشيوعى وسام «المسجون دوما»

- فى يناير ١٩٤٦ قبض عليه فى قضية إغلاق مجلة الضمير واتهم بالعمل على قلب نظام الحكم..

- وفى يوليو ١٩٤٦ أيضا قبض عليه فى قضية «عقد اجتماع غير مشروع» بسبب دعوته مؤتمر نقابات عمال مصر للاجتماع لتقرير الدعوة لإضراب عام ضد الوجود الانجليزى فى البلاد واحتجاجا على عدم استجابة الحكومة للمطالب العمالية.

- وفى عام ١٩٤٨ اعتقل فى أعقاب اعلان الأحكام العرفية وظل معتقلا حتى ١٩٥٠.

- ثم عاد الى المعتقل بعد ثورة يوليو ليفرج عنه عام ١٩٥٦ ليعود مرة أخرى الى السجن فى يناير ١٩٥٩ ليبقى حتى ابريل ١٩٦٤.

.. لكن محمود العسكرى ظل طوال فترات السجن، والتى شهدت فى زمن الناصرية تجاوزات لحقوق الانسان وتعذيبا وحشيا للسجناء الشيوعيين.. ظل متمسكا ببساطة المناضل البروليتارى القادر ليس فقط على احتمال طغيان ولا انسانية الخصوم الطبقيين، وإنما أيضا السخرية منهم بيقين من يثق فى الغد، وبأنه يمتلك هذا الغد..

***

وكان التنظيم الشيوعى الذى انضم اليه محمود العسكرى ، تنظيما من نوع خاص..

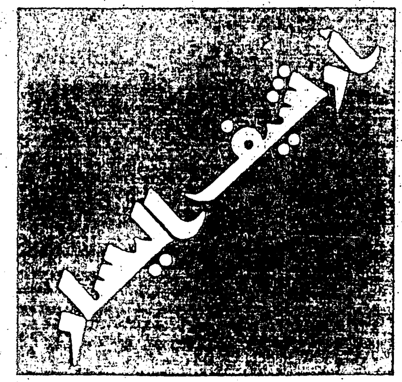
فقد قرر فى البداية السعى لتحقيق وجود علنى دون بناء تنظيم شيوعى.

يقول صادق سعد أحد مؤسسى هذا التنظيم «لقد كان أمامنا هدف مزدوج: فهم مصر على أساس رسم ما أسميناه السياسة الشيوعية المصرية.. وإيجاد علاقات جماهيرية بالحركة الشعبية الوطنية والديمقراطية المصرية... وعلى هذا الاساس فقد منعنا أنفسنا عن وعى من إعلان تأسيس تنظيم شيوعى، وكنا نعتقد أن تأسيس حزب شيوعى فى هذا الوقت كان سيشغلنا فى مهام تنظيمية تمنعنا بدورها من أن نحقق الهدفين السابقين»

(د. رفعت السعيد- هكذا تكلم الشيوعيون- محضر نقاش مع صادق سعد- ص ٢٥٣)

.. ويأتى ١١ يوليو ١٩٤٦ ليوجه اسماعيل صدقى ضربة قاصمة لكل منافذ العمل العلنى فيحل الجمعيات الصحف ويعتقل المئات من المناضلين الشيوعيين والتقدميين والنقابيين..

الآن تكتشف المجموعة ان «العلنية» هى أمر غير مضمون البقاء» وان النشاط العلنى والجماهيرى وحده يمكن تصفيته بضربة



بوليسية واحدة.. فى ظل نظام رأسمالى غادر وغير مأمون.

ولهذا قررت المجموعة بعد خروجها من السجن تأسيس منظمة شيوعية..

نعود الى محاورة صادق سعد..«بعد خروجنا من السجن اتفقنا نحن الأربعة (صادق سعد- يوسف درويش- ريمون دويك- محمود العسكرى) على ضرورة تأسيس تنظيم شيوعى، واتفقنا أولا على إعداد الوثائق الأساسية للتنظيم وعملنا لائحة وخطاً سياسياً وخطاً تنظيمياً وخطاً جماهيرياً وخطاً نقابياً واتفقنا على الاتصال بعدد من الأصدقاء الذين كانوا على علاقة وثيقة بالفجر الجديد والضمير وجمعناهم مع عدد من الرفاق الآخرين... وشكلنا عدداً من المجموعات، قامت كل مجموعة بانتخاب مسئولها بناء على تزكية منا.. وهؤلاء المسئولون اجتمعوا فى شكل مؤتمر تأسيس فى أحد مقاهى شارع الهرم.. وكان عدد اعضاء هذا المؤتمر سبعة او ثمانية أذكر منهم انا، ريمون دويك- يوسف درويش- احمد رشدى صالح- محمود العسكرى وربما يوسف المدرك ولا أذكر الباقى، وتم اقرار الوثائق وانتخاب لجنة مركزية من ثلاثة: صادق سعد- يوسف درويش- محمود العسكرى وأسمينا المنظمة الطليعة الشعبية للتحرر، «ط.ش.ت». وقررنا ألا نعلن اسم المنظمة ولا أيا من أسرارها واتخذنا شعار ..مالاينفع يضر» (المرجع السابق)

****

وهكذا أصبح القائد النقابى، قائدا شيوعيا.

لكنه تميز عن كثير من النقابيين الذين تحولوا الى قادة شيوعيين، بأن ظل لصيقا بمهد نضاله الأول: عمال النسيج فى شبرا الخيمة. وظلت شبرا الخيمة دائما فى مخيلته وظل هو دوما فى مخيلتها..

ولأول مرة... يلتقى الشيوعيون المصريون وبأعداد كبيرة فى السجون والمعتقلات عام ١٩٤٨.. وداخل أسوار المعتقل والزنازين أصبحت كل الأسرار مباحة، وسادت الثرثرة المتبادلة.. إلا أعضاء ط.ش.ت الذين كانوا فى الاغلب لايعرفون اسم منظمتهم، بل احيانا لايعرفون اصلا انهم اعضاء فى منظمة شيوعية.

وأحاول ان أتذكر أما كيف عرفته أنا.. كنت طفلا.. لم أزل فى الخامسة عشرة عندما ساقونى الى معتقل هايكستب والتقيت نماذج عديدة من الشيوعيين البعض قادر على الإلهام.. والبعض الآخر افتقد تماما هذه المقدرة.. وتميزت امامى مجموعة من العمال الفقراء.. وكأنهم آتون عبر هامش الحياة... لم أزل اذكر الاسماء... فقد كان أغلب المعتقلين يلبسون ملابس معقولة والبعض يزهو بالشورت الانيق فى الجو الحار والخانق بينما عبد الغفار الزعفرانى وعبد الفتاح الباجورى وزعيمهم محمود العسكرى يكتفون بلباس من الدمور كأنهم يتحدون به الشورت ويتميز عليهم محمود العسكرى بكرش لابأس به لعله تنامى فى ظل رخاء المعتقل.. وبعمامة من قطعة من الدمور ايضا..

وكانت متعه المعتقلين هى استدراج العسكرى الى نقاش سياسى ومان يفتح فمه ويقول: اننا نرى... حتى تتفجر اسئلتهم من انتم؟ ويجيب بهدوء «نحن»

.. وأسموه وأسموا جماعته «نحن»

كانوا يزهون بالأفراط فى الحديث عن انفسهم، وكان يزهو بالتشدد المبالغ فيه فى عدم الإشارة ولو بأقل قدر الى منظمته. ولأمد طويل لم يستطع احد ان ينتزع من هذا النقابى المفترض فيه- بسبب نقابيته- أنه قابل للتحدث فى كل شئ.. لم يستطع أحد ان ينتزع منه اى شئ.. سوى كلمة «نحن»

حتى إسم المنظمة لم يعرفه أحد..

ومن المعتقل إلى بحر النضال الى المعتقل الى النضال، إلى السجن ليخرج عام ١٩٦٤،

ويكون قرار الحل.. ويتفرق الجمع، كل أراد ان يفسح لنفسه مكانا فى الارض الجديدة، وتشكلت لجنة برئاسة «سمير مصلح» أحد مساعدى زكريا محى الدين لتشغيل الشيوعيين المفرج عنهم...

ونال المثقفون وخاصة كبارهم الاهتمام الاكبر فقد منحوا وظائف هامة فى مؤسسات الدولة بينما تركت غالبية من العمال بلا عمل..

اما محمود العسكرى فقد منحوه عملا فى الصعيد..

هل هى المصادفه؟ أم الرغبة فى إبعاده عن شبرا الخيمة؟ أم هى المساحة المسموح بها لعامل مشاكس هو على أية حال ليس واحدا من المثقفين المرموقين؟

وأيا كان السبب.. فقد رفض محمود العسكرى هذه الوظيفة.. ربما لأنه رفض الابتعاد عن رئته الوحيدة شبرا الخيمة، وربما لأنه لم يرد ان يبتعد اكثر عن ابنائه واسرته التى منعه السجن من التعرف على ملامح اطفالها.. وربما لأنه أحس انه ليس كهؤلاء من رفاق الامس الذين تسارعوا الى أرقى المناصب ناسين من لم يجدوا عملا.. وربما شئ آخر.. المهم انه ركل الوظيفة التى تفضل عليه بها نظام عبد الناصر وفضل ان يظل محتفظا بلقب «المفصول الأبدى»..

«لكن الأسد لن يعدم فريسة»

هذه العبارة لجمال الدين الافغانى عندما حاول البعض ان يقدم له عونا وهو فى طريقه الى المنفى.. كذلك قالها محمود العسكرى فى وجه الجميع... واشتق من صخر الحياة قوت أولاده، وواصل فى نفس الوقت أداء بعض واجباته كمناضل..

اخترق حاجز المنع من التحرك الذى فرضه نظام عبد الناصر على الشيوعيين الذين لم يتم تطويعهم، وفعل اشياء عديدة وغريبة..

كتب فى مجلة العمال سلسلة من ١١٢ حلقة عن تاريخ الحركة العمالية المصرية... وقدم العون فى انتخابات ١٩٧٦ لمرشح مسيحى هو اسكندر صليب لمجرد انه شعر ان البعض يتحيز ضده لأنه مسيحى بل واسرع بالانضمام الى احد الجمعيات المسيحية بالحى كتعبير عن موقف ثابت إزاء الوحدة الوطنية..

.. ولكنه ظل متباعدا عن حزب التجمع.

ربما لأنه استشعر ان بعض قادته كانوا ممن لم يتوافق معهم.. أو لأنه امتلك ملاحظات على بعض رفاق الدرب القدامى والتصاقهم اكثر مما يجب بالحكم ونسيانهم بأكثر مما يجب رفاق الأمس... أولسبب آخر..

ولكن..

«وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر»

فما ان وقعت كارثة كامب ديفيد ودخل حزب التجمع محنة التصدى لها وبدأت عملية البطش الساداتى تدور ضده وضد كوادره، حتى أتى محمود العسكرى الى المقر المركزى.. ليوقع طلب الانضمام لعضوية الحزب ...وفى ١٩٨٧ قرر ان يخوض معركة انتخابات مجلس الشعب وإذ كان يستكمل أوراق الترشيح.. لفظ آخر ماتبقى من انفاس.

وكأنه صمم أن يواصل معركته بين الجماهير حتى آخر.. قطرة.

« كركرة » الدكتورة فوزية غير البرجوازية

حدث ماكان متوقعا منذ البداية، وانتهت الضجة التى أثيرت حول « نواب الكيف » فى مجلس الشعب، بإسدال الستار عن الفصل الأول من المهزلة، بتقرير بليغ، وضعته الدكتورة فوزية عبد الستار رئيس اللجنة، تضمن الكلام نفسه، الذى قالته وزارة الداخلية، وقاله الذين أثاروا الحملة، وتعلل به النواب المتكيفون أنفسهم، وجوهره أن التقارير التى أعدتها أجهزة وزارة الداخلية، عن نشاط هؤلاء النواب المحترفين فى مجال « تجارة الصنف »، هى مجرد « تحريات »، أو « شبهات » لم تتأكد بتحقيق، أو تتحول إلى اتهام، ولم تقدم لمحاكمة يمارس أثنا ءها المشتبه فيهم، حق الدفاع عن النفس، وحق استئناف- ثم نقض- ماقد يصدر ضدهم من أحكام .

والخلاصة التى انتهت إليها لجنة الدكتورة فوزية غير البرجوازية، هى أن الموضوع كله، زوبعة فى فنجان ودخان بلا نار، و« كركرة » بلا « جوزه »!..

ومع أن ذلك كله ، كان معروفا لكل الذين أثاروا الموضوع، ولم يكن فى حاجة إلى لجنه ذات اسم فخم ضخم، ترأسها الدكتورة فوزية غير البرجوازية، لكى تقوله، إلا أن الدكتور فتحى سرور- رئيس مجلس الشعب- لم يكد يتلقى التقرير حتى أسرع بارتداء ملابس مسرور السياف، وبعد أن سن سيفه، وجهز نطعه، نخع تصريحا زركشه بمواد الدستور التى تعتبر المتهم بريئا حتى تثبت إدانته، وتنص على أنه لاعقوبة دون حكم قضائى نهائى، وختمه بلفت نظر من يعنيهم الأمر، إلى أن قانون العقوبات يتضمن موادا تعاقب على الازدراء بإحدى هيئات الحكم، ومن بينها مجلس الشعب.

ودون أى تمهيد أو تبرير، نسى الدكتور مسرور تصريحه، ووضع سيفه فى دولاب القضيات بمكتبه، ودعى هيئة مكتب مجلس الشعب للاجتماع، لكى تقرر إحالة النواب والتقارير المرفقة بهم، إلى لجنة القيم بالمجلس، لنكتشف لأول مرة، أن إحالة التقارير إلى اللجنة التشريعية، كان لكى تستنير بها اللجنة، عند نظر الطعون فى صحة عضوية، نواب الكيف، وليس لكى تبدى فيها الرأى، ومعنى هذا أن الفصل الأول من المسرحية، الذى دارت وقائعه فى اللجنة التشريعية، لم تكن له علاقة بالموضوع، وأن التقرير الذى تعبت الدكتورة فوزية غير البرجوازية فى إعداده، كالتصريح الذى « حزق » الدكتور مسرور وهو ينخعه، هو مجرد دخان بلانار وكركره بلاجوزه، لأن شئون « الكيف » فى مجلس الشعب، ليست من اختصاص اللجنة التشريعية، بل هى من اختصاص لجنة القيم- التى ينيط بها قانون المجلس ولائحته، مهام البحث فى هذه الشئون « التحشيشيه »!

ولابد أن الدكتور مسرور يعرف، كما تعرف الدكتورة فوزية غير البرجوازية، أن موضوع نواب الكيف، ليس موضوعا قانونيا ، ولكنه موضوع سياسى بالدرجة الأولى، يتعلق بسمعة حزب الأغلبية العملاق، وبنوعيات البشر الذين يعتمد عليهم فى اغتصاب أصوات و« أنفاس » الناخبين، وحجم الفساد الذى يعشش داخله، ويعمل على تنميته وتطويره، فليس النواب العشرة المتهمين بالتجارة فى المخدرات، سوى استمرار للرواد الأوائل، الذين جندهم الحزب قبل ذلك فى صفوفه، وأدخلهم إلى مجلس الشعب، من تجار الفراخ الفاسده، وتجار الخشب المحشو بالجوز واللوز والغبارة وأسياد « أرارهم » الذين بارك الله لهم فدونت الأقدار اسماءهم فى كشوف البركة!..

والواقع أن « الدكتور مسرور » كالدكتورة فوزية غير البرجوازية، يظلمان نفسيهما ، حين يقبلان الدور المفروض عليهما ، ويقومان بدور المحلل، الذى يبحث عن حل قانونى، للمأزق الذى وقع فيه حزب الأغلبية، فيجتمعان لبحث مدى قانونية الموضوع، بينما يلتزم حزب الأغلبية الصمت التام، فلا تصدر أمانته العامة قرارا بالتحقيق فى ملابسات وضع اسماء هؤلاء النواب على قائمة مرشحى الحزب، وإهدار المعلومات التى قدمتها أجهزة الأمن عن نشاطهم، ويحاسب المسئول عن ذلك، ولايفكر- مجرد تفكير- فى تجميد عضويتهم فى الحزب، أو فصلهم منه، بعد أن فقدوا الثقة والاعتبار!

المشكلة ليست فى تسرب عشرة نواب مشكوك فى فسادهم إلى عضوية مجلس الشعب، الذى يمثل الأمة، ولكنها مشكلة الفساد السارح فى كل مؤسسه وكل سلطة، على نحو تفوح رائحته فى كل أنحاء الوطن، من السلطة التنفيذية إلى السلطة التشريعية، إلى سلطة الصحافة، التى تتحدث المجالس عن رزم الأموال التى تدفع لبعض المسئولين عنها، والساعات والسيوف الذهبية، التى تتدفق على أرباب الأقلام والسيوف، وماخفى كان أعظم!

ذلك فساد منظم، ينظمه حزب بلا أفكار ولامبادئ ولاسياسات ولايوجد مايجمع معظم قياداته، ورموزه، سوى عضويتهم فى عصابة من عصابات المافيا ، لاهم لها إلا نهب الوطن وإفقار الشعب، وهو وحده الذى يستطيع -بعد الله- أن يوقفها عند حدها...

وإلى أن يحين ذلك الحين، لابأس من أن نتسلى ونضحك، على « كركرة » تقارير لجنة الدكتورة فوزية غير البرجوازية، لأن شر البلية مايضحك!

صلاح عيسى